

جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

المستضعفون في صدر الإسلام

1 للبعثة - 40 للهجرة

إعداد

محمد فارس بشير سليمان

إشراف

أ. د. جمال جودة

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ
بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس - فلسطين.

2012م

المستضعفون في صدر الإسلام

1 للبعثة - 40 للهجرة

إعداد

محمد فارس بشير سليمان

نوقشت هذه الأطروحة، بتاريخ 2012/10/7م وأجيزت

التوقيع

أعضاء لجنة المناقشة:

1. الأستاذ الدكتور جمال جودة / مشرفاً ورئيساً

2. الدكتور نظمي الجعبة / ممتحناً خارجياً

3. الدكتور عدنان ملحم / ممتحناً داخلياً

محمد فارس بشير سليمان
علامة ملحم

الإهداء

إلى آل ياسر: سمية وياسر وعمّار، رمز الاستضعاف في التاريخ...

وإلى المفكر الشهيد نعمان طحاينة، قدوة المستضعفين نحو العالمية
الإسلامية الثانية...

وإلى أمي، ستون عاماً من عمر أبنائها خلف قضبان المستكبرين...ومعها
أبي رمز الفلاح الفلسطيني الصابر، وجميع إخوتي وأخواتي...

وإلى زوجتي رفيقة عمري، ستة عشر عاماً من الكفاح والثبات
والمحنة...وأطفالي تسنيم وتسبيح وبقين ومؤمن، وآخرهم الحسين، ملامح
جيل جديد، يأبى طغيان المستكبرين...

محمد فارس جرادات

الشكر والتقدير

أتقدم بخالص شكري الجزيل لأستاذي الدكتور جمال جودة على تفضله بالإشراف على هذه الرسالة، وعلى ما امتن به عليّ من جهد ووقت وخبرة، كما أشكر أساتذتي الأعزاء، في قسم التاريخ، الدكتور أمين أبو بكر، والأستاذ الدكتور نظام العباسي، على ما قدموه لي من نصح وإرشاد.

وأوجه بشكر خاص لأخي ياسر جرادات على توفير مكتبه لطباعة هذه الرسالة وغيرها من الأبحاث، ولأخي الأستاذ وائل محيي الدين، على ما أفادني من نصح وتدقيق لغويّ، ولأخي الأستاذ باسم جرادات على المساعدة في الترجمة.

الإقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل عنوان:

المستضعفون في صدر الإسلام

1 للبعثة - 40 للهجرة

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل درجة علمية أو بحث علمي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Students name:

اسم الطالب:

Signature:

التوقيع:

Date:

التاريخ:

المختصرات والرموز

سيشار للمصادر والمراجع في الهوامش حسب النمط التالي:

* يذكر شهرة مؤلف المصدر، ثم الاسم الأول لكتابه، ثم رقم الجزء إن كان المصدر يتضمن عدة أجزاء، ثم رقم الصفحة.

مثال ذلك:

الواقدي،مغازي ج1ص159. ابن سعد،الطبقات ج2ص8. الجوهري،السقيفة ص46.

* أمّا المرجع، فيذكر اسم عائلة المؤلف، ثمّ اسمه الأول، ثم الاسم الأول لكتابه، ثم رقم الجزء إن كان المرجع أكثر من جزء، ثم رقم الصفحة.

مثال ذلك:

الوزير،زيد،الفردية ص86. جودة،جمال،الأوضاع ص43. قطب،سيد،في ظلال ج5 ص35.

* كل تاريخ مجاور لاسم علم، فإنه يعني تاريخ وفاته.

مثال ذلك:

المقداد بن عمرو البهرائي (ت33هـ). سلمان الفارسي (ت36هـ).

* يكثر ذكر عدد من الأسماء مفردة للاختصار بسبب كثرة ورودها، وهي تعني ما يلي:

عمر: عمر بن الخطاب علي: علي بن أبي طالب

بلال: بلال بن رباح عمار: عمار بن ياسر

زيد: زيد بن حارثة فاطمة: فاطمة الزهراء

* الرموز التالية، تعني ما يلي:

ج: جزء ص: صفحة ط: طبعة

ن: ناشر ت: توفي د: دون

ع: عدد د م: دون مكان د ن: دون ناشر

د ت: دون تاريخ نشر د ط: دون طبعة هـ: هجري

م: ميلادي م ن: المصدر نفسه " : الاقتباس

تح: تحقيق

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
ج	الإهداء
د	شكر وتقدير
هـ	الإقرار
و	المختصرات والرموز
ز	فهرس المحتويات
ح	الملخص
1	المقدمة
3	تحليل المصادر والمراجع
11	الفصل الأول: مفهوم الاستضعاف
12	في اللغة
15	في القرآن
28	في السنة
40	الفصل الثاني: المستضعفون عشية ظهور الإسلام
41	المستضعفون قبل الإسلام
53	المستضعفون بعد ظهور الإسلام
87	الفصل الثالث: موقف الدولة الإسلامية من المستضعفين
88	آل البيت
115	الأنصار
123	الموالي
151	نتائج الدراسة
152	قائمة المصادر والمراجع
183	الملاحق
b	Abstract

المستضعفون في صدر الإسلام

1 للبعثة-40 للهجرة

إعداد

محمد فارس بشير سليمان

إشراف

الأستاذ الدكتور جمال جودة

الملخص

ظهر الاستضعاف عبر محطات التاريخ كلها، وقد انصب قبل الإسلام، على عدة فئات اجتماعية في الشرق والغرب، حملت مسميات: العبيد، والموالي، والهجناء، ورقيق الأرض، والفلاحين، والمنبوذين، والفقراء، والعامّة، وغيرهم.

وتعرض مفهوم الاستضعاف لتطور دلالي، حتى غدا مصطلحاً إسلامياً، وقد ارتبط بقوم لا عَشَائِرَ لَهُمْ بِمَكَّةَ وَلَيْسَتْ لَهُمْ مَنَعَةٌ وَلَا قُوَّةٌ، ثم أطلق بعد الهجرة إلى المدينة على من تم منعه من الهجرة، ثم أطلقته بعض الروايات على آل البيت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وعلى كل فئة ترزح تحت نير القهر أو الحرمان أو الذل بسبب الضعف أو الفقر، وكان قديماً أطلق على ما تعرض له بني إسرائيل من قتل وسبي.

وظهر الإسلام في مكة، في ظل نظام عشائري، طبقي، يتكون من سادة وأشراف وبيوتات، ودونهم عبيد وإماء وموالي، فاعتنق الإسلام، كثير من هؤلاء العبيد والموالي والإماء، وغيرهم من أحداث الرجال، لشعورهم بالمكتسبات الروحية والاجتماعية والاقتصادية التي يحققها لهم، لكن قريش وخاصة رجال أعمالها وكبار تجارها رفضت الإسلام، وواجهوه بوسائل شتى، وأخذوا يعذبون كل من أسلم من عبيدهم ومواليهم، حتى أن أبا جهل قتل سمية وياسر، والديّ عمار.

هاجر المسلمون إلى المدينة، وقام الكيان الإسلامي، حيث أصبح المستضعفون فيه جنوداً للدعوة، وصار لهم مكانة، لكن النظرة الاجتماعية لكونهم عبيد سابقين، أو موالي غير أصلي

النسب، ظلت موجودة، وإن بتفاوت، وهو ما كان يلقي بظلاله على موقف الدولة منهم، وكان ذلك يبدو بوضوح أكثر مع الموالي الجدد، خاصة مع استمرار عمليات السبي، وعدم إلغاء الرق والعبودية، وإن عملت على احتوائه، عبر تخفيف مساوئه، وفتح أبواباً كثيرة للعتق.

تعرض آل البيت النبوي لاستضعاف سياسي قرشي، بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، عندما تم تجاهلهم في قضية الخلافة، وفي تولي مسؤوليات الدولة وقيادة الفتوح، لكن مكانتهم الاجتماعية والروحية والاستشارية لم تُمس في معظم العهد الراشدي، وعندما استلم عليّ الخلافة، ثارت قریش عليه، فاندلعت الفتنة الكبرى، فظل آل البيت تحت الاستضعاف.

وتعرض الأنصار أيضاً لاستضعاف سياسي، بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، عبر تحبيدهم عن الخلافة في سقيفة بني ساعدة، ولم يتم استعمالهم في قيادة الفتوح، ولا كعمال للدولة إلا ما قل، لكن مكانة الأنصار المعنوية والاجتماعية والاقتصادية ظلت ماثلة طوال العهد الراشدي، حتى انتهت بمقتل عليّ، والذي كان قد أعطاهم مكانة بارزة على كل المستويات، بما فيها الإدارية والسياسية والعسكرية.

المقدمة

لم تأخذ قضية المستضعفين، عبر تاريخ البشرية عموماً، وفي صدر الإسلام خصوصاً، اهتمام الباحثين بالمستوى الذي يناسب أهميتها، وعندما تم بحثها، فقد تمّ ذلك بعيداً عن إطار مفهوم الاستضعاف، إنما من زوايا أخرى لا تتصل بمظلوميتهم التاريخية، وإن تمّ التعرض لها بشكل عابر.

قدمت هذه الدراسة تصوراً شاملاً، لمجمل الحالة الإستضعافية في العهدين النبوي والراشدي، مبرزة طبيعة المظلومية التي أوقعتها قريش على العبيد والموالي الذين أسلموا، في الفترة المكية من الدعوة، تعذيباً ونهباً وقتلاً، وذيول الاستضعاف التي استمرت في الكيان الإسلامي الوليد، والذي طال العبيد والموالي، في ظل عدم إلغاء الرق والعبودية، رغم الجهود التي بُذلت لاحتوائه، ورغم المكانة التي أعطيت لرموز الاستضعاف المكي، وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم برز الاستضعاف السياسي، وقد طال كلاً من آل البيت والأنصار، وإن حظياً بوضع اجتماعي معنوي جيد.

توزعت الدراسة على ثلاث فصول، بعد أن تمّ تحليل المصادر والمراجع التي استفادت منها الدراسة، تناول الفصل الأول، مفهوم الاستضعاف في مجمل أبعاده اللغوية والقرآنية والحديثية والتاريخية، ليعطي تصوراً كلياً لهذا المفهوم، فهو وإن اشتق من مادة (ض ع ف) واشترك معها في أصل المعنى إلا أنه غدا مصطلحاً إسلامياً، أطلق على قوم لا عَشَائِرَ لَهُمْ بِمَكَّةَ وَلَيْسَتْ لَهُمْ مَنَعَةٌ وَلَا قُوَّةٌ، فَكَانَتْ قُرَيْشٌ تُعَذِّبُهُمْ فِي الرَّمْضَاءِ بِأَنْصَافِ النَّهَارِ لِيَرْجِعُوا عَنْ دِينِهِمْ، ثم أطلق بعد الهجرة إلى المدينة على من تمّ منعه من الهجرة، ثم أطلقت بعض الروايات على آل البيت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وعلى كل فئة ترزح تحت نير القهر أو الحرمان أو الذل بسبب الضعف أو الفقر، وكان قديماً أطلق على ما تعرض له بنو إسرائيل من قتل وسبي.

قدّم الفصل الثاني صورة مجملية عن المستضعفين قبل الإسلام، بيّن فيه مدى عمق الحالة الإستضعافية عند الرومان واليونان، وموقف الأديان القديمة من المستضعفين عندما رسّخت

التعاليم اليهودية-المسيحية، اللاحقة على موسى وعيسى، قيم الخضوع للمستكبرين، رغم ما تعرض له اليهود والنصارى من استضعاف على مدى فترات طويلة في ظل الجبروت الروماني والأشوري والفارسي في الشرق والغرب.

كما بين الفصل الثاني طبيعة الفئات المستضعفة في بلاد فارس ومصر والعراق والشام والهند واليابان والصين، وتوقف ملياً عند هذه الفئات في الجزيرة العربية، وطبيعة المجتمع العربي الذي ظهر الإسلام في ظله، في ظل نظام عشائري، طبقي، يتكون من سادة وأشراف وبيوتات، ودونهم عبيد وموال، فاعتنق الإسلام، كثيرٌ من هؤلاء العبيد والموالي، وغيرهم من أحداث الرجال، لشعورهم بالمكتسبات الروحية والاجتماعية والاقتصادية التي يحققها لهم، وقد أعطى هذا الفصل صورة شاملة لجميع المستضعفين، سواء الذين تعرضوا لاستضعاف منهجي دائم، أو لأولئك الذين عاشوا الاستضعاف بشكل مؤقت، في ظل انحدارهم من بيوتات مكية أصيلة النسب.

فيما ناقش الفصل الثالث والأخير، استمرار بعض ذبول الاستضعاف في الكيان الإسلامي الوليد، وقد أصبح المستضعفون فيه جنوداً للدعوة، وقد أكرمته الدولة الإسلامية، لكن النظرة الاجتماعية لكونهم عبيداً سابقين، أو موالٍ غير أصلي النسب، ظلت موجودة، وإن بتفاوت، وهو ما كان يلقي بظلاله على موقف الدولة منهم، خاصة أنها مارست السبي، خلال الحروب المختلفة، مثل غيرها من الدول، فهي لم تلغ الرق والعبودية، وإن عملت على احتوائه، عبر تخفيف مساوئه، وفتحت أبواباً كثيرة للعتق.

كما تصدى هذا الفصل لما تعرض له آل البيت النبوي والأنصار من استضعاف سياسي قرشي، بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، عندما تم تجاهلهم في قضية الخلافة، وفي تولي المسؤوليات والفتوح، رغم أن مكانتهم الاجتماعية والمعنوية وحتى الاستشارية نسبياً، لم تُمس في معظم العهد الراشدي، وعندما استلم عليّ الخلافة، ثارت قريش عليه، فاندلعت الفتنة الكبرى، ليظل آل البيت والأنصار تحت الاستضعاف.

ولعل أبرز ما خلصت له الدراسة أنّ الإسلام رفع من شأن المستضعفين اجتماعياً، خاصة العبيد والموالي، عندما أكد على أنّ العبودية في النتيجة تكون لله وحده، وأنّ الجميع متساوون في عبوديتهم لله.

ولاحظت الدراسة أنّ طبيعة هذا الاستضعاف الذي وقع على مجمل هذه الفئات، ضمن نطاق هذه الفترة التاريخية، سواء كان اجتماعي أو سياسي، دائم أو مؤقت، لم يأخذ في أي محطة من محطاته سمة الاجتثاث أو الاستئصال الكلي، مقارنة بما رأيناه عند الرومان قبل الإسلام على سبيل المثال.

تحليل المصادر والمراجع

تطلبت عملية البحث في مفهوم الاستضعاف، وتتبع حال المستضعفين في صدر الإسلام، الرجوع لعدد كبير من المصادر، ذلك أنّ استقصاء أوضاع هذه الشريحة من المجتمع في ذلك الوقت من الزمان، يحتاج التدقيق من مختلف الزوايا، وعبر عدة مسالك، لتكوين مشهد متكامل، لأنّ المادة التاريخية المتصلة بموضوع البحث، على غزارتها فإنها لا تتركز في كتب السيرة، فقط، بل هي مبنوثة في كتب التاريخ العام والطبقات والرجال والحديث والتفسير، ويحتاج تحليلها لكتب الرحلات والأدب واللغة والفقه، وغير ذلك من المصادر.

شكّلت المادة التاريخية التي قدمتها كتب السيرة، جانباً مهماً في دراستنا، وخاصة سيرة ابن إسحق، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي، المدني (ت151هـ) ومهذب سيرته، ابن هشام عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت213هـ) حيث استفادت الدراسة منها في الوقوف على ما تعرض له كثير من المستضعفين في مكة، قبل الهجرة وبعدها، كما أخذت الدراسة أيضاً من بعض كتب السيرة اللاحقة كالروض الأنف للسهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (ت581هـ) ومن كتاب الكلاعي، سليمان بن موسى بن سالم ابن حسان الحميري، أبو الربيع (ت634هـ) الاكتفاء بما تضمنه من المغازي، ومن العامري، يحيى بن أبي بكر بن محمد بن يحيى العامري الحرصي (ت893هـ)

بهجة المحافل، وكذلك من شروح السيرة للزرقاني، أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين ابن محمد المالكي (ت 1122هـ) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، في تقصي بعض روايات ابن إسحق حول ما تعرض له المستضعفون تحت قهر قریش.

وكان لكتب التاريخ العام، دور رئيسي في تكوين مفهوم محدد للاستضعاف، وفي معالجة المحطات الأساسية للاستضعاف، وفي تحديد الشرائح المستضعفة، فقد أخذت الدراسة من تاريخ ابن قيس، سليم بن قيس الهلالي (ت 76هـ) في استضعاف آل البيت، مع مراعاتها لما قيل في هذا الكتاب، وطبيعة رواياته الحادة، واستفادت الدراسة كثيراً من عمدة الإخباريين الواقدي، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله (ت 207هـ) وخاصة كتبه في المغازي والردة والفتوح، فكان الاعتماد عليه في ما قدمه من قوائم تفصيلية، وتفصيل مهمة عن دور المستضعفين في الغزوات، وما جرى في السقيفة.

وأخذت الدراسة من تاريخ خليفة، أبو عمرو بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري (ت 240هـ) حيث قدّم أحداث محددة وموجزة ومؤرخة، وقوائم منظمة تضمنت أسماء كثير من المشاركين في الأحداث، أو عمال الولايات وغيرهم، وكذلك من ابن حبيب، محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي، بالولاء، أبو جعفر البغدادي (ت 245هـ) في كتابيه المحبر والمنمق، واستفادت الدراسة من كتب ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت 276هـ) المعارف وعيون الأخبار والإمامة والسياسة، ومن كتاب الفسوي، يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي، أبو يوسف (ت 277هـ) المعرفة والتاريخ.

واستفادت الدراسة بشكل واسع من تاريخ البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت 279هـ) المسمى أنساب الأشراف، وأيضاً من كتابه فتوح البلدان، حيث أفرد البلاذري في كتاب الأنساب مساحة واسعة للمستضعفين، وقد حدد لهم مفهوماً خاصاً، كما تم الاستفادة أيضاً من الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت 282هـ) صاحب الأخبار الطوال، وبطبيعة الحال شكّل تاريخ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو

جعفر (ت310هـ) وعاءً كبيراً نهلت منه الدراسة في مختلف فصولها، سواء قبل الإسلام وبعده.

واعتمدت الدراسة كثيراً على الجوهرى، أبو بكر أحمد بن عبد العزيز البصري (323هـ) في ما رواه عن السقيفة، من روايات بكر، خاصة أنه مقبول عند أهل الحديث، وهي روايات نقلها ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة، ولكن الدراسة رجعت لمؤلف مفرد عن الجوهرى، ولمؤلف مفرد للمسعودي، أبو الحسن على بن الحسين بن على (ت346هـ) حاول فيه إثبات الوصية لعليّ، واستفادت الدراسة من ابن طاهر، المطهر المقدسي (ت355هـ) البدء والتاريخ، ومن الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين المرواني الأموي (ت356هـ) عن مقاتل الطالبين من آل البيت.

وقدّم ابن هلال، أبو إسحق إبراهيم بن محمد التقفي (385هـ) في كتابه الغارات، روايات نادرة حول طبيعة استضعاف عليّ وتوازن علاقته مع الشيخين، ومن تاريخ مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (ت421هـ) تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ومن كتاب المقرئزي، أحمد بن علي، أبو العباس الحسيني العبيدي (ت845هـ) إمتاع الأسماع.

وأخذت من ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت571هـ) تاريخ دمشق، عدة روايات في تحديد مفهوم الاستضعاف من منظور تاريخي، وما يشير لمظلومية عليّ، وكذلك من منتظم ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت597هـ) واستفادت من ابن العبري، غريغوريوس (يوحنا) ابن أهرن بن توما الملطي، أبو الفرج ابن العبري (ت685هـ) تاريخ مختصر الدول، عن الاستضعاف قبل الإسلام، وخاصة ما اتصل باليهود، ومن الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت748هـ) في تاريخه وسيره، حيث استفادت الدراسة من تحقيقاته لروايات عديدة عن المستضعفين في مكة، وكذلك عن آل البيت، وهو ما أخذته الدراسة أيضاً عن بحار الأنوار للمجلسي، محمد باقر (ت1111هـ) خاصة ما اتصل بموقف عليّ بن أبي طالب من الخلافة والتسوية في العطاء.

وتوقفت الدراسة ملياً عند كتب الطبقات والرجال، خاصة طبقات ابن سعد، أبو عبد الله محمد ابن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي (ت 230هـ) حيث قدّم مادة مستفيضة، وبروايات مختلفة، أمكن عبرها تحديد كثير من ملامح الدراسة، وخاصة في تعقب وضع المستضعفين قبل الهجرة وبعدها، ومن الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران (ت 430هـ) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء.

واستفادت الدراسة من كتب الصحابة، في تفصي وضع كثير من المستضعفين، وخاصة الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت 463هـ) حيث قدّم مادة تاريخية، ربما لم يقدمها غيره، في تلمس وضع كثير من الصحابة على كل المستويات، وهو ما احتاجته الدراسة وهي تعالج الجانب البشري الواقعي لتلك المرحلة، وليس فقط هالة القداسة التي دأبت عليها مختلف المصادر، كما توقفت الدراسة مراراً عند أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد الشيباني (ت 630هـ) واستفادت من تاريخه الكامل أيضاً، وكذلك من الإصابة في معرفة الصحابة، لابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت 852هـ) ومن كتب أخرى له في الرجال كتهذيب التهذيب ولسان الميزان.

وحفلت كتب الحديث النبوي، بمادة تاريخية هامة عن المستضعفين، ساعدت في تكوين صورة شاملة ودقيقة عنهم في العهد المكي، وكذلك عن آل البيت والأنصار، وما تعرضوا له من استضعاف سياسي في ظل الدولة الإسلامية، ولعل أقدم هذه الكتب مجموع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ت 122هـ) وقد تضمن روايات نادرة عن أهل البيت، ومصنف عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام اليماني الصنعاني (ت 211هـ) روايات عديدة في تحديد مفهوم الاستضعاف، وفي تتبع حال المستضعفين، وكذلك مصنف ابن أبي شيبة، أبو بكر ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ت 235هـ) ومسند ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد الشيباني (ت 241هـ) حيث استفادت الدراسة من سعة الروايات التي قدمها، والتي شملت كل فصولها.

واحتوى صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل، أبو عبدالله البخاري الجعفي (ت 256هـ) على مادة تاريخية هامة مبعثرة تحت عناوين فقهية وتشريعية، وكذلك صحيح مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت 261هـ) وما حظيا به من قبول عند التيار الإسلامي العام، وقد تضمننا مادة جيدة عن المستضعفين الذين مُنعوا من الهجرة، وعن حادثة السقيفة، وما تمخض عنها من تهمة سياسي لآل البيت، وقد حفلا بروايات هامة في خصائص عليّ بن أبي طالب، وهو ما نجده في كتاب مفرد عند النسائي، عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (ت 303هـ) والذي دفع حياته ثمناً له، وكذلك من كتب الكافي للكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب (ت 328هـ) والذي ساهم في تقديم تصور لمفهوم الاستضعاف.

وأخذت الدراسة من معاجم الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم (ت 360هـ) في تحديد مفهوم الاستضعاف من منظور السنّة النبوية، وعن الشجري، يحيى بن الحسين بن إسماعيل بن زيد الحسني الشجري الجرجاني (ت 499هـ) ترتيب الأمالي الخميسية، عدة روايات تؤكد استضعاف آل البيت، وعن الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري، ابن البيع (ت 405هـ) صاحب المستدرك على الصحيحين، وخاصة ما تعقبه الذهبي وصححه عليه.

واستفادت الدراسة من الشروح على كتب الحديث، وخاصة شرح صحيح مسلم للنووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت 676هـ) وشرح صحيح البخاري لابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت 852هـ) المسمى فتح الباري، حيث استفادت الدراسة من هذه الشروح في الوقوف على كثير من الأحداث التاريخية، ومن المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم القاهري (ت 1031هـ) فيض القدير شرح الجامع الصغير.

واستفادت الدراسة من كتب التفسير، وخاصة في تحديد مفهوم الاستضعاف في ضوء الرؤية القرآنية، وفي توضيح موقف القرآن من الجملة قضايا ذات صلة، مثل قضية آل البيت

والأنصار والعبيد والموالي، حيث تم الرجوع لتفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت 150هـ) وتفسير الثوري، أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي (ت 161هـ) وتفسير الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر (ت 310هـ) والذي جمع خلاصة المادة المطلوبة على اختلافها، وتفسير العياشي، أبو النضر محمد بن مسعود بن عياش السلمى السمرقندي (ت 320 هـ) وتفسير الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت 427هـ) وتفسير الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت 460 هـ) وتفسير البغوي، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرمانى (ت 505هـ) وتفسير الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت 538هـ) وتفسير الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل (ت 548 هـ).

ولا بد من الإشارة إلى كتب اللغة والأدب، في تحديد البعد اللغوي والدلالي للاستضعاف، وفي سبر غور عدد من المصطلحات اللغوية، وفي بعض الشعر المتصل بالاستضعاف والمستضعفين، وأيضاً في الحصول على معلومات تاريخية هامة، خاصة من نهج البلاغة لعليّ ابن أبي طالب، أبو الحسن عليّ الهاشمي القرشيّ (ت 40هـ) حيث أخذت منه الدراسة ما يوضح مفهوم الاستضعاف، وما يؤكد تعرض آل البيت لاستضعاف سياسي، حتى بعد تبوء عليّ الخلافة، وتوقفت الدراسة عند كتاب العين لابن أحمد، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت 170هـ) و استفادت من المبرد، محمد بن يزيد أبو العباس (ت 285هـ) في كتابه الكامل في اللغة والأدب، و من كتب ابن دريد، أبو بكر محمد ابن الحسن بن دريد الأزدي (ت 321هـ) جمهرة اللغة والاشتقاق.

وأخذت الدراسة من العقد الفريد لابن عبد ربه، أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن حبيب ابن حدير بن سالم الأندلسي (ت 328هـ) وخاصة في شأن الموالي، ومن الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت 393هـ) الصحاح تاج اللغة، في توضيح عدد من المعاني اللغوية، ومن شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله بن

محمد ابن محمد بن الحسين بن أبي الحديد عز الدين المدائني (ت 655هـ) فيما نقله من روايات، وقدمه من تحليلات قيمة لتلك الروايات، واستفادت أيضاً من مختار الصحاح للرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي (ت 666هـ) وكتاب اللسان لابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي الإفريقي (ت 711هـ) والذي أخذت منه الدراسة خلاصة المعاني اللغوية لكثير من المفردات.

واحتوت كتب الفقه على مادة ولو قليلة، ذات صلة بموضوع البحث، خاصة ما تعلق منها باستضعاف العبيد والموالي وموقف الدولة الإسلامية منهم، فتم الاستفادة من كتاب الخراج لأبي يوسف، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حبة الأنصاري (ت 182هـ) وكذلك كتاب الأصل للشيباني، أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد (ت 189هـ) وكتب الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (ت 204هـ) الأم والمسنند.

كما أخذت الدراسة من كتب البلدان والجغرافيا والرحلات، خاصة ما تعلق منها بمكة، وذلك عند بحث الاستضعاف قبل الإسلام، ولتكوين فكرة عن المجتمع المكي كحاضنة للبعثة الإسلامية، وكذلك ما تعلق بالمدينة، وللوقوف على بعض البلدان الأخرى التي تم التطرق لها، حيث استفادت الدراسة من الأزرق، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني المكي (ت 250هـ) صاحب أخبار مكة، وابن شبة، عمر بن شبة بن عبيدة بن ربيعة النميري البصري (ت 262هـ) صاحب تاريخ المدينة، ومن ياقوت الحموي (ت 626هـ) صاحب معجم البلدان.

واستفادت من كتب الرحلات، وخاصة رحلة بنيامين، الرابي بنيامين بن الرابي يونة التيطلي النباري الإسباني اليهودي (ت 569هـ) ومن رحلة ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد ابن إبراهيم اللواتي الطنجي، أبو عبد الله (ت 779هـ).

وكانت الدراسة قد رجعت لعدد من الكتب الغربية السابقة للإسلام، في التوطئة لحال المستضعفين قبل الإسلام، وخاصة كتاب أفلاطون، أريستون (ت 348 ق.م) الجمهورية، وكتاب

السياسة لأرسطو طاليس (ت 322 ق.م) وللمفكر الفرنسي بويسي، إيتان دو لا (ت 971 هـ/1563 م) صاحب العبودية الطوعية، ورأيه في استضعاف اليهود عبر التاريخ.

وساهمت المؤلفات الحديثة في تعزيز مادة الدراسة، وكان أبرزها، قطب، سيد إبراهيم حسين الشاربي، في ظلال القرآن، والعدالة الاجتماعية في الإسلام. ورستم، أسد، الروم وصلاتهم بالعرب. ودروزة، محمد عزت، التفسير الحديث. والطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن. ومغنية، محمد جواد، في ظلال نهج البلاغة. والترمانيني، عبد السلام، الرق ماضيه وحاضره. ومروة، حسين، النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية.

ومن أبرز الدراسات العلمية الحديثة التي أخذت عنها الدراسة، جودة، جمال، الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للموالي في صدر الإسلام. والصدر، محمد باقر، فدك في التاريخ، وخلافة الإنسان وشهادة الأنبياء. والمالكي، حسن بن فرحان، بيعة علي بن أبي طالب في ضوء الروايات الصحيحة، وقراءة في كتب العقائد، المذهب الحنبلي أنموذجاً، ومع سليمان العودة في عبد الله بن سبأ. وملحم، عدنان، المؤرخون العرب والفتنة الكبرى. والوزير، زيد بن علي، الفردية: بحث في أزمة الفقه الفردي السياسي عند المسلمين. وعلي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. والأنصاري، فاضل، العبودية: الرق والمرأة بين الإسلام الرسولي والإسلام التاريخي. والسقاف، حسن بن علي، صحيح العقيدة الطحاوية. وعمارة، محمد، مسلمون ثوار. وكاشف الغطاء، محمد الحسين، أصل الشيعة، وجنة المأوى. وشريعتي، علي، دين ضد الدين. والتباني، محمد العربي، تحذير العبقري من محاضرات الخضري.

واستفادت الدراسة من عدد من الدراسات الأجنبية، كان أهمها، ماركس، كارل، رأس المال. ويوماشيف، أي، الاقتصاد السياسي. ومومجيان، خوتشيك، مراحل التاريخ. وديورانت، ويليام جيمس، قصة الحضارة. ووات، وليام موننجري، محمد في مكة. وماتون، سيلفان، حقوق الإنسان من سقراط إلى ماركس.

كما استفادت أيضاً من بعض البحوث العلمية، ومن أهمها، جودة، جمال، الخلافة والقبائل والنظرة للأرض. وياسين، نجمان، عطاء الموالي في عصر الراشدين. وسلامة، عبد الغني، طور الحضارة.

الفصل الأول

مفهوم الاستضعاف

الفصل الأول

مفهوم الاستضعاف

1- الاستضعاف في كتب اللغة

من خلال تتبع مفهوم الاستضعاف، كما تناولته المعاجم اللغوية، تبين أن أصل المفهوم يعني: خلاف القوة¹، والدلالة اللغوية حصل عليها تطور دلالي، لكنه لم يحد عن أصل الوضع اللغوي الذي تعارف عليه اللغويون.

ومن مظاهر هذا التطور، إطلاق لفظ العاجز ثم الذليل²، فيقال رجل ضعيف، بمعنى، رجل عاجز تسبب له هذا العجز بالإذلال، كما أطلق على الرجل الذي يستميله هواه، فقيل رجل ضعيف³، وأطلق على الشعر الركيك العليل صفة الضعف⁴.

ومن كلمة (ضعف) اشتقت كلمة (مستضعف) وهي اسم مفعول، وتعني مَنْ وقع عليه الاستضعاف، يقول الخليل ابن أحمد (ت170هـ) "استضعفته: وجدته ضعيفاً فركبته بسوء"⁵ ويقول ابن الأثير (ت630هـ) "تضعفته واستضعفته، بمعنى الذي يتضعفه الناس، ويتجبرون عليه في الدنيا للفقر وورثاة الحال"⁶ وقد استعملت هذه الكلمة للدلالة على معاني عديدة، وذلك حسب السياق الذي ترد فيه، لكنها في مجملها تدور حول جملة معاني، أهمها:

- العجز والذل والهوان: ⁷ يُقَالُ: فُلَانٌ عَزِيزُ الْجَانِبِ، وَيُقَالُ فِي خِلَافِ ذَلِكَ فُلَانٌ ذَلِيلٌ، عَاجِزٌ، مَهِينٌ، مُسْتَضْعَفٌ، مُسْتَدَلٌّ، ضَعِيفٌ الْمُنَّةُ، مَخْضُودٌ الشَّوْكَةُ، كَلِيلٌ⁸.

¹ ابن أحمد، العين، ج1ص281. الزمخشري، أساس، ج1ص582. الرازي، مختار، ج1ص184. ابن منظور، لسان، ج9ص203

² الأزهرى، تهذيب، ج6ص114. اليعقوبي، الأنوار، ج2ص44. ابن منظور، لسان، ج3ص394. الزبيدي، تاج، ج9ص147. اليازجي، إبراهيم، نجعة، ج1ص292.

³ ابن منظور، لسان، ج9ص203. الفيروز أبادي، القاموس، ج1ص829.

⁴ الفارابي، معجم، ج3ص185. الرازي، مختار، ج1ص128.

⁵ ابن أحمد، العين، ج1ص282. الأزهرى، تهذيب، ج1ص306. الزمخشري، أساس، ج1ص582.

⁶ ابن الأثير، النهاية، ج3ص88. ابن منظور، لسان، ج9ص204. الزبيدي، تاج، ج24ص52.

⁷ الخطابي، غريب، ج1ص191.

⁸ اليازجي، إبراهيم، نجعة، ج1ص292.

- قلة الخبرة ووهي العزيمة، قالوا: كان المستعصم بالله (ت656هـ) مستضعف الرأي¹.
- المتغلب عليه: يقول صبحي الصالح "أو لم يتكلف ابن جني (ت392هـ) تكلفاً لا يطاق حين أبى أن يرى في برَج العيون إلّا قوة أمرها، وأنه ليس بلون مستضعف؟ إن عجبى لا ينقضي من ذكر القوة في معرض الجمال، وذكر الاستضعاف لدى الحديث عن الألوان!!"².
- الاستعباد: ففي حديث معاذ بن جبل (ت18هـ) جاء: من استحمر قوماً أولهم أحرار، وجيران مستضعفون فإنّ له ما قصر في بيته³. وجاء في اللسان: وقوله جيران مستضعفون، أراد ربما استجار به قوم أو جاوروه فاستضعفهم واستعبدتهم، فكذلك لا يخرجون من يده⁴.
- ونجد العرب إذا غمزوا في رجل أو لَطَّخوه بعيب، قالوا: استضعفوه⁵.
- وجاء في أمثلة العرب: "وَجَدْتَنِي الشَّحْمَةَ الرُّقَى عَلَيْهَا الْمَأْتَى" يُضْرَب لِمَنْ لَا يَعِينُكَ فِي قِضَاءِ الْحَاجَاتِ⁶، يقولها لصاحبه إذا استضعفه⁷.
- ومن استعمالاتها كذلك قولهم: أحال عليه الماء من الدلو، ويقال: أحال عليه بالسوط، استضعفه⁸.
- واستعملها اللغويون في وصف الثعلب، فقالوا: الثعلب سبع جبان مستضعف ذو مكر وخديعة، ولكنه لفرط الخبث والخديعة يجري مع كبار السبع⁹.

¹ شيخو، رزق الله، مجاني، ج5ص317. المستعصم بالله: خليفة عباسي قتل سنة 656هـ. ابن الجوزي، تلقيح ج1ص69.

² ابن جني، الخصائص، ج2ص138. الصالح، صبحي، الاشتقاق، ج1ص196. وعثمان بن جني 392هـ موصلى أبداع في علوم النحو، كان أبوه عبداً رومياً. البغدادي، تاريخ ج11ص310.

³ عبد الرزاق، مصنف، ج10ص337. ابن منصور، سنن، ج2ص269. ابن سلام، غريب، ج4ص138.

⁴ ابن منظور، لسان، ج4ص259.

⁵ ابن سيده، المحكم، ج5ص451. ابن منظور، لسان، ج5ص389.

⁶ الميداني، مجمع، ج2ص367. الفيروز آبادي، القاموس ج1ص887.

⁷ الفيروز آبادي، القاموس ، ج1ص887. الزبيدي، تاج، ج25ص357.

⁸ الزبيدي، تاج، ج28ص366.

⁹ الدميري، حياة، ج1ص253. البغدادي، خزائن، ج5ص194.

لكن مفهوم (الاستضعاف) غدا مصطلحاً إسلامياً، يطلق على فئة من الناس، يقول الواقدي (ت207هـ): "وَالْمُسْتَضْعَفُونَ قَوْمٌ لَا عَشَائِرَ لَهُمْ بِمَكَّةَ وَلَيْسَتْ لَهُمْ مَنَعَةٌ وَلَا قُوَّةٌ"¹ كبلال بن رباح (ت20هـ) وعمار بن ياسر (ت37هـ) وغيرهما، ثم أطلق بعد الهجرة إلى المدينة على من بقي من المسلمين في مكة، علماً أن هؤلاء لم يكونوا أصلاً من المستضعفين، كالوليد بن الوليد (ت5هـ) وسلمة بن هشام (ت14هـ)، وغيرهما²، ثم بعد صلح الحديبية (6هـ)، أطلق على فئة من المسلمين تمردوا، وشكلوا عصابة تقطع على قريش تجارتها كأبي بصير (ت9هـ) وأبي جندل (ت18هـ)، وغيرهما³، ثم أطلقت بعض الروايات على آل البيت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم⁴، وعلى كل فئة ترزح تحت نير القهر أو الحرمان أو الذل بسبب الضعف أو الفقر⁵، وكان قديماً أطلق على ما تعرض له اليهود من قتل وسبي⁶.

وقد أخذ هذا المفهوم أيضاً معنىً فلسفياً، نجده يتجلى في قول علي بن أبي طالب (ت40هـ) الذي جاء في نهج البلاغة "ولا يقع اسم الاستضعاف على من بلغتة الحجة فسمعتها أذنه ووعاها قلبه"⁷، فيترتب على المستضعف الخروج من حالة كونه مستضعفاً.

خلاصة الأمر أن مصطلح الاستضعاف أخذ منحىً دلاليًا جديداً، غير الذي صرّحت به المعاجم اللغوية والاستعمالات العربية المتنوعة، وهذا ما نجده في القرآن، عندما أطلق مفهوم

¹ ابن سعد، الطبقات، ج3ص187. ابن عساکر، تاریخ، ج43ص367

² ابن سعد، الطبقات، ج4ص96. البخاري، صحيح، ج2ص26. مسلم، صحيح، ج1ص467. الطبري، تفسير، ج9ص118. ابن أبي حاتم، الجرح، ج9ص396. ابن عبد البر، الاستيعاب، ج2ص750.

³ ابن هشام، سيرة، ج2ص318. السهيلي، الروض، ج7ص70، 77. ابن الأثير، أسد، ج5ص55. الكلاعي، الاكتفاء، ج1ص474. ابن سيد الناس، عيون، ج2ص162. العامري، بهجة، ج1ص320.

⁴ ابن قيس، كتاب، ج1ص569. ابن حنبل، مسند، ج44ص448. الصدوق، معاني، ج1ص79. الطبراني، المعجم الكبير، الكبير، ج25ص23. الأصبهاني، حلية، ج3ص25.. الشجري، الأمالي، ج1ص206.

⁵ الطبري، تاريخ، ج5ص356، ج7ص172. ابن أعمش، الفتوح، ج5ص35، ج8ص287. ابن مسكويه، تجارب، ج3ص137. ابن خلدون، تاريخ، ج3ص28.

⁶ ابن عساکر، تاریخ، ج67ص68. ابن كثير، البداية، ج2ص8.

⁷ علي، نهج، ج2ص129.

الاستضعاف، على بني إسرائيل وما تعرضوا له قديماً من قتل وسبي¹، وعلى مسلمي العهد المكي ككل²، وعلى كل من عجز عن الهجرة منهم³، وعلى النساء والولدان الذين يتم حرمانهم من الميراث⁴، وغير ذلك، ووفق ذلك مضت كتب السنّة والتاريخ في تعاملها مع هذا المفهوم.

2- الاستضعاف في القرآن

تكرر مفهوم الاستضعاف ومشتقاته في القرآن الكريم ثلاث عشر مرة، في خمس سور⁵، سور⁵، وهذا غير مرّات أخرى كثيرة، عالج فيها القرآن قضايا المستضعفين من عبيد وموالٍ ونساء وولدان وعجائز⁶، مما يعطي انطباعاً عن اهتمام القرآن بهذه القضية، ويتضح ذلك عند توقفنا على عدد المرات التي ورد فيها هذا المفهوم في كتب اللغة والسنّة والتاريخ، لنجد أن القرآن تقدّم عليها، آخذين بعين الاعتبار حجم كل واحد منها.

وعند موازنة ذلك مع التوراة والإنجيل، نجد أن هذا المفهوم لم يرد فيهما سوى مرة واحدة، وكان ذلك في التوراة، في سفر التثنية 25 "أذْكَرُ مَا فَعَلَهُ بِكَ عَمَالِيقُ فِي الطَّرِيقِ عِنْدَ

¹ (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُدْبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (4) وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) القصص 4-5.
² (وَادْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِبَصَرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) الأنفال 26.

³ (وَمَا لَكُمْ لَا تَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا) النساء، 75 (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (97) إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (98) فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا غَفُورًا) النساء، 97-98.

⁴ (وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا) النساء 127.

⁵ القرآن، الأعراف 75، 137، 150. القصص 4، 5. سبأ 31، 32، 33. الأنفال 26. النساء 75، 97، 98، 127.

⁶ القرآن، الأنعام 52. البلد 13. النور 33.

خُرُوجِكَ مِنْ مِصْرَ. كَيْفَ لَأَقَاكَ فِي الطَّرِيقِ وَقَطَعَ مِنْ مُؤَخَّرِكَ كُلَّ الْمُسْتَضْعِفِينَ وَرَأَعَكَ، وَأَنْتَ
كَلِيلٌ وَمُتَعَبٌ¹.

وقد تناول القرآن هذا المفهوم من زوايا مختلفة، وعلى مراحل تنزله كلها، على طول
العهدين المكي والمدني، وقد جاءت هذه الزوايا التي انطلق منها، كما يلي:

- الصراع بين المستكبرين والمستضعفين، عبر تاريخ حركة النبوات².

- استضعاف بني إسرائيل على يد فرعون³.

- معاناة المستضعفين على ركونهم لحالة الاستضعاف⁴.

- الجهاد لاستنقاذ المستضعفين⁵.

- استضعاف قريش للمسلمين في مكة⁶.

- استضعاف المجتمع للنساء والولدان⁷.

وسنتناول هذه الآيات بحسب تسلسل نزولها⁸، وليس وفق ترتيبها في المصحف الشريف،
الشريف، حيث يكون ترتيب السور المعنية، كما يلي: الأعراف 39، القصص 49، سبأ 57،
الأنفال 93، النساء 97⁹:

¹ التوراة، سفر التثنية 25.

² القرآن، الأعراف 75.

³ القرآن، القصص 4-5.

⁴ القرآن، سبأ 31-33. النساء 97.

⁵ القرآن، النساء 75.

⁶ القرآن، الأنفال 26. النساء 75، 98.

⁷ القرآن، النساء 127.

⁸ يقول محمد عزت دروزة، في مقدمة تفسيره، وهو يوضح سبب ترتيبه وفق النزول: "أثر عن علماء أعلام، قدماء
ومحدثين تفسيرات لوحات وسور قرآنية، دون وحدات وسور، وأثر عن علي بن أبي طالب أنه كتب مصحفا وفق نزول
القرآن، ولم نر نقدا أو إنكارا لهذا وذلك، مما جعلنا نرى السير على هذه الطريقة سائغا". دروزة، محمد عزت، التفسير
ج 1 ص 2.

⁹ دروزة، محمد عزت، التفسير ج 2 ص 361، ج 3 ص 308، ج 4 ص 264، ج 7 ص 7، ج 8 ص 7. الجابري، محمد عابد، فهم
القرآن، ج 1 ص 220، 331، ج 2 ص 77، ج 3 ص 115، 209.

سورة الأعراف، وهي أول سورة ورد فيها هذا المفهوم، بحسب تاريخ النزول، نجد القرآن تناوله فيها، ثلاث مرات، وفي سياق القصص القرآني، وكان أولها عن الصراع بين المستكبرين والمستضعفين زمن صالح عليه السلام (قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنْ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ (75) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (76) فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (77) فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ....).

وتلفت الآيات النظر إلى أن صالح تحرك بدعوة قومه ثمود، في ظل مجتمع منقسم بين مستضعفين ومستكبرين أصلاً، وذلك واضح من دلالة (لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ) فهناك مستضعفون لم يؤمنوا بعد، ولأنه قد يكون المستضعف، مستضعفاً في دينه، ولا يكون مؤمناً، ليأخذ الصراع بعدها سمة جديدة، بين إيمان وكفر، تخندق فيه المستضعفون في صف الإيمان، بينما تشبث المستكبرون فيه بالكفر، وعقروا الناقة، فكانت الرجفة، وقد وصف المفسرون، هؤلاء المستضعفين أنهم أهل المسكنة من تَبَاع صالح والمؤمنين به منهم، دون ذوي شرفهم وأهل السُّودد منهم¹، الذين استضعفهم رؤساء الكفار واستذلوهم².

ثم يتكرر هذا المفهوم في سياق صراع موسى عليه السلام مع بني إسرائيل، ولكن بشكل مختلف، وهو صراع طويل، غطته الآيات الكريمة على طوله (وَأُورِثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُّونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ (137)...وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِيفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعْجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَا حَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (150)).

¹ الطبري، تفسير، ج2ص542. الطبرسي، مجمع، ج8ص441.

² الزمخشري، الكشاف، ج2ص123. الطوسي، التبيان، ج4ص525-526. النسفي، مدارك، ج1ص581. ابو حيان، البحر، ج5ص94.

والمستضعفون هنا هم بنو إسرائيل، كما هو واضح من السياق، والذي كان يستضعفهم هو فرعون، على يد زبانيته، فأورثهم الله على صبرهم (الأرض) وهي أرض الشام¹، بعد أن دمر جبروت فرعون، ولكن قصة الاستضعاف لم تنته بذلك، حيث استكبر مستضعفو الأمم-بنو إسرائيل- على هارون عليه السلام في ظل غياب أخيه موسى، فهو لم يأل جهداً في كفهم بالوعظ والإنذار، وبما بلغت طاقته من بذل القوة في مضادتهم حتى قهره واستضعفه ولم يبق إلا أن يقتلوه² وواضح من السياق أن هذا الاستضعاف لم يقف عند حدّ القهر كما رأى الزمخشري (ت538هـ)، وبطبيعة الحال ليس كما رأى الطبري (ت310هـ) من قبله وكان استضعافهم إياه: تركهم طاعته وإتباع أمره³ ما دام الأمر وصل حدّ القتل حسب النص القرآني، ولربما كان تعبير القرطبي (ت671هـ) أقرب "استضعفوني: استذلوني وعُدوني ضعيفاً"⁴ وكان علي بن أبي طالب، قد تمثّل ذيل هذه الآيات وهو يشير إلى استضعافه بعد تجاهله في الخلافة⁵.

سورة القصص، وهي ثاني سورة ورد فيها مفهوم الاستضعاف، حسب تاريخ النزول، ورد فيها مرتين في بداية آياتها، ضمن الحديث عن بني إسرائيل (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (4) وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) ورؤيا فرعون التي فسرها له الكهنة؛ أن مولوداً من بني إسرائيل يُنهي ملكه⁶، لكن السياق التاريخي، لاستضعاف بني إسرائيل على يد الفراعنة، يأتي في إطار حالة شاملة من الاستعباد الملوكي، على ملايين العبيد -ومنهم بنو إسرائيل- الذين قضوا حياتهم خدماً لأسيادهم، فهو استضعاف استبدادي طبقي، محوره سيطرة الحاكم على العامة، وقد جعلهم عبيداً، والأمر يحتمل أن هذا

¹ الثوري، تفسير، ج1ص113. الطبري، تفسير، ج13ص76. ابن أبي حاتم، تفسير، ج5، 1551.

² الزمخشري، الكشاف، ج2ص161.

³ الطبري، تفسير، ج13ص131.

⁴ القرطبي، الجامع، ج7ص290.

⁵ المسعودي، إثبات ص154.

⁶ الطبري، تفسير، ج2ص44. السمرقندي، بحر، ج2ص597. الطوسي، التبيان، ج8ص129. الزمخشري، الكشاف،

ج3ص392.

الاستضعاف تصاعد، في محاولة استباق أي محاولة للنهوض ضد الفراغنة، ولو كانت مجرد رؤيا في المنام.

والنص هنا يبين طبيعة الاستضعاف ويفسره، بأنه ذبح الأبناء الذكور واستحياء النساء، يقول البغوي في تفسيره "يَسْتَضَعْفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ، أَرَادَ الطَّائِفَةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، ثُمَّ فَسَّرَ السِّتْرَ السِّتْرَ الِاسْتِضْعَافَ فَقَالَ: يُدْبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ، سَمِيَ هَذَا اسْتِضْعَافًا لِأَنَّهُمْ عَجَزُوا أَوْ ضَعُفُوا عَنْ دَفْعِهِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ"¹ فالذبح جاء بدلاً محل الاستضعاف، لكن الطبري يقرر قائلاً "استضعافه إياها- الطائفة- كان استعباده"² والله عز وجل يمن على هذه الطائفة المستضعفة بالإمامة والوراثة، وَجَعَلَهُمْ أُمَّةً، أَي: ولاة وملوكاً³، وثمة تساؤل عن اجتماع استضعافهم وإرادة الله المن عليهم بالإمامة؟ فيكون الجواب: لما كانت منة الله بخلاصهم من فرعون قريية الوقوع، جعلت إرادة وقوعها كأنها مقارنة لاستضعافهم أُمَّةً مقدّمين في الدين والدنيا⁴.

ويرى الطبرسي (ت548هـ) أن المقصودين بآية المن على المستضعفين، تشمل غير ما ذكره السياق فقط، واستشهدوا بتلاوة عليّ لهذه الآية، بعد أن قال "والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لتعطفن الدنيا علينا بعد شماسها، عطف الضروس على ولدها"⁵ فيما ذكر الطوسي (ت460هـ)، (ت460هـ)، أن قوماً روي أن الآية نزلت في شأن المهدي⁶، وأن الله تعالى يمن عليه بعد أن استضعف، ويجعله إماماً ممكناً، ويورثه ما كان في أيدي الظلمة⁷.

¹ البغوي تفسير، ج3ص521.

² الطبري، تفسير، ج19ص517.

³ الطبرسي، مجمع، ج20ص239.

⁴ الزمخشري، الكشاف، ج3ص392. الرازي، مفاتيح، ج24ص578.

⁵ الطبرسي، مجمع، ج20ص239.

⁶ يعتقد الشيعة الاثنا عشرية أن المهدي هو الإمام الثاني عشر، وأنه محمد بن الحسن العسكري، الذي تقول الأسطورة أنه اختفى، وهو طفل صغير سنة 266هـ، وأنه سيخرج في آخر الزمان ليملأ الدنيا عدلاً. الذهبي، العبر ج1ص383. الكاتب، أحمد، تطور الفكر ص175-225. عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " الْمُهْدِيُّ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ، يُصَلِّحُهُ اللَّهُ فِي لَيْلَةٍ " ابن حنبل، مسند ج2ص74. عن السخاوي أنها متواترة، وللغماري كتاب "إيضاح المكنون في الرد على ابن خلدون" وكان ابن خلدون نفى فكرة المهدي كلياً. الأرنؤوط، شعيب، هامش مسند أحمد ج6ص44. "والأخبار في حق المهدي المنتظر بطرق أهل السنة والشيعة متواترة" كاشف الغطاء، جنة ج12ص2.

⁷ الطوسي، التبيان، ج8ص131.

سورة سبأ، حيث سارع المستضعفون لاعتناق الدين الجديد، فجاء التعبير القرآني في هذه السورة، في صورة حوار يجري بين المستكبرين والمستضعفين (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ، وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (31) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا أَنْحُنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ (32) وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَتَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْطَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) والاستضعاف هنا هو الاستحقار، فالَّذِينَ اسْتَضَعُّوا، اسْتَحْقَرُوا وَهُمْ الْأَتْبَاعُ، لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا، وَهُمْ الْقَادَةُ وَالْأَشْرَافُ، وهو استحقار ناجم عن التبعية العمياء، والمستضعفون: هم الأتباع، والمستكبرون: هم الرؤوس¹.

سورة الأنفال، والخطاب فيها موجه للعرب، وقد كانوا أمة مستضعفة، في ظل سيادة الفرس والروم على العالم، رغم كونه للمهاجرين خاصةً، وقد كانوا بمكة قليلي العدد مقهورين فيها يخافون أَنْ يَسْلُبَهُمُ الْمُشْرِكُونَ، وجاء بعد المعركة الفاصلة في بدر، فيذكرهم الله (وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) والسياق يوضح حقيقة الاستضعاف هنا، بالقلة أولاً، وما يتبع شعور القلة من الخوف من التخطف، اذكروا يا معاشر المهاجرين إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ فِي الْعَدَدِ مُسْتَضْعَفُونَ فِي أَرْضِ مَكَّةَ فِي ابْتِدَاءِ الْإِسْلَامِ، تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ كِفَارِ مَكَّةَ فَآوَاكُمْ يَوْمَ بَدْرٍ بِالْأَنْصَارِ².

وفي رواية عن قتادة (ت118هـ) "وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ" قال: كان هذا الحي من العرب أذل الناس ذلاً وأشقاه عيشاً...مكعومين على رأس حجر...حتى جاء الله بالإسلام فمكّن به في البلاد...وجعلهم به ملوكاً على رقاب الناس.³

¹ الزمخشري، الكشاف، ج3ص548. البغوي، تفسير، ج3ص681. النعماني، اللباب، ج16ص68.

² البغوي، تفسير، ج2ص284. أبو حيان، البحر، ج5ص306.

³ الطبري، تفسير، ج7ص87. ابن المنذر، تفسير، ج1ص323. الثعلبي، الكشف، ج4ص345.

سورة النساء، وفيها وصل مفهوم الاستضعاف لأوضح معانيه، عندما حدد القرآن طبيعة المستضعفين، والموقف منهم (وَمَا لَكُمْ لَأ تَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا) ثم أضاف في آيات لاحقة (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (97) إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لِمَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (98) فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا غَفُورًا).

وميزة آيات سورة النساء هنا، أنها بوات هؤلاء المستضعفين في مكة، وهم المؤمنون الذين عجزوا عن الهجرة، أعطتهم الآية الأولى مكانة لافتة، عندما جعلت القتال في سبيل نصرتهم، قتالاً في سبيل الله، لتخليصهم من أيدي المشركين، وكان بمكة جماعة من الرجال والنساء والولدان، يلقون من المشركين أذى كثيراً¹، فهم قلة ضعيفة فيها ولدان ونساء، وأيضاً رجال لكنهم بلا قوة، وقد وصل بهم الأذى حد الإذلال، وما لكم لا تقاتلون لهؤلاء الضعفاء المساكين الذين يدعون الله أن يخرجهم من هذه القرية الظالم أهلها، فهم ليس لهم قوة².

وخصوصية هؤلاء المستضعفين هنا: فيه وجهان أن يكون مجروراً عطفاً على سبيل الله، أي في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين، ومنصوباً على اختصاص، يعني واختص من سبيل الله خلاص المستضعفين، لأن سبيل الله عام في كل خير، وخلاص المستضعفين من المسلمين من أيدي الكفار من أعظم الخير وأخصه³، وقد عرّف المفسرون المستضعفين وفق هذا النص بأنهم: الذين أسلموا بمكة وصدّهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين أظهرهم مستذلين مستضعفين يلقون منهم الأذى الشديد⁴، وهم مكرهون معذورون لبقائهم في أرض الشرك، فعذر

¹ البغوي، تفسير، ج1ص663. الاستانبولي، روح، ج2ص237.

² الطبري، تفسير، ج8ص546.

³ الزمخشري، الكشاف، ج1ص534.

⁴ الزمخشري، الكشاف ج1ص534. النسفي، مدارك، ج1ص374. الاستانبولي، روح، ج2ص237.

اللَّهُ الْمُسْتَضْعِفِينَ الَّذِينَ لَا يَمْتَنِعُونَ مِنْ تَرْكِ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ، وَالْمُكْرَهُ لَا يَكُونُ إِلَّا مُسْتَضْعَفًا، غَيْرَ مُمْتَنِعٍ مِنْ فِعْلٍ مَا أَمَرَ بِهِ، وفق تعبير البخاري (ت256هـ)¹.

ثم ميّزت السورة بين الاستضعاف الموهوم، والاستضعاف الحقيقي، وحددت ملامحه، عندما ردت على بعض المؤمنين الذين لم يهاجروا، واشتركوا مع قريش في معركة بدر، فقتلوا بسيف المسلمين، فندرعوا للملائكة الذين توفتهم، أنهم كانوا مستضعفين في مكة، فردت عليهم الآيات؛ أن أرض الله كانت واسعة، فلماذا لم تخرجوا من مكة، وواضح من السياق أنه كان بمقدورهم ذلك، لكن ثمة أسباب منعتهم، وهي أسباب لا تجعل منهم مستضعفين على وجه الحقيقة، ودليل ذلك أنهم استطاعوا الخروج للقتال مع قريش في بدر، فكان بإمكانهم الفرار بأنفسهم، والتحرر من هذه الحياة الذليلة.

ولعل هذا ما دفع بعض المفسرين لتحليل بقائهم في مكة بدافع الحفاظ على أموالهم ومصالحهم، أو إشفاقاً من مشاق الهجرة ومتاعب الطريق والرغبة من قريش²، فاعتذروا بالضَّعْفِ عَنْ مَقَاوِمَةِ أَهْلِ الشَّرْكِ³، قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ، أي مقهورين عاجزين في الأرض يعني أرض مكة فأخرجونا معهم كارهين⁴، يستضعفنا أهل الشرك بالله في أرضنا وبلادنا بكثرة عددهم وقوتهم، معذرة ضعيفة وحجة واهية⁵، وسبب ضعف هذه الحجة: لماذا لم تخرجوا من أرضكم ودوركم، وتفارقوا من يمنعكم بها من إتباع رسوله صلى الله عليه وسلم، إلى الأرض التي يمنعكم أهلها من سلطان أهل الشرك بالله، فتوحدوا الله فيها وتعبدوه، وتتبعوا نبيّه؟ وجماع المعنى يدور على كونهم، مستذلين عاجزين عن القيام بما وجب عليهم من أمر الدين.⁶

¹ البخاري، صحيح، ج9ص19.

² قطب، سيد، الظلال، ج2ص743.

³ الواحدي، تفسير، ج1ص105. البغوي، تفسير، ج1ص685. الخازن، لباب، ج1ص416. ابن عادل، اللباب، ج6ص590.

⁴ الثعلبي، الكشف، ج3ص372.

⁵ الطبري، تفسير، ج9ص100. الطبرسي، مجمع، ج5ص99.

⁶ الطبرسي، مجمع، ج5ص99. البغا، مصطفى، هامش صحيح البخاري، ج6ص48.

وعند التدقيق في سبب نزول هذه الآية يتبين لنا حقيقة زعم هؤلاء، عن عكرمة (ت107هـ) قال: نزلت في قيس بن الفاكه بن المغيرة، والحارث بن زمعة بن الأسود، وقيس بن الوليد بن المغيرة، وأبي العاص بن مُنَبِّه بن الحجاج، وعلي بن أمية بن خلف، قال: لما خرج المشركون من قريش وأتباعهم لمنع أبي سفيان بن حرب (ت30هـ) وعير قريش، وأن يطلبوا ما نيل منهم يوم نَخْلة¹، خرج معهم شباب كارهين، كانوا قد أسلموا واجتمعوا ببدر على غير موعد، فقتلوا ببدر كفاراً²

ولما أسر العباس بن عبد المطلب (ت32هـ) وعقيل بن أبي طالب (ت49هـ)³ ونوئل بن الحارث بن عبد المطلب (ت24هـ)، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس: افر نفسك وابني أخيك، قال: يا رسول الله، ألم نصل قبلك ونشهد شهادتك؟ قال: يا عباس، إنكم خاصتم فخصمتم! ثم تلا هذه الآية⁴.

ويكتمل المعنى، وتتلاشى حجة هؤلاء المستضعفين الموهومين، عندما تستثني الآيات، فئة من المؤمنين عاشت نفس ظروف هؤلاء المزعومين، لكنها فئة مستضعفة على وجه الحقيقة، ليس لها حيلة ولا قوة، ولا تهتدي لطريق الهجرة، وهم العجزة عن الهجرة بالعُسرة، وقلة الحيلة، وسوء البصر والمعرفة بالطريق من أرضهم إلى أرض الإسلام⁵، المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة في الخروج لفقرهم وعجزهم ولا معرفة لهم بالمسالك⁶.

¹ "يوم نخلة"، يعني سرية عبد الله بن جحش، إلى بطن نخلة بين مكة والطائف، فمرت به عير لقريش، فيها عمرو بن الحضرمي، فقتلوا عمراً، واستأسر من استأسر من المشركين. فأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالعبير والأسيرين، حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة. فلما قدموا عليه قال: "ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام". الواقدي، مغازي، ج1ص13.

² الطبري، تفسير، ج19ص517. الطبرسي، مجمع، ج5ص98.

³ توفي عقيل في خلافة معاوية. ابن سعد، الطبقات ج4ص32.

⁴ الطبري، تفسير، ج9ص106. ابن أبي حاتم، تفسير، ج3، 1047. ابن عطية، المحرر، ج2ص99.

⁵ الطبري، تفسير، ج9ص101. الطبرسي، مجمع، ج5ص99.

⁶ الزمخشري، الكشاف، ج1ص555.

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بهذه الآية إلى مسلمي مكة، ولَمَّا سَمِعَهَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي لَيْثٍ، شَيْخٌ كَبِيرٌ مَرِيضٌ، يُقَالُ لَهُ ضَمْرَةٌ بِنِ الْعَيْصِ¹، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أُبَيِّتُ اللَّيْلَةَ بِمَكَّةَ، أَخْرَجُونِي فَخَرَجُوا بِهِ يَحْمِلُونَهُ عَلَى سَرِيرٍ حَتَّى اتَّوَا بِهِ التَّنْعِيمَ فَأَدْرَكَهُ الْمَوْتُ، فَصَفَّقَ بِيَمِينِهِ عَلَى شِمَالِهِ ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ هَذِهِ لَكَ وَهَذِهِ لِرَسُولِكَ أَبَايَعِكَ عَلَى مَا بَايَعَكَ عَلَيْهِ رَسُولُكَ².

وكان ابن عباس (ت68هـ) يقول: كنت أنا وأمي من المستضعفين من النساء والولدان³، وفي رواية؛ وأبي من المستضعفين من الرجال⁴، وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْنَتُ دَاعِيَا لِهَوْلَاءِ الْمُسْتَضْعَفِينَ، وَقَدْ خَصَّ مِنْهُمْ ثَلَاثَةً مِنْ بَنِي مَخْرُومٍ⁵.

وَعَنْ أَبِي يُونُسَ الْقَزِي قَالَ: قُلْتُ لِسَعِيدِ بْنِ جَبْرِ (ت95هـ) قَوْلَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ» قَالَ: كَانَ نَاسٌ بِمَكَّةَ مَظْلُومِينَ. أَوْ قَالَ مَقْهُورِينَ. قَالَ قُلْتُ: لَقَدْ جِئْتُكَ مِنْ عِنْدِ قَوْمٍ هَكَذَا، يَعْنِي زَمَانَ الْحَجَّاجِ (ت95هـ)، قَالَ: يَا ابْنَ أَخٍ لَقَدْ حَرَصْنَا وَجَهَدْنَا وَأَبَى اللَّهُ أَنْ يَكُونَ إِلَّا مَا أَرَادَ⁶.

وقد نحى بعض المفسرين، منحى مختلفاً في تناول هذه الآيات، نجد ذلك عند صاحب تفسير الميزان، حيث عبّر عن الاستضعاف الوارد هنا بعدم الاهتداء إلى الحق من غير تقصير، لأن المراد من السبيل على ما يفيد السياق، أعم من السبيل الحسي، كطريق المدينة لمن يريد المهاجرة إليها من مسلمي مكة، والسبيل المعنوي وهو كل ما يخلصهم من أيدي المشركين،

¹ ثمة اختلاف شديد في تسمية هذا الذي أدركه الموت. الطبطبائي، الميزان، ج5 ص57.

² الطبري، تفسير، ج9 ص114. مكي، الهداية، ج2 ص1445.

³ مقاتل، تفسير، ج1 ص389. البخاري، صحيح، ج2 ص94. الطبري، تفسير، ج9 ص110.

⁴ الطبرسي، مجمع، ج5 ص99. وأمّ هي أم الفضل، لبابة بنت الحارث الهلالية. القرطبي، الجامع، ج5 ص346.

⁵ "اللَّهُمَّ أَنْجِ عِيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ، اللَّهُمَّ أَنْجِ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ، اللَّهُمَّ أَنْجِ سَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ، اللَّهُمَّ أَنْجِ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، الْمُؤْمِنِينَ، اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا سِنِينَ كَسَنِي يَوْسُفَ" عبد الرزاق، مصنف، ج2 ص446. ابن حنبل،

مسند، ج15 ص241. البخاري، صحيح، ج2 ص26. مسلم، صحيح، ج1 ص467. الطبري، تفسير، ج7 ص201.

⁶ ابن سعد، الطبقات، ج6 ص273.

واستضعافهم لهم بالعذاب والفتنة¹، لأن عدم الاستطاعة من الخروج والهجرة إلى دار الإسلام، والالتحاق بالمسلمين لضعف في الفكر أو لمرض أو نقص في البدن أو لفقر مالي، ونحو ذلك، كذلك يتحقق فيمن لم ينتقل ذهنه إلى حق ثابت في المعارف الدينية، ولم يهتد فكره إليه مع كونه ممن لا يعاند الحق ولا يستكبر عنه أصلاً، بل لو ظهر عنده حق اتبعه، لكن خفي عنه الحق لشيء من العوامل المختلفة الموجبة لذلك، فهذا مستضعف لا يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلاً، لأنه أعييت به المذاهب، بكونه أحيط به من جهة أعداء الحق والدين بالسيف والسوط، بل إنما استضعفته عوامل أخر سلطت عليه الغفلة².

وعليه، فإن المستضعف صفر الكف لا شيء له، ولا عليه، لعدم كسبه أمراً، بل أمره إلى ربه، كما هو ظاهر من قوله تعالى بعد آية المستضعفين "أقولنك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا"³.

ودعم الطبطبائي (ت1401هـ) رأيه هذا، بما جاء عن أئمة آل البيت، وبما ذكره العياشي (ت320هـ) في تفسيره، عن زرارة بن أعين (ت150هـ) قال: سألت أبا جعفر (ت114هـ)⁴ عن المستضعف، فقال: هو الذي لا يستطيع حيلة إلى الكفر فيكفر، ولا يهتدي سبيلاً إلى الإيمان، لا يستطيع أن يؤمن ولا يستطيع أن يكفر فمنهم الصبيان، ومن الرجال والنساء على مثل عقول الصبيان مرفوع عنهم القلم⁵، وعندما سئل جعفر الصادق (ت148هـ)⁶، إن كان يسلم أحد لا يعرف حقيقة الإيمان وما يترتب عليه؟ فأجابته: إلا

¹ الطبطبائي، الميزان ج5 ص51، 60.

² الطبطبائي، الميزان، ج5 ص51.

³ الطبطبائي، الميزان ج5 ص52.

⁴ هو محمد الباقر بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أحد أئمة آل البيت، سمي الباقر لتبقره في العُلم، أي: تَوَسَّعُه، توفي 114هـ. الفارابي، معجم ديوان ج1 ص348. ابن الجوزي، المنتظم ج7 ص161.

⁵ العياشي، تفسير، ج1 ص268. المجلسي، بحار، ج69 ص157، 160. الطبطبائي، الميزان، ج5 ص57.

⁶ هو جعفر بن الباقر بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أحد أئمة آل البيت، توفي 148هـ. ابن خلكان، وفيات ج1 ص327.

المستضعفين، قلت: من هم؟ قال نساؤكم وأولادكم، ثم قال: أرأيت أم أيمن (ت11هـ)؟¹ فأني أشهد أنها من أهل الجنة، وما كانت تعرف ما أنتم عليه.²

وسأل أحدهم أبا جعفر (ت114هـ)، قال: سألته عن المستضعفين؟ فقال: البلاء في خدرها تقول لها: صلي فتصلي، لا تدري إلا ما قلت لها، والجليب³، الذي لا يدري إلا ما قلت له، والكبير الفاني، والصبي، والصغير، هؤلاء المستضعفون فأما رجل شديد العنق جدل خصم يتولى الشراء والبيع لا تستطيع أن تعينه في شيء تقول: هذا المستضعف؟ لا، ولا كرامة⁴.

ويعزز هذا الفهم الحديث النبوي، الذي رواه سليم بن قيس الهلالي (ت76هـ) في تاريخه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال "فأما المؤمنون فيدخلون الجنة بغير حساب... والمستضعفون الذين لا يستطيعون حيلة الكفر والشرك، ولا يحسنون أن ينصبوا، ولا يهتدون سبيلا إلى أن يكونوا مؤمنين عارفين، فهم أصحاب الأعراف وهؤلاء الله فيهم المشيئة"⁵ وما جاء عن عليّ، أن من شك في حق آل البيت بالخلافة، ولم يعرف لنا ولاية، ولم ينصب لنا عداوة، فإن ذلك مسلم مستضعف، يُرجى له رحمة الله، ويُتخوف عليه ذنوبه⁶.

وتشير بعض الروايات، إلى كون الاستضعاف ضرورياً ومراتباً، ومناحي مختلفة، سُئل جعفر الصادق ما حد المستضعف الذي ذكره الله عز وجل؟ قال: من لا يحسن سورة من سور القرآن، وقد خلقه الله عز وجل خلقة ما ينبغي لأحد أن لا يحسن⁷.

¹ أم أيمن: هي بركة بنت ثعلبة، وكانت مولاة، وحاضنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحاضنته، ورثها عن أبيه فأعتقها وزوجها زيد بن حارثة فأنجبت أسامة، هاجرت الهجرتين إلى الحبشة، توفيت 11هـ. ابن سعد، الطبقات، ج8 ص179-180. ابن عبد البر، الاستيعاب، ج4 ص1794.

² الطببائي، الميزان، ج5 ص57-58.

³ الجليب: العبد الذي يتم جلبه إلى دار الإسلام، وهو يجعله. الخوارزمي، المغرب، ج1 ص86.

⁴ العياشي، تفسير، ج1 ص270. المجلسي، بحار، ج69 ص161-162. الطببائي، الميزان، ج5 ص58.

⁵ ابن قيس، كتاب، ج1 ص608.

⁶ ابن قيس، كتاب، ج1 ص670. المجلسي، بحار، ج69 ص171.

⁷ المجلسي، بحار، ج69 ص160. الطببائي، الميزان، ج5 ص59.

وقبل أن تختم سورة النساء، تحدد لنا آياتها نموذجاً لافتاً للاستضعاف، أنه نموذج مسلم يستضعفه مسلمون (وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوُلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا) فقد ظل للجاهلية إرثها في نفوس القوم، إرث الاستكبار، أخذ يظهر على يتامى النساء والصغار من الصبيان، بحرمانهم الإرث، معتذرين أنهم لا يركبون الخيل، ولا يدفعون عن الحريم¹.

جاء عن ابن عباس قال: كانوا لا يورثون الصغير والضعيف شيئاً، فأمر الله أن يعطى نصيبه من الميراث، وعن سعيد بن جبير (ت95هـ)² أنه كان وليّ اليتيمة إذا كانت ذات مال وجمال، رغب فيها ونكحها واستأثر بها، وإذا لم تكن ذات مال ولا جمال لم ينكحها ولم ينكحها فأنزل الله تعالى هذه الآية، وجاءت امرأة من الأنصار يقال لها خولة بنت حكيم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله؛ إن أخي توفّي وترك بنات وليس عندهن من الحسن ما يرغب فيهن الرجال، ولا يقسم لهن من ميراث أبيهن شيئاً، فنزلت فيها³.

والخلاصة، أن القرآن أعطى للمستضعفين اهتماماً خاصاً، ويمكن تحديدهم هنا، أنهم:

- الفقراء والمساكين والعبيد والموالي والحلفاء، الذين سحقتهم الأعراف الاجتماعية السائدة، في ظل سيطرة المستكبرين، من أصحاب السطوة والمال والجاه.
- وهم أيضاً: الأطفال والنساء، الذين استغل المستكبرون ضعفهم، فاستغلوهم شر استغلال.
- وهم كذلك: الرجال والأقوام، الذين عصفت بهم القوى السياسية المسيطرة.

فجاء القرآن، ليقف إلى جوار هؤلاء المستضعفين جميعاً، مدافعاً عنهم، ومنبهاً لقضاياهم المحقة، ليقوم المجتمع الإسلامي على أساس من العدل، ولعل في ذلك مكافأة لهم، وهم الذين بادروا قبل غيرهم لاعتناق الإسلام.

¹ الطبطباي، الميزان، ج5ص100..

² تابعي حبشي الأصل من موالى بني أسد قتله الحجاج صبراً سنة 95هـ. البخاري، التاريخ الكبير ج3ص461.

³ الطبري، تفسير، ج9ص266. الثعلبي، الكشف، ج3ص394.

3- الاستضعاف في كتب الحديث النبوي

رغم الحجم الكبير للأحاديث المنسوبة للرسول صلى الله عليه وسلم، إلا أننا لم نجد لمفهوم الاستضعاف حضوراً بارزاً، مقارنة بالقرآن، فقد وقفنا على مفهوم الاستضعاف في مجلدات السنّة التي تُعدّ بالمئات، عند جميع مصادر أهل الحديث فلم نجد سوى اثني عشر حديثاً نبوياً، معظمها محكوم عليه بالضعف عبر ماكينة المحدثين من أهل السنّة، علماً أنّ الغالبية العظمى من المحدثين كانوا من الموالي المستضعفين، ولم يكونوا من العرب.

ولعل هذا الغياب يطرح تساؤلاً عن طبيعة عمل، وطبيعة قواعد أهل الحديث، أو لعلها طبيعة الظرف السياسي-الفكري، الذي اختمر وظهر فيه علم الحديث، وأهمه في زمن المتوكل العباسي (232-247هـ)، والذي كان هواه مع بني أمية فكرياً وسياسياً، وتشير قصة قتله لإمام العربية، يعقوب ابن السكيت (ت244هـ)، وهدمه للقبر المنسوب للحسين بن عليّ (ت61هـ) لطبيعة الجو الفكري الذي كان سائداً¹، والفترة التي حكمها، هي التي ظهر فيها أهم كتب الحديث، يقول عنه السيوطي "أظهر الميل إلى السنة، ونصر أهلها، ورفع المحنة، وكتب بذلك إلى الآفاق... واستقدم المحدثين إلى سامراء"² وبعد هذه الفترة ببضعة عقود تطور هذا الجو الفكري ليصبح له أنصار حتى بين العوام، أطلقت عليهم بعض المصادر مسمى "النواصب" وهم الذين قتلوا الإمام النسائي (ت303هـ) لأنه وضع مؤلفاً في خصائص علي³، وفي نفس هذه الفترة، رجم جمع من هؤلاء بيت الطبري (ت310هـ) في بغداد، وقد اتهموه بالرفض والتشيع، عندما أفرد كتاباً في حديث الولاية لعلي⁴. ولما كان مصطلح "المستضعفون" أخذ يعبر عن تيار

¹ عندما سأل المتوكل، ابن السكيت وكان يعلم ولديه: من أحب إليك هما أو الحسن والحسين؟ فقال: قنبر مولى عليّ، خير منهما، فأمر الأتراك فداسوا بطنه حتى مات. السيوطي، تاريخ ص254. وقيل قتل المتوكل، ابن السكيت لسبب آخر. الأنباري، نزهة ج1 ص140.

² "وأجزل عطايهم وأكرمهم-المحدثين- وأمرهم بأن يحدثوا بأحاديث الصفات والرؤية!، وتوفّر دعاء الخلق للمتوكل، وبالغوا في الثناء عليه والتعظيم له، حتى قال قائلهم، الخلفاء ثلاثة: أبو بكر الصديق في قتل أهل الردة، وعمر بن عبد العزيز في رد المظالم، والمتوكل في إحياء السنة" السيوطي، تاريخ ص252.

³ المزّي، تهذيب ج1 ص399. ابن العماد، شذرات ج4 ص17.

⁴ الذهبي، سير ج1 ص169.

آل البيت وأنصارهم، وخاصة منذ حركتيّ الحسين بن عليّ (ت61هـ)، وزيد بن عليّ (ت122هـ)، فربما وجد فيه أهل الحديث تعبيراً فكرياً خاصاً بالنتشيع فتجنّبوه ما أمكنهم ذلك¹.

ولم يرد مفهوم الاستضعاف عند البخاري ومسلم، كرواية منسوبة للرسول صلى الله عليه وسلم، سوى مرة واحدة، تعلّقت بالذين استضعفوا مؤقتاً، عندما مُنعوا من الهجرة، وكانوا من أشرف بني مخزوم².

وقد دار هذا المفهوم في هذه الأحاديث على معنى واحد تقريباً، هو كون المستضعفين مغلوب على أمرهم، لا حيلة لهم ولا قوة معهم، والغريب أنه لم يتوفر أحاديث خلال الفترة المكية نفسها، وهي فترة الاستضعاف الرئيسية، سوى مرة واحدة، وخارج كتب السنّة التقليدية، حيث جاءت هذه الرواية اليتيمة فقط في كتب السيرة، وهي غير معترف بها عند أهل الحديث³.

وحديث الفترة المكية الوحيد، الذي ورد فيه مفهوم الاستضعاف، هو: عن ابن إسحق (ت151هـ)، فيما يرويه بسنده عن القرظيّ (ت120هـ)، بسند مرسل، أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال "اللهم إنيك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربّي، إلى من تكلمي؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي"⁴.

¹ ممّا يعزز هذا الفهم، أنه قبل حركة الحسين بن عليّ 61هـ خطب والي الكوفة النعمان بن بشير الأنصاري 64هـ، يريد تأليف أهل الكوفة، فقام إليه عبد الله بن مسلم بن سعيد الحضرمي حليف بني أمية فقال: إنه لا يصلح ما ترى إلا الغشم، إن هذا الذي أنت عليه فيما بينك وبين عدوك رأي المستضعفين، فقال: أن أكون من المستضعفين في طاعة الله أحب إلي من أن أكون من الأعززين في معصية الله، ثم نزل. الطبري، تاريخ ج5ص356. وعندما ثار زيد بن علي بن الحسين 122هـ، كانت بيعته التي يبايع عليها الناس: إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وجهاد الظالمين، والدفع عن المستضعفين، وإعطاء المحرومين، وقسم هذا الفيء بين أهله بالسواء. الطبري، تاريخ ج7ص172.

² البخاري، صحيح، ج2ص26. مسلم، صحيح، ج1ص467.

³ الألباني، دفاع، ج1ص19.

⁴ ابن هشام، سيرة، ج1ص420. البلاذري، أنساب، ج1ص237. الطبري، تاريخ، ج2ص345. الكلاعي، الاكتفاء، ج1ص247. ابن كثير، السيرة، ج2ص150.

وقد وردت هذه الرواية في بعض كتب الحديث وشروحه، لكن دون لفظ "المستضعفين" وهي برواية عبد الله بن جعفر (ت80هـ)، فيما رواه ابن إسحاق (ت151هـ) عنه بسنده¹، وقد ضعّفها الألباني (ت1420هـ) بقوله "وابن إسحاق مدلس، وقد عنعنه، ولذلك ضعفت الحديث"² بينما أوردتها جميع كتب السيرة، بلفظ (المستضعفين) والاستضعاف المقصود فيها، فسرتة الرواية نفسها بالهوان وقلة الحيلة وضعف القوة، ورأى المناوي (ت1031هـ) في ذلك الاستحار والاستهانة⁴.

وهذا الحديث النبوي، حديث بليغ في غاية الأهمية، حيث استغاث رسول الله صلى الله عليه وسلم بربه، عندما طرده أهل الطائف، هو وزيد بن حارثة (ت5هـ)، ولم يستطع بعدها العودة إلى مكة إلا في جوار المطعم بن عديّ (ت2هـ)⁵، وكانت هذه الرحلة إلى الطائف بعد وفاة عمه أبي طالب (ت619م)⁶، حيث فقد كل نصير، فأمل أن يجد في الطائف نصيراً، ولكنه عاد منكسراً، مما يجعل منه رمزاً حقيقياً للاستضعاف، وهو استضعاف ربما تجلى في بني هاشم جميعاً عندما حوصروا في شعب أبي طالب ثلاث سنوات⁷.

أما الأحاديث المدنية المتعلقة بالفترة المكية، فهي، كما يلي: أشهر هذه الأحاديث، والذي جاء في البخاري (ت256هـ) ومسلم (ت261هـ) وأكثر المصادر، عن أبي هريرة

¹ الطبراني، المعجم الكبير، ج13ص73. المراغي، مشيخة، ج1ص395. المناوي، فيض، ج2ص119.
² وكان الألباني ذكر في سلسلته الضعيفة ج6ص486 قلت: وهذا إسناد ضعيف رجاله ثقات، وعلته عنعنة ابن إسحاق عند الجميع؛ وهو مدلس، ولم يسق إسناده في "السيرة" ونقل عن صاحب "المجمع" قوله-في نفس الصفحة- فيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات. مع العلم أن غالبية أهل الحديث وثّقوا ابن إسحاق، لكن وفق قواعدهم، لهذا قال الألباني عن الحديث (رجالهم ثقات) لكن العلة تكمن في ما يُقال عن تدليس ابن إسحاق، وعليه فإن كتاب السيرة، حتى مع تهذيب ابن هشام، لا يعتبر صحيحاً، إلا ما ورد من أجزائه في روايات المحدثين، وفق قواعد أهل الحديث، وهي قواعد غير ملزمة في منهج البحث التاريخي.

⁴ الألباني، دفاع، ج1ص19.

⁴ المناوي، التيسير، ج1ص213.

⁵ المطعم بن عديّ: من بني نوفل، كان شريفاً ذا صيت في قريش، وكان حسن البلاء في أمر الصحيفة التي كتبتها قريش على بني هاشم، توفي قبل بدر بسبعة أشهر، وفيه يقول أبو طالب بن عبد المطلب:

أَمْطَعُمْ إِنَّ الْقَوْمَ سَامُوكَ خَطَّةً... وَإِنِّي مَتَى أَوْكَلْتُ بَوَائِلَ. ابن دريد، الاشتقاق، ج1ص88.

⁶ الطبري، تاريخ، ج2ص345. الطبراني، المعجم الكبير، ج13ص73. ابن عبد البر، الاستيعاب، ج1ص40.

⁷ ابن إسحاق، سيرة، ج1ص159. البيهقي، دلائل، ج2ص311.

(ت59هـ)، أن الرسول صلى الله عليه وسلم، كان يدعو في قنوته "اللَّهُمَّ أَنْجِ عِيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ، اللَّهُمَّ أَنْجِ سَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ، اللَّهُمَّ أَنْجِ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ، اللَّهُمَّ أَنْجِ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطَأَتَكَ عَلَى مُضَرَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا سِنِينَ كَسَنِي يُونُسَ"¹. وقد جاء هذا الحديث في روايات مختلفة متعددة، كلها تدور حول هذا النص، والخبر بذلك من أصح أخبار الأحاد²، حتى قيل عنه الشعر:

سلمة عيَّاش المستضعفين... قنت لاستنقاذهم طه الأمين³.

وهو نص يتناول ثلاثة من المستضعفين بالاسم، عاشوا فترة الاستضعاف المكية بعد الهجرة للمدينة، ويتجلى هذا الاستضعاف، في قول أبي جهل (ت2هـ) "كَذَا يَا أَهْلَ مَكَّةَ فَأَفْعَلُوا بِسَفَهَائِكُمْ" بعد أن أوثق عيَّاشاً في رباطه، ثم حبسه، وقد خصهم الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا الدعاء، لما بلغه عن هربهم من قريش، فظل يدعو لهم حتى وصلوا المدينة، وكان ذلك بعد معركة الخندق، حيث لم يكن صلح الحديبية قد وقع، وهو الصلح الذي لم يعد بعده مسموحاً للمستضعفين بالهرب إلى المدينة، وقد استنتج العلماء من هذا الحديث، جواز الدعاء في القنوت لضعفة المسلمين بتخليصهم من الأسر⁴.

وعند توقيع صلح الحديبية، كان بمكة في الحديبية جمع كثير مؤمنون من المستضعفين من الرجال والنساء والولدان⁵، وهو الصلح الذي تم توقيعه بين الرسول صلى الله عليه وسلم وسهيل بن عمرو (ت18هـ)، ممثلاً عن قريش، جاء أبو جندل وهو ابن سهيل هذا، طالباً

¹ عبد الرزاق، مصنف، ج2ص446. ابن حنبل، مسند، ج15ص241. البخاري، صحيح، ج2ص26. مسلم، صحيح، ج1ص467. أبو داود، سنن، ج2ص68. ابن خزيمة، صحيح، ج1ص314. الطبراني، المعجم الكبير، ج7ص54. الدارقطني، سنن، ج2ص368.

² ابن عبد البر، الاستيعاب، ج3ص1230.

³ المشاط، حسن، إنارة، ص207.

⁴ ابن سعد، الطبقات، ج3ص105. مسلم، صحيح، ج1ص467. أبو داود، سنن، ج2ص68. الطبراني، المعجم الكبير، ج7ص54. الحاكم، المستدرک، ج3ص281. الشوكاني، نيل، ج2ص414.

⁵ الصالحي، سبل، ج5ص72. الزرقاني، شرح، ج3ص178.

الانضمام للمسلمين، حسب رواية الزهري (ت124هـ)¹: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، أُرِدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ يَفْتِنُونِي فِي دِينِي؟ فَرَادَ ذَلِكَ النَّاسَ إِلَى مَا بِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا أَبَا جَنْدَلٍ، اصْبِرْ وَاحْتَسِبْ، فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ لَكَ وَلِمَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُسْتَضْعِفِينَ فَرَجًا وَمَخْرَجًا، إِنَّا قَدْ عَقَدْنَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ صُلْحًا، وَأَعْطَيْنَاهُمْ عَلَى ذَلِكَ، وَأَعْطَوْنَا عَهْدَ اللَّهِ، وَإِنَّا لَا نَغْدِرُ بِهِمْ².

وذات النص هذا، قاله صلى الله عليه وسلم لمستضعف آخر، هو أبو بصير، عتبة بن أسيد بن جارية (ت9هـ)، الذي التجأ للمدينة بعد الحديبية، فرده الرسول صلى الله عليه وسلم، التزاماً بالعهد³، وكانت النتيجة أن استحكم أبو بصير وأبو جندل (ت18هـ) مع غيرهم من المستضعفين على خط ساحل البحر الأحمر، وشكلوا سرية عسكرية، تجاوز عددها السبعين رجلاً، قطعت على قريش تجارتها، مما دفع قريش للتنازل عن هذا الشرط⁴.

ويُدخل الرسول صلى الله عليه وسلم جميع مسلمي الفترة المكية، في الاستضعاف، عن أوس بن حذيفة (ت63هـ)، قال: " قَدِمْنَا فِي وَفْدٍ ثَقِيفٍ، فَأَنْزَلَهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي قُبَيْتِهِ... وَكَانَ أَكْثَرَ مَا يُحَدِّثُنَا تَشْكِيَهُ قُرَيْشًا وَمَا صَنَعُوا بِهِ بِمَكَّةَ فَيَقُولُ: " وَكُنَّا بِمَكَّةَ مُسْتَضْعِفِينَ مُسْتَنْذِلِينَ، فَلَمَّا خَرَجْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ انْتَصَفْنَا مِنَ الْقَوْمِ، فَكَانَتْ سِجَالًا الْحَرْبِ، عَلَيْنَا وَلَنَا"⁵ وَقَالَ ابْنُ مَهْدِيٍّ (ت198هـ): فِي حَدِيثِهِ: يَشْتَكِي قُرَيْشًا، وَيَشْتَكِي أَهْلَ مَكَّةَ، ثُمَّ يَقُولُ: «لَا سَوَاءَ كُنَّا مُسْتَنْذِلِينَ أَوْ مُسْتَضْعِفِينَ»⁶ فالاستضعاف هنا جاء بمعنى الإذلال، وتتطابق الرواية هذه مع ما جاء في القرآن

¹ يدعم هذه الرواية، ما أورده البخاري في صحيحه ج5ص126. برواية مروان والمسور، لصلح الحديبية، دون لفظ المستضعفين.

² ابن حنبل، مسند، ج31ص219. ابن هشام، سيرة، ج2ص318. الطبري، تاريخ، ج2ص636. البيهقي، السنن، ج9ص380. السهيلي، الروض، ج7ص70.

³ الواقدي، مغازي، ج2ص624. ابن هشام، سيرة، ج2ص323. الطبري، تاريخ، ج2ص638. البيهقي، السنن، ج9ص380.

⁴ الواقدي، مغازي، ج2ص627. ابن هشام، سيرة، ج2ص324. الطبري، تاريخ، ج2ص639.

⁵ ابن شبة، تاريخ، ج2ص508. المروزي، قيام، ج1ص156. البيهقي، شعب، ج3ص483.

⁶ أبو نعيم، معرفة، ج1ص305.

"وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصَرِهِ
وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ"¹.

وربطت رواية شيعية بين مستضعفي مكة الذين لم يستطيعوا الهجرة، وبين أصحاب الأعراف، فيما يرويه عليّ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "فأما المؤمنون فيدخلون الجنة بغير حساب، والمستضعفون الذين لا يستطيعون حيلة الكفر والشرك، ولا يحسنون أن ينصبوا، ولا يهتدون سبيلا إلى أن يكونوا مؤمنين عارفين، فهم أصحاب الأعراف، وهؤلاء الله فيهم المشيئة"².

وهكذا فإنّ الأحاديث الواردة عن الرسول صلى الله عليه وسلم، هنا، قد حدّدت المستضعفين، بالمسلمين الذين استذلّتهم قريش واضطهدتهم.

وجاءت بعض الأحاديث، تذكر مفهوم الاستضعاف، بصيغة الإشادة المباشرة بالمستضعفين، فتعطيهم مكانة خاصة، وهذا ما نراه في رواية سعد بن أبي وقاص (ت55هـ)، عن الرسول صلى الله عليه وسلم «إِنَّمَا يَنْصُرُ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ بِدُعَاءِ الْمُسْتَضْعَفِينَ»³ وفي رواية البخاري (ت256هـ) عن سعد أيضاً "هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضِعْفَانِكُمْ"⁴ وفي رواية تمام (ت414هـ)، أن سعد ظنَّ أنَّ لَهُ فَضْلًا عَلَى مَنْ دُونَهُ فِي الْعَرَقِ⁵، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا يَنْصُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِضِعْفَانِهَا بِدَعْوَاتِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ»⁶.

وهؤلاء، هم الفقراء الضعفاء، قد عجزت أجسادهم، عن القتال مثل سعد، وغيره من أقوىاء المسلمين، كما خلت جيوبهم من المال الذي يوفر لهم القوة العسكرية اللازمة، كالفرس

¹ الأنفال، 26.

² ابن قيس، كتاب، ج1ص608.

³ الطبراني، المعجم الأوسط، ج4ص263. أبو نعيم، حلية، ج5ص100. ابن حجر، فتح، ج6ص89. الشوكاني، نيل، ج7ص320. الصالحي، سبل، ج9ص120.

⁴ البخاري، صحيح، ج4ص36.

⁵ العرق: ماء الجسد يجري من أصول الشعر. ابن أحمد، العين، ج1ص152. ابن منظور، لسان، ج10ص240.

⁶ تمام، فوائد، ج1ص280.

والرمح والسيف والدرع الفولاذي، فكانت صلواتهم ودعواتهم، عند الله ورسوله، تعدل قوة غيرهم من الأغنياء الأقوياء، لذلك استحقوا نصيباً مثلهم.

كما روي، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال فيما رواه أبو الدرداء (ت31هـ) «أبغوني في ضعفائكم»¹ قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ (ت449هـ): تَأْوِيلُ الْحَدِيثِ أَنَّ الضُّعْفَاءَ أَشَدُّ إِخْلَاصًا فِي الدُّعَاءِ وَأَكْثَرُ خُشُوعًا فِي الْعِبَادَةِ لِخَلَاءِ قُلُوبِهِمْ عَنِ التَّعَلُّقِ بِزُخْرَفِ الدُّنْيَا، وَقَالَ الْمُهَلَّبُ: أَرَادَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ حَضَّ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ عَلَى التَّوَاضُّعِ وَنَفْيِ الزَّهْوِ عَلَى غَيْرِهِ وَتَرْكِ احْتِقَارِ الْمُسْلِمِ فِي كُلِّ حَالَةٍ، وَقَدْ رَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي قِصَّةِ سَعْدِ هَذِهِ زِيَادَةً، فَقَالَ: قَالَ سَعْدٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ رَجُلًا يَكُونُ حَامِيَةَ الْقَوْمِ وَيَدْفَعُ عَنْ أَصْحَابِهِ أَيْكُونُ نَصِيْبُهُ كَنَصِيْبِ غَيْرِهِ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، وَعَلَى هَذَا فَالْمُرَادُ بِالْفَضْلِ إِرَادَةُ الزِّيَادَةِ مِنَ الْغَنِيْمَةِ، فَأَعْلَمَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ سِهَامَ الْمُقَاتِلَةِ سَوَاءً، فَإِنْ كَانَ الْقَوِيُّ يَتَرَجَّحُ بِفَضْلِ شَجَاعَتِهِ فَإِنَّ الضَّعِيفَ يَتَرَجَّحُ بِفَضْلِ دُعَائِهِ².

وقال المناوي (ت1031هـ) "والضعيف إذا رأى عجزه، وعدم قوته تبرأ عن الحول والقوة بإخلاص واستعان بالله، فكانت له الغلبة، بخلاف القوي فإنه يظن أنه إنما يغلب الرجال بقوته، فتعجبه نفسه غالباً، وذلك سبب للخذلان"³ وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستفتح بصعاليك المسلمين⁴، وفي رواية؛ بصعاليك المهاجرين⁵.

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ (ت18هـ) قَالَ «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلَا أُخْبِرُكَ عَنْ مُلُوكِ الْجَنَّةِ قُلْتُ بَلَى قَالَ رَجُلٌ ضَعِيفٌ مُسْتَضْعَفٌ ذُو طِمْرَيْنِ لَا يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ

¹ الطبراني، مسند، ج1ص335. الحاكم، المستدرک، ج2ص157. أبو نعیم، حلیة، ج7ص389. المناوي، فیض، ج1ص82.

² ابن حجر، فتح، ج6ص89. المناوي، فیض، ج6ص354. الشوكاني، نیل، ج7ص320.

³ المناوي، فیض، ج1ص82.

⁴ الترمذي، سنن، ج4ص206. الطبراني، المعجم الكبير، ج1ص292.

⁵ الطبراني، المعجم الكبير، ج1ص292. البغوي، شرح، ج4ص264. ضياء، الأحاديث، ج4ص338. الهروي، مرقة، مرقة، ج6ص2545.

لَأَبْرَهُ»¹ والمستضعف هنا، أي يستضعفه الناس وَيَحْتَقِرُونَهُ لِرثائته وخموله أو فقره. ذُو طمرين: ثَوْبَيْنِ خَلْقَيْنِ. لَا يُؤْبَهُ لَهُ: أَي لَا يَحْتَفَلُ بِهِ. لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى لِأَبْرَهُ: أَي لَوْ حَلَفَ يَمِينًا عَلَى أَنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ كَذَا، أَوْ لَا يَفْعَلُهُ: جَاءَ الْأَمْرُ فِيهِ عَلَى مَا يُؤَافِقُ يَمِينَهُ²، وَقَرَأَتْ بَعْضُ الرِّوَايَاتِ، لَفِظَ مُسْتَضْعَفٍ، فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ، بِكَسْرِ الْعَيْنِ (مُسْتَضْعَفٍ) فَفَسَّرَهَا بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ، "أَي مَبَالِغٍ فِي أَسْبَابِ ضَعْفِهِ، سَاعَ فِيهَا بِتَرْكِ الدُّنْيَا وَأَهْلِهَا"³ وَقَالَ النَّوَوِيُّ (ت676هـ): ضَبَطُوهُ بِفَتْحِ الْعَيْنِ وَكَسْرِهَا، وَالْمَشْهُورُ الْفَتْحُ، وَمَعْنَاهُ يَسْتَضْعِفُهُ النَّاسُ وَيَحْتَقِرُونَهُ وَيَتَجَرَّأُونَ عَلَيْهِ لِضَعْفِ حَالِهِ فِي الدُّنْيَا، يُقَالُ: تَضَعَّفَ وَاسْتَضَعَّفَ، وَأَمَّا عَلَى الْكَسْرِ فَمَعْنَاهُ مُتَوَاضِعٌ مُتَدَلِّلٌ خَامِلٌ وَأَضِعُّ مِنْ نَفْسِهِ⁴.

وعلى شاكلة ذلك، ما رواه أَبُو سَعِيدٍ الْخَدْرِيُّ (ت74هـ) عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «افْتَخَرَتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: يَا رَبِّ، يَدْخُلُنِي الْجَبَابِرَةُ وَالْمُتَكَبِّرُونَ وَالْمُلُوكُ وَالْأَشْرَافُ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ يَا رَبِّ، يَدْخُلُنِي الضُّعَفَاءُ وَالْفُقَرَاءُ وَالْمَسَاكِينُ»⁵ وما رواه مسلم عن حَارِثَةَ بْنِ وَهَبِ الْخَزَاعِيِّ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟» قَالُوا: بَلَى، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ ضَعِيفٍ مُنْضَعَفٍ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ» ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟» قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «كُلُّ عَتَلٌ جَوَاطٍ مُسْتَكْبِرٍ»⁶.

وتربط لنا رواية حديثة بين الاستضعاف والإيمان، في قادم الزمان، عندما تجتمع السلطة والكلمة بيد أهل الظلم والجور، عن ابن عباس (ت68هـ)، أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال "سَجِيءٌ فِي آخِرِ الزَّمَانِ أَقْوَامٌ، تَكُونُ وُجُوهُهُمْ وَجُوهَ الْأَدَمِيِّينَ، وَقُلُوبُهُمْ قُلُوبَ الشَّيَاطِينِ... سَفَاكُونَ لِلدَّمَاءِ... الْمُؤْمِنُ فِيهِمْ مُسْتَضْعَفٌ، وَالْفَاسِقُ فِيهِمْ مُشْرِفٌ"⁷.

¹ ابن ماجه، سنن، ج2ص1378. البيهقي، سنن، ج13ص93. الهروي، مرقاة، ج8ص3188. السندي، حاشية، ج2ص527.

² المناوي، فيض، ج3ص100.

³ السندي، حاشية، ج2ص527.

⁴ الهروي، مرقاة، ج1ص3188.

⁵ أحمد، مسند، ج17ص263. ابن حميد، المنتخب، ج1ص284. ابن رجب، جامع، ج2ص277.

⁶ معمر، جامع ج1ص306. مسلم، صحيح، ج4ص2190. البخاري، صحيح ج6ص159.

⁷ الطبراني: المعجم الكبير، ج11ص99. المعجم الأوسط، ج6ص227.

وجاء في كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مُعَاذِ بْنِ جَبَل (ت18هـ) "مَنْ اسْتَحْمَرَ قَوْمًا أَوْ لَهُمْ أَحْرَارٌ وَجِيرَانٌ مُسْتَضْعَفُونَ فَمَنْ قَصَرَ مِنْهُمْ فِي بَيْتِهِ حَتَّى دَخَلَ الْإِسْلَامَ فِي بَيْتِهِ فَهُوَ رَقِيقٌ، وَمَنْ كَانَ مَهْمَلًا يُودِّي الْخَرَاجَ فَهُوَ حُرٌّ، وَأَيُّمَا عَبْدٍ نَزَعَ إِلَى الْمُسْلِمَةِ مُسْلِمًا فَهُوَ حُرٌّ" قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ (ت181هـ): يَعْنِي مَنْ اسْتَعْبَدَ¹، والمقصود أنه إذا قهر أحد قوماً قبل ظهور حكم الإسلام في دارهم فهم عبيده، وإن كان بعده فهم أحرار، وتعبير (مستضعفون) هنا يجري مجرى الاستخمار، أي الاستعباد، ويذكر علماء اللغة أن أهل اليمن يطلقون على المستضعفين من الناس (مستخمرين) وهم الجيران الضعفاء، ومن (أخمره الشيء) أي أعطاه إياه أو ملكه بلغة اليمن².

وجاءت باقي الأحاديث النبوية تربط بين الاستضعاف وآل البيت، ومعظم مصادرها شيعية، وقد شدَّ عنها حديث واحد جاء في بعض كتب السنة، وهو: عَنْ أُمِّ الْفَضْلِ بِنْتِ الْحَارِثِ، قَالَتْ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرَضِهِ، فَجَعَلْتُ أَبْكِي، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: " مَا يُبْكِيكِ؟ " قُلْتُ: خِفْنَا عَلَيْكَ، وَمَا نَدْرِي مَا نَلْقَى مِنَ النَّاسِ بَعْدَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: " أَنْتُمْ الْمُسْتَضْعَفُونَ بَعْدِي"³ وأم الفضل هذه هي لبابة أم عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، وهي التي ذكرها البخاري أنها كانت من مستضعفي مكة⁴.

وعن جعفر الصادق (ت148هـ) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نَظَرَ إِلَى عَلِيِّ وَوَلَدِيهِ الْحَسَنِ وَالحُسَيْنِ، فَبَكَى، وَقَالَ: أَنْتُمْ الْمُسْتَضْعَفُونَ بَعْدِي⁵، وهي رواية متصلة برواية أم الفضل السابقة، ومفهوم الاستضعاف في الحالتين يعني الغلبة على أمر آل البيت، وقهرهم بحرمانهم من حقوقهم السياسية والاقتصادية، وهو ما اعتقده آل البيت منذ توفي الرسول صلى الله عليه وسلم، سواء ما اتصل بمنصب الخليفة، أو ما اتصل بميراث الرسول صلى الله عليه وسلم⁶.

¹ ابن منصور، سنن، ج2ص269. عبد الرزاق، مصنف ج10ص373.

² ابن منظور، لسان، ج4ص259. علي، جواد، المفصل، ج8ص159.

³ ابن حنبل، مسند، ج44ص448. الطبراني، المعجم الكبير، ج25ص23.

⁴ «كُنْتُ أَنَا وَأُمِّي مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ أَنَا مِنَ الْوِلْدَانِ وَأُمِّي مِنَ النِّسَاءِ» البخاري، صحيح، ج2ص94.

⁵ الصدوق، معاني، ج1ص79.

⁶ البخاري، صحيح، ج5ص139. البلاذري، فتوح، ص42.

وجاء في رواية زيدية، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ("إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَادَى مُنَادٍ مِنْ قِبَلِ الْعَرْشِ يَا مَعْشَرَ الْخَلَائِقِ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: "أَنْصِتُوا فَطَالَمَا أَنْصَتَ لَكُمْ، أَمَا وَعَزَّتِي وَجَلَالِي وَارْتِفَاعِي عَلَى عَرْشِي لَا يُجَاوِزُ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَّا بِجَوَازِ مِنِّي بِحُبِّهِ أَهْلَ الْبَيْتِ الْمُسْتَضَعْفِينَ فِيكُمْ، الْمُتَهَوِّرِينَ عَلَى حَقِّهِمْ، الْمُظْلُومِينَ، وَالَّذِينَ صَبَرُوا عَلَى الْأَذَى وَاسْتَخَفُوا بِرَسُولِي فِيهِمْ، فَمَنْ أَتَانِي بِحُبِّهِمْ أَسْكَنْتُهُ جَنَّتِي، وَمَنْ أَتَانِي بِبُغْضِهِمْ أَنْزَلْتُهُ مَعَ أَهْلِ النِّفَاقِ")¹ ومفهوم الاستضعاف هنا واضح أتم الوضوح، فهو الوقوع ضحية القهر والظلم، وتعبير "المستضعفين فيكم" أي منكم أيها المسلمون.

وفي تاريخ سليم بن قيس (ت76هـ-)، عن عليّ أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال له "ولك يا عليّ بهارون أسوة حسنة إذ استضعفه قومه...فاصبر لظلم قريش"² فالحديث هنا يحسم الأمر، ويعزز هذا الربط بين عليّ وهارون، ما جاء في البخاري ومسلم، قول الرسول صلى الله عليه وسلم لعليّ عند الخروج لتبوك (10هـ-)، وقد استبقاه والياً على المدينة، فيما رغب عليّ بالخروج معه³.

ويمكن القول؛ أن مفهوم الاستضعاف، في اللغة والقرآن والسنة والتاريخ، قد أخذ بعداً خاصاً، وآخر عاماً، فهو في بعده العام يلتصق بكل ضعيف أو مظلوم، حتى لو كانت مظلّمته مؤقتةً، أو حملت جانباً معنوياً، لكنه في بعده الخاص، نراه يعبر عن تلك الفئات الاجتماعية، التي تم سحق إنسانيتها، بشكل شامل، فتعرضت للاستعباد والتعذيب، ولعل أكثر هذه الفئات بروزاً، هي أولئك العبيد الذين خرجوا على أسيادهم؛ ملاً قريش، واعتنقوا الإسلام، فكان جزاؤهم؛ رمضاء مكة وسياط سادتها، وهم الفقراء والمساكين والنساء والولدان والموالي والحلفاء، وهم أيضاً، أحداث الرجال، بحسب تعبير ابن سعد (ت230هـ-)، وهم الشباب، الذين استضعفتهم

¹ الشجري، الأمالي، ج1ص206.

² ابن قيس، كتاب، ج1ص569، 769.

³ «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى؟ غَيْرَ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي» البخاري، صحيح، ج5ص19. مسلم، صحيح، ج4ص1870.

قريش، وكانت قريش في الأصل، لا تُدخل أحداً لدار الندوة، إلا إذا تجاوز عمره الأربعين عاماً¹، وهذا يعطي انطباعاً عن طبيعة سلوك قريش تجاههم لما اعتق كثير منهم الدين الجديد.

وبعد انتصار الإسلام، وقيام دولته، نجد خصوصية الاستضعاف هذه، أكثر ما تتجلى، في مَنْ استمر عبداً مسلماً، ولو في ظل أوضاع أقل قسوة، وأبواب أوسع للتحرر.

كما نجد ذلك بارزاً في تلك الفئات التي لفحتها نيران السياسة، في ظل سيادة شعار "الأئمة من قريش"² ولكنها قريش كل بُطونها، إلا بطن محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، بني هاشم، حيث وجد آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم، أنفسهم خارج السقيفة، عند وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم،³ كما تنازل الأنصار تحت الضغط، ربما إلى الأبد،⁴ ليتم دمج هاتين الفئتين، بدمغة الاستضعاف السياسي،⁵ مع كل ما علق به من ذيول، أخذت منحاً اقتصادية،⁶ رغم أجواء العدالة العامة، والمكانة المعنوية الرفيعة، التي عبّر عنها عليّ نفسه، وروتها مصادر شيعية معتبرة "فتولى أبو بكر، تلك الأمور، فيسرّ وسدّد وقارب واقتصد، فصحبته مناصحاً... فلما احتضر... وتولى عمر الأمر، وكان مرضي السيرة ميمون النقيّة"⁷ لكن هذه الفترة التي عاشها آل البيت والأنصار، في ظل دولة الخلافة الراشدة، على ما فيها، انتهت تماماً، عندما تبوأ بنو أمية ملكهم الوراثي، تسعون عاماً متصلة، وكانت تصاعدت منذ أقام

¹ الأزرق، أخبار ج1ص109. الفاكهي، أخبار ج3ص267.

² ابن راشد، جامع ج11ص58. الطيالسي، مسند، ج2ص240. الواقدي، الردة، ج1ص41. ابن حماد، الفتن، ج1ص121. ابن أبي شيبة، مصنف، ج6ص402. ابن حنبل، مسند، ج19ص381. البخاري، صحيح، ج4ص179. مسلم، صحيح، ج3ص1451. الفسوي، المعرفة، ج3ص222. ابن أبي عاصم، السنة، ج2ص531. البزار، مسند، ج12ص321. النسائي، سنن، ج5ص405. الموصلي، مسند، ج6ص321. الروياني، مسند، ج2ص25. الطبراني، المعجم الكبير، ج1ص252. الحاكم، المستدرک، ج4ص85.

³ ابن قيس، كتاب، ج2ص862-863.

⁴ الواقدي، الردة، ج1ص41. البخاري، صحيح، ج5ص6.

⁵ ابن قيس، كتاب، ج1ص666. الطبري، تاريخ، ج3ص209. الجوهري، السقيفة، ص39.

⁶ البخاري، صحيح، ج8ص149. مسلم، صحيح، ج3ص1381. الطبري، تاريخ، ج3ص208. البلاذري، أنساب، ج10ص79.

⁷ ابن هلال، الغارات، ج1ص203. ويأتي ذلك مفصلاً في الفصل الأخير.

معاوية إبان ملكه (40-60هـ) منابر لعن عليّ كل جمعة¹، على امتداد ولايات دولته، وبلغت ذروتها زمن ولده يزيد (60-63هـ) في مجزرتيّ كربلاء والحرّة².

¹ مسلم، صحيح، ج4 ص1871، 1874. الطبري، تاريخ، ج5 ص253.

² الطبري، تاريخ، ج5 ص389-470 ص482-495. البلاذري، أنساب، ج5 ص319-335.

الفصل الثاني

المستضعفون عشية ظهور الإسلام

الفصل الثاني

المستضعفون عشية ظهور الإسلام

1- المستضعفون قبل الإسلام

قبل تناول قضية المستضعفين في صدر الإسلام، لا بد من توضيح قضيتهم قبل الإسلام، وذلك بغية الوقوف على تطورات الوضع الإنساني ككل.

وسنركز في هذه التوطئة، على الفئات الاجتماعية التي حملت مسميات: العبيد، والموالي، والهجناء، ورقيق الأرض، والفلاحين، والفقراء، والعامّة، وهي الفئات التي يتحقق فيها مفهوم الاستضعاف.

عند إلقاء نظرة سريعة على موقف القوانين القديمة من المستضعفين، نرى مشهداً واضحاً لحالهم، ففي تشريعات مدينة (إشنونا) في العراق، قبل القرن (19 ق.م) نجدها حرّمت على الرقيق والإماء الموسومين بأسماء ساداتهم أن يجتازوا بوابة إشنونا دون إذن ساداتهم، وقد اعتبرت العبد وما يملكه ملكاً لسيده¹.

وكان الملك السومري (لبت عشتار) في القرن (19 ق.م) تعهد أن يحرر أبناء سومر من الرق الذي فرض عليهم، فوضع عدة قوانين، جاء فيها حق العبد أن يسعى لتحرير نفسه، لكنه فرض على من آوى عبداً أبقاً في داره، أن يعرض أصحابه عنه عبداً آخر².

وأكدت قوانين الملك البابلي حمورابي (ت 2081 ق.م)، أنها جاءت "حتى لا يظلم الأقباء الضعفاء، وحتى ينال العدالة اليتيم والأرملة"³ ولكنها أعطت الدولة الحق أن تجند الفلاح الحر والعبد، للخدمة العسكرية أو تسخره للقيام ببعض الأعمال العامة كشق الطرق، وحفر القنوات، وأشارت هذه القوانين لـ (الأجراء) كطبقة أحرار، ولكنهم ظلوا فقراء معدمون لا يملكون شيئاً،

¹ صالح، عبد العزيز، الشرق ص 441.

² عبد الهادي، جمال، تاريخ 239.

³ ديورانت، ول، قصة ج 2 ص 188، 396. الأنصاري، فاضل، العبودية ص 24.

فهم يشتغلون في الزراعة، ولضعفهم وعدم تمكنهم من أخذ حقهم بالقوة، كان بعض من يؤجرهم يأكل حقوقهم¹.

وكانت القوانين الفارسية لا تعترف بمواطنة أولاد الجوارى، وأخذت القوانين الحيثية²، بمبدأ (العين بالعين والسن بالسن) ولكنها إذا وجدت الجاني من العبيد، تشمل الأحكام عقوبة الإعدام³.

وفي اليونان، أبقّت الشرائع الأثينية الحقوق القانونية على الأحرار الذين لا يكادون يتجاوزون سبع السكان، وحتى النساء والأطفال كانوا خارجين عن نطاق المواطنين أصحاب الحقوق، ولم يكن في وسع الأرقاء أن يرفعوا الدعاوى إلى المحاكم إلا عن طريق مواطن يأخذهم في كنفه، وقد أجاز القانون تعذيب العبيد وبشكل متكرر⁴.

ورغم كل التطورات التي جرت على القانون الروماني، إلا أنه ظل يراوح مكانه بشأن المستضعفين من الناس، فقد ظلّ يتردد أن يطلق على العبد لفظ (شخص) وفي النهاية سمّاه (إنساناً غير شخصي) يعني أقرب للحيوان، وكان العبد يُعدّ من قبيل المتاع، فلم يكن يحق له أن يمتلك، أو يرث، أو يورث، وكان أبناؤه كلهم يعدون أبناء غير شرعيين، كما أن أبناء الجارية كانوا يعدون كلهم عبيداً ولو كان أبوهم من الأحرار⁵.

وفي منتصف القرن الثالث الميلادي، شرعت روما قانوناً، قضى أن الفلاحين يجب أن يُباعوا مع الأرض، وصار الملاكون الصغار بالتدريج، أقناناً لحساب الملكيات الكبيرة، وفي منتصف القرن الرابع الميلادي، شرعت روما قانوناً ينص على أن الفلاح إذا ترك أرض سيده، أعيد إليها قسراً، ويصير عبداً⁶.

¹ ديورانت، ول، قصة ج 2 ص 411. علي، جواد، المفصل ج 8 ص 143-144.

² ظهرت الدولة الحيثية في الأناضول والشام، واحتلت مكانة بارزة في آسيا سنة (1400 ق.م) خاصة بعد أن قضت على الدولة البابلية. عصفور، محمد، معالم ص 318-322.

³ ابن عبد ربه، طبائع ج 1 ص 98. عصفور، محمد، معالم ص 177.

⁴ ديورانت، ول، قصة ج 7 ص 34.

⁵ مصطفى، عمر، القانون ص 157. ديورانت، ول، قصة ج 10 ص 370.

⁶ مصطفى، عمر، القانون ص 169. الأنصاري، فاضل، العبودية ص 28.

أمّا النساء، فقد كانت شرائع روما تبقى على ولايتهن بيد أحد الذكور "لخفة عقولهن!" ثم زال القسط الأكبر من هذه الوصاية، ولم يكد يختتم القرن الثاني حتى كانت الولاية البشرية قد رفعت من الواجهة القانونية عن الحرائر من النساء متى تجاوزن الخامسة والعشرين من العمر، وفي القرن الرابع الميلادي رُفعت عنها الوصاية كلياً¹.

وعندما أصدر الملك الروماني جستنيان (ت565م)، قوانينه، والتي أعطت العبيد وضعاً جديداً، فإنها أجازت بيع الطفل حين يولد في سوق الرقيق إذا كان أبواه معدمين، وكان فيها فقرات تشجع استرقاق رقيق الأرض، وتمهد السبيل لنظام الإقطاع، مثال ذلك أن الرجل الحر إذا زرع قطعة من الأرض ثلاثين عاماً، كان يطلب إليه أن يبقى هو وأبناؤه إلى أبد الدهر مرتبطين بهذه الأرض، وإذا هرب رقيق الأرض، جاز لهذا السيد أن يطالب به كما يطالب السيد بعبده².

وفي التراث اليهودي، فإن استقراءً للتوراة بأسفارها التاريخية الخمس³، عن ألفاظ الاستعباد والسبي والسخرة، ومشتقاتها، يجد أنها وردت حوالي 857 مرة⁴، إن هذا الأمر يعطينا يعطينا فكرة عن النظرة اليهودية للمستضعفين، وخاصة العبيد منهم، و قد ورد ذلك غالباً في سياق التعاطي والقبول، لا الاعتراض.

وكان الاسترقاق من عقوبات السرقة عند العبرانيين القدماء، وهو معنى ما جاء في القرآن الكريم (قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَادِبِينَ (74) قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ)⁵ ومعنى (جزاؤه) ثوابه استرقاق الموجود في رحله⁶.

¹ ديورانت، ول، قصة ج10ص368.

² مصطفى، عمر، القانون ص3، 167. ديورانت، ول، قصة ج5 ص4348.

³ الأسفار الخمس: روايات سجلها يهود الأسر البابلي "586 - 539ق. م"، بعد حدوثها بقرون. علي، جواد، المفصل، ج1ص196.

⁴ أنظر الجدول في الملاحق.

⁵ سورة يوسف، 74-75.

⁶ الطبري، تفسير، ج16ص182. الزجاج، معاني ج3ص121.

وكان اليهود تعرضوا للاستضعاف حدّ الاجتثاث في عهود متباعدة من التاريخ، خاصة على يد بختنصر البابلي (ت 563 ق.م) وبعض ملوك الرومان، حيث ارتحل كثير منهم إلى مصر، ولما كان "اللاجئون في أغلب هذه الأحوال مستضعفين"¹ لم يجد بعضهم بأساً من أن يعيشوا في أقصى جنوب مصر ويحتلموا ظروف الحياة فيه، وقيل ذلك ببعيد عندما تعدت القبائل السامية الفرات، في القرن الثالث عشر ق.م، فإنها حملت معها إلى العراق (بعض العبرانيين المستضعفين)، ولكن ثمة من شكك من أهل التاريخ في ما يورده اليهود عن طبيعة هذا الاستضعاف²، يقول صاحب العبودية الطوعية "مثل أولئك القوم من بني إسرائيل الذين رموا بأنفسهم إلى يدي أحد الطغاة، من دون حاجة ولا إرغام، وأنا لا أقرأ تاريخهم قط من غير أن أشعر بأقصى استياء، يكاد يدفع بي إلى موقف لا إنساني حتى البهجة بما نالهم من شذائد..."³.

وفي التراث المسيحي، فقد دعا المسيح عليه السلام، للمساواة بين البشر، وقد وهبت هذه الدعوة "البائسين، والمحطمين، والمحرومين، واليائسين، والأذلاء، جميعاً فضيلة الرحمة التي لم يكن لهم بها عهد من قبل" وأطلق اليسوعيون على أنفسهم (البؤساء) وقد انحدروا من فئات وضيعة ومناطق فقيرة في ظل الاحتلال الروماني لفلسطين⁴.

وقد تعرض المسيحيون لشتى صنوف الاستضعاف ضريبة لهذه الدعوة، ليتم إعدام بولس عام (64م) في روما على يد الملك الروماني نيرون (68م)⁵ "وصلبه منكساً، أربع عشرة سنة"، ولقي بطرس مصير بولس، وأرغم أن يرى زوجته تقاد للقتل⁶.

ولكن التراث المسيحي حفل باستضعاف فئات عديدة من الناس، حتى أن الكنيسة رحبت بحرق القائد الروماني تيطس للقدس (70م)، وسبى الآلاف منهم⁷ ورأت أن الاسترقاق نظام

¹ صالح، عبد العزيز، الشرق، ص 313، 493.

² صالح، عبد العزيز، الشرق، ص 313، 493. أنظر بتفصيل تاريخي دقيق عند: زكار، سهيل، مقدمة ص 15. حيث نفى زكار كثير من المعطيات اليهودية عن ما تعرضوا له من استضعاف.

³ بويسي، العبودية ص 159.

⁴ رستم، أسد، الروم ج 1 ص 24. ديورانت، ول، قصة ج 4 ص 3987، ج 1 ص 245.

⁵ ابن الأثير، الكامل، ج 1 ص 291. رستم، أسد، الروم ج 1 ص 30.

⁶ الطبري، تاريخ، ج 1 ص 606. رستم، أسد، الروم ج 1 ص 30. ديورانت، ول، قصة ج 4 ص 3944.

⁷ الطبري، تاريخ، ج 1 ص 606. ديورانت، ول، قصة، ج 4 ص 3942.

طبيعي لا يمكن القضاء عليه، وكانت القوانين الكنسية تحرم على العبيد أن يكونوا قساوسة أو أن يتزوجوا من المسيحيات الحرائر، وأخضعتهم لطقوس عجيبة، كمحنة الماء¹.

وكان الواقع المسيحي، حافلاً بالتناقض، حيث ظهرت إلى جوار الدعوة للمساواة، دعوات شرعت العبودية لغير الله، وحثت المظلومين على الركوع للأسياد، تحت دعوى أن المساواة إنما تكون بالروح فقط، بينما يبقى واجب الجسد أن يخضع للأسياد، فنجد بطرس (64م)، يقول "أَيُّهَا الْخُدَّامُ، كُونُوا خَاضِعِينَ بِكُلِّ هَيْبَةٍ لِلسَّادَةِ، لَيْسَ لِلصَّالِحِينَ الْمُتَرْفِّقِينَ فَقَطُّ، بَلْ لِلْعُنْفَاءِ أَيْضًا"².

على الصعيد الاجتماعي العالمي، خضعت فئات واسعة من المجتمع العالمي للاستضعاف، وقد دعم ذلك رؤى فكرية وفلسفية، لعل أهمها رؤى سقراط (ت399 ق.م)، وأفلاطون (ت348 ق.م)، وأرسطو (ت322 ق.م)، وقد أعطت المشروعات لاستمرار استعباد طبقات واسعة من الناس، بحكم طبيعة هؤلاء الناس!³، وقد التمس ماركس (ت1883م)، لهم العذر قائلاً "لعلهم كانوا يعضون الطرف عن الاستعباد الواقع على رجل واحد، إذا كان هذا سبيلاً يؤدي إلى تقدم آخر، ولكن لم يخطر ببالهم، أن يدعوا إلى استعباد الجماهير"⁴ بل إن بعض بعض الماركسيين، رأوا في الاستعباد مرحلة جديدة في تطور الحضارة الإنسانية، أدت لقفزة نوعية في عجلة التقدم الاقتصادي، وخلفت آثاراً أدبية وفنية!⁵، على أن الماركسية في الجملة، رفضت العبودية، وأظهرت مساوئها، وانتقدت المدافعين عنها⁶، لكنها حصرت الأمر في بعده

¹ القزويني، آثار البلاد، ج1ص611. ديورانت، ول، قصة ج5 ص5229. محنة الماء: أن العبد إذا اتهم، تربط يده ورجلاه ويشد في حبل، والقسيس يمشي به إلى ماء كثير يلقيه فيه، وهو يمسك الحبل، فإن طفا فهو مجرم، وإن رسب فهو بريء بزعمهم أن الماء قبله! ولا يمتحنون بالماء والنار إلا العبيد. القزويني، آثار البلاد، ج1ص611.

² الانجيل، رسالة بطرس2.

³ أفلاطون، جمهورية ص56 - 59، 90، 106 - 110، 114 - 115، 128 - 132. أرسطو، السياسة ص13. الشهرستاني، الملل، ج2ص196. ماتون، سيلفان، حقوق ص16. ربيع، محمد، مناهج ص16. الترماني، الرق ص21.

⁴ ماركس، كارل، رأس ص378.

⁵ يوماشيف، أ. ي، الاقتصاد ف3ص105. مومجيان، خاتشيك، مراحل ص66.

⁶ يوماشيف، أ. ي، الاقتصاد ف3ص112 - 140.

الاقتصادي المحض، حيث نجد انجلز (ت1895م)، يقول "إن جوهر الرق ينحصر في واقع استثمار الشغيلة التابع، ينحصر في الشكل الخاص لحيازة منتج عمل الآخرين"¹.

ووجدت مدارس فلسفية أخرى انتمت لعالم المستضعفين وانتصرت له، في نفس فترة أفلاطون ومدرسته، كالمدرسة الكلية والرواقية²، حيث كانت ترى أن الاسترقاق عمل ظالم³، وللمفارقة فقد بيع أفلاطون في سوق العبيد من قبل طاغية سراكوزة ديونيسيوس الأكبر (ت368 ق.م)، بسبب انتقاده لسياسته⁴.

ولم يبلغ الاسترقاق في يوم من الأيام ما بلغه في بلاد اليونان أو الرومان⁵، وقد بدأ المجتمع اليوناني تشكله، ضمن ثلاث طبقات، أولها الأشراف، ثم التجار والصناع وأصحاب الحرف، ثم عمال الأرض، وكان تحت هذه الطبقات الثلاث، العبيد والغرباء والمعاتيق، وقد تضخم عدد العبيد في القرن الرابع ق.م حيث بلغ عدد سكان أثينا أكثر من عشرين ألف من المواطنين، و عشرة آلاف من الغرباء المستوطنين، وأربعمائة ألف من الأرقاء، وكان الأمر مختلفاً في الريف، حيث نظروا باحتقار لسكان المدن ورأوا فيهم "طفيليون مستضعفون، أو عبيد أذنياء"⁶.

وكانت روما تعيش رفاهيتها على حساب حملاتها في الشرق والغرب، ولم تسلم منها حتى اليونان، التي اقتيد عشرات الألوف من أهلها، أسرى وسبائياً إلى شوارع روما، وشكّل الرق عماد الحياة الرومانية، فكان المجتمع بأكمله يعتمد على الرقيق، وقد تضخمت أعداد العبيد، حتى

¹ يوماشيف، أ. ي، الاقتصاد ف3ص139.

² المدرسة الكلية: سُميت بهذا الاسم لأن مؤسسها "انتستانس" اختار موضعاً لمحاضراته ساحة "كلب البحر للتدريب الرياضي" ديورانت، ول، قصة ج7ص462. ويرى الفارابي، أنها سُميت بذلك "لأن سلوك رجالها في الحياة كان يشبه سلوك الكلاب". بدوي، عبد الرحمن، الفلسفة ص206. المدرسة الرواقية: سُميت بذلك "لأن التعليم كان موضعه في رواق بمعبد مدينة أثينا" بدوي، عبد الرحمن، الفلسفة ص206.

³ ديورانت، ول، قصة ج8ص17، ج17ص143. بدوي، عبد الرحمن، الفلسفة ص206.

⁴ حلمي، أميرة، مقدمة جمهورية، ص9. الترماني، الرق ص26.

⁵ ديورانت، ول، قصة ج4ص246، ج10ص382، 422.

⁶ ديورانت، ول، قصة ج7ص45.

وصلت في روما سنة (30 ق. م) نحو نصف عدد سكانها، وكانت أرياف إيطاليا عاشت في ق 3 ق.م، في ظل مستأجرين أثقلتهم الديون، وفي روما طائفة من الصعاليك الذين لا ملك لهم، وانتشر بينهم التذمر والغضب، وما لبث ذلك أن قضى على الجمهورية التي أقامها كدح الفلاحين¹.

وفي اليابان استقر النظام الطبقي، على أربع طبقات هي، الساموراي والصناع والفلاحون والتجار، ويأتي تحت هذه الطبقات جمع غفير من العبيد، تبلغ نسبتهم ما يقرب من خمسة في كل مائة من السكان، وقوامهم المجرمون وأسرى الحرب والأطفال المخطوفون الذين باعهم خاطفوهم، وكذلك الأطفال الذين باعهم آباؤهم عبيداً في الأسواق، ويأتي دون هؤلاء العبيد أنفسهم في المنزلة الاجتماعية، طبقة من المنبوذين يسمونهم (إيتا)، يعدهم بوذيو اليابان منبوذين نجسين لأنهم يشغلون بالدباغة أو بحمل القمامة².

وفي الهند كان التقسيم الطبقي حاداً، تسنده شرائع عرفية مكتوبة، هي شرائع (مانو)³، والتي وضعت البراهمة كطبقة عليا تستقل بميزات مقدسة، ثم أشرف الكشترية، ثم (الفيزيا) وهم التجار والأحرار، وطبقة (الشودرا) وهم الصناع الذين يشملون معظم السكان الأصليين، وهم لم يكونوا عبيداً بقدر ما كانوا مأجورين على عملهم، ولو أن منزلتهم الاجتماعية كإجراء كانت تُورثت، كما هو الحال في سائر المنازل الاجتماعية، وأخيراً هناك (الباريا) وقوامهم قبائل محلية، وأسرى الحرب، ورجال تحولوا إلى عبيد على سبيل العقاب، ومن هذه الفئة التي كانت بادئ أمرها جماعة صغيرة لا تنتمي إلى طبقة من الطبقات، تكونت طبقة (المنبوذين) في الهند والتي باتت تعد بعشرات الملايين⁴.

¹ يوماشيف، أ.ي، الاقتصاد ف3ص134. ديورانت، ول، قصة، ج9ص180، ج10 ص242، 247.

² ديورانت، ول، قصة ج5 ص46.

³ تشريع مانو: تشريع أسطوري، مؤلف من 2685 بيتاً من الشعر، يرجع إلى سنة 1200 ق.م، لكن الباحثين اليوم يردونه إلى ما بعد ميلاد المسيح، وهو دليل للبراهمة المانويين، وهم فئة من رجال الدين، لكنه تطور ليصبح قانون اجتماعي، يحكم عموم الشعب الهندي. ديورانت، ول، قصة ج3 ص166.

⁴ شريعتي، علي، دين ص70-71. ديورانت، ول، قصة ج3 ص24.

وكان يؤتى بالعبيد من الهند، وكان جبلاً يقال له هندوكوش، ومعناه قاتل الهنود، لأنَّ العبيد والجواري يموت هنالك الكثير منهم لشدة البرد وكثرة الثلج، وقد اضطر بعض الهنود الأحرار لبيع أبنائهم بسبب الجوع¹.

وفي الصين، كانت الجواري رخيصات الأثمان، لأن أهل الصين أجمعين يبيعون أولادهم وبناتهم، وليس ذلك عيباً عندهم، غير أن العبيد لا يجبرون على السفر مع مشتريهم ولا يمنعون أيضاً منه إن اختاروه، وقد رُوِّع انتشار الرق في ضياع الصين الكبيرة، وانج مانج² في بداية حكمه في القرن الأول الميلادي، فلم يكن منه إلا أن ألغى الرق، كما ألغى الضياع بتأميم الأرض الزراعية، فقسمها قطعاً متساوية ووزعها على الزراع، ولكن إحدى الأسر الغنية قادت ثورة عامة قتلت وانج مانج، وألغت جميع إصلاحاته، وكان الأرقاء في الصين قد ثاروا، وقد اشتهرت ثورتهم تلك، باسم (أصحاب الحواجب الحمراء)³.

وانقسم المجتمع الساساني في بلاد فارس، إلى ثلاث طبقات، هي طبقة السادة والحكام وطبقة النبلاء وطبقة رجال الحرب، ويأتي دون هؤلاء الفلاحون والعبيد، وقد عومل الفلاحون معاملة رقيق الأرض، حيث كانوا يجبرون على القيام بأعمال السخرة، ويقادون إلى الحروب، فيقتلون هم والعبيد بالحديد كي لا يفروا من المعارك⁴.

وكانت عدة مدن فارسية، قد بُنيت لاحتواء قوافل السبي من أرض الروم، خاصة في أواخر القرن الخامس الميلادي⁵، حيث سبى كسرى أنو شروان (ت579م)، أهل أنطاكية ونقلهم إلى أرض السواد⁶.

¹ ابن بطوطة، رحلة ج3ص59. يوماشيف، أ.ي، الاقتصاد ف3ص138.

² ديورانت، ول، قصة ج4ص226. وانج مانج: مصلح صيني، كان في بادئ الأمر وصياً على العرش ثم أصبح إمبراطوراً وذلك في القرن الأول الميلادي، وكان على غناه يعيش عيشة معتدلة، ويوزع دخله على أقاربه وعلى الفقراء من أهل البلاد. ديورانت، ول، قصة، ج4ص106-107.

³ يوماشيف، أ.ي، الاقتصاد ف3ص133. ديورانت، ول، قصة ج4ص106-107.

⁴ شريعتي، علي، دين ص69. عصفور، محمد، معالم ص269.

⁵ ابن قتيبة، المعارف ج1ص664. الدينوري، الأخبار ج1ص27، 46، 66، الطبري، تاريخ ج1ص570. أنطاكية: مدينة غربي مدينة حلب، تبعد عنها بحوالي 95 ك. م، كانت مدينة عظيمه بنيت سنة 301 ق. م. وتأثرت على مرور الزمن بالغزوات والحروب، ولا تزال آثارها القديمة باقية. عامر، عبد المنعم، هامش الأخبار الطوال ج1ص63.

⁶ الطبري، تاريخ ج2ص149. ابن الجوزي، المنتظم ج2ص135. ابن الأثير، الكامل ج1ص399. علي، جواد، المفصل ج5ص223.

وكدح الفلاحون الفرس بالأرض في الملكيات الكبيرة بحيث كانوا أشبه بالرفيق، إلا أن بعض الفلاحين كانت لهم ملكياتهم الصغيرة التي يتمتعون فيها بقسط من الحرية، وكان ابن الاسكافي-صانع الأحذية- في العهد الساساني يُحرم من الدراسة، لأنه لو أكمل دراسته سينتمي إلى طبقة الكتاب، وهي طبقة أخرى أُسمى من طبقة الوضيعة¹.

وفي كل ناحية من نواحي بابل تجد ما يذكرنا بما كان يسري في الثقافات جميعها من استرقاق، وأكثر ما يلفت النظر من عقود البيع التي وصلت إلينا من عهد نبوخذ نصر²، العقود المتصلة بالعبيد، وكان مصدر هؤلاء العبيد أسرى الحروب³.

وتصور المنحوتات الآشورية صنوفاً من الأسرى، تقودهم الجيوش المنتصرة، وقد أوثقت أيدي الرجال منهم، وسياط الجلادين تلهب ظهورهم، تتبعهم النسوة، يحملن أطفالهن وأمتعتن، وهن منكسرات، ويوسم الأرقاء بوسم محمي على جلودهم، والويل لمن يمسح هذا الوسم⁴.

وكان المجتمع التدمري يتألف من طبقات عديدة، فهناك الطبقة الخاصة والطبقة العامة وأفرادهما مواطنون أحرار، وكانت الطبقة الخاصة تتألف من عدد من القبائل العربية منها بيوتات الشرف، وهي تملك الثروة والنفوذ، وتتشبه بالرومان في طراز معيشتها، وأما العامة فهي سواد الشعب وتضم العمال والفلاحين ورجال القوافل، وتأتي بعدهما طبقة العبيد⁵.

وتظهر النقوش البارزة التي خلفتها الأسرة الثامنة عشرة في مصر (1440ق.م) آفاً من العبيد يجرّون حجارة ضخمة على عروق من الخشب مطلية بالشحم⁶، فيما تُظهر نقوشاً

¹ شريعتي، علي، دين ص 69.

² عربت العرب "نبوخذ نصر" فجعلته "بختنصر". أنظر: الطبري، تاريخ، ج 1 ص 558.

³ ديورانت، ول، قصة ج 2 ص 206.

⁴ الأنصاري، فاضل، العبودية ص 23.

⁵ برو، توفيق، تاريخ ص 120.

⁶ الأنصاري، فاضل، العبودية، ص 22.

أخرى، الوزير يخرج من بيته في الصباح الباكر "ليستمع إلى مظالم الفقراء... لا يميز فيها بين الحقير والعظيم"¹.

وعندما توفي رمسيس الثالث، في عام (1225 ق. م)، كان لمعابد الكهنة من العبيد أكثر من مائة ألف عبد²، وكان لمعبد آمون أكثر من ثمانين ألف من الأرقاء يعملون في أراضيه³.

ونذكر لنا القرآن الكريم، كيف استعبد نبيّ الله يوسف، وبيع بثمن بخس دراهم معدودة (وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غَلَامٌ وَأَسْرُوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (19) وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ (20) وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِمَرْأَتِهِ أَكْرَمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا)⁴.

وانقسم المجتمع المصري، إلى طبقات، كان أدناها طبقة الكادحين من أبناء الشعب وهم المزارعون والأجراء وأصحاب الحرف الوضيعة والرقيق؛ مع أنه كان في الإمكان تحرر بعض العبيد والوصول إلى مكانة اجتماعية مرموقة، واشتهر أهل أسوان جنوب مصر، بصيد العبيد في أراضي الزنج⁵.

وفي القرن الميلادي الثاني، كان الفلاح المصري ينال من محصوله ما يكفي لحفظ حياته، ولكن لا يكفي لتشجيعه على عمله أو إعانته على تربية أسرته، وزاد مقدار ما تنزعه الحكومة منه جيلاً بعد جيل، فيما كان العبيد يعملون في مناجم الذهب ببلاد النوبة وهم عراة، في سراديب مظلمة ضيقة، وأجسامهم ملتوية، وهم متقلون بالأغلال، يسوقهم الملاحظون إلى العمل بالسياط، طعامهم حقير لا يكاد يسد الرمق، وقد هلك آلاف منهم من سوء التغذية ومن فرط

¹ ديورانت، ول، قصة ج2ص92.

² م. ن، ج2ص182.

³ عبد الهادي، جمال، تاريخ ص339.

⁴ سورة يوسف19-21.

⁵ بنيامين، رحلة ص346. يصف المفكر الإيراني شريعتي كيف كان هؤلاء العبيد قبل 5000 عام يجرون 800 مليون صخرة، من أسوان حتى القاهرة، وهي مسافة تبلغ 980 كم، لبناء الأهرامات، على مدار 130 سنة، وعندما كانت أرواحهم تُزهق، كانوا يحفرون لهم أخاديد عُرفت بمقابر العبيد، وهي اليوم لا تبدو سوى بضع صخرات، لا تبعد عن الأهرامات سوى بعد الرأس عن القدم، ولا يكثرث بها أحد! شريعتي، علي، دين ص93.

التعب وتقول بردية تسجل محنة هؤلاء "لقد خارت قوانا، وسنفر من العمل" وكان مُشغَلِيهم من اليونان، وكل الكادحين المستغلين تقريباً من المصريين أو اليهود¹.

ورغم أن الأرقاء شكّلوا اليد العاملة الرئيسية في مزارع العرش والمعابد والملكيّات الكبيرة في مصر وبلاد النوبة، وكانت أعدادهم بازياد مضطرد، نتيجة حروب الفراعنة المتصلة، إلا أن الرق لم يصبح السمة الغالبة في التكوين الاجتماعي-الاقتصادي المصري القديم، غير أن قوة العمل للفرد العادي كانت تحت تصرف الملك، وهو الذي يحدد مصيرها وحياتها كما يشاء، بشكل لا يختلف عن جوهر العبودية في بلاد الرافدين، حيث ثبت الملوك الفراعنة سيطرتهم التامة على الرعية، بشكل جعلهم خاضعين خضوع العبيد².

وفي اليمن كان العبيد على صنفين، يلخصهما قول أهل نجران عن استعباد الأشعث بن قيس (ت40هـ) لهم "لم نكن عبيد قن، إنما كُنَّا عبيد مملكة"³ والعبد القن، مَنْ كان أبوه مملوكاً لمواليه، فهو عبد بالولادة، أمّا العبد المملوك، فهو الذي غُلب على أمره فاستُعبد، وهو في الأصل حر⁴، وكان بوسع العبد أن يسترد حريته بأن يؤدي لسيدته خدمة عظيمة، أو يظهر شجاعة فائقة في موقعة حربية، أو يتفق مع سيده على أن يشتري حريته بمبلغ من المال، ويعرف ذلك باسم "المكاتبة"⁵.

¹ ماركس، كارل، رأس المال ص199. ديورانت، ول، قصة ج 8 ص81. للاطلاع أكثر على هذه العذابات، يمكن الرجوع لتاريخ ديودور الصقلي، الذي زار تلك المناطق 60-57 ق.م.

² الأنصاري، فاضل، العبودية ص25.

³ ابن الأثير، النهاية ج4ص116، 359. ابن منظور، لسان ج10ص493، ج13ص348. علي، جواد، المفصل ج8ص147، 157، ج14ص142.

⁴ ابن سلام، غريب ج3ص342. الأزهرى، تهذيب ج10ص150. الفارابي، الصحاح ج4ص1611. ابن سيده، المحكم ج6ص134، ج7ص55. الزمخشري، الفائق ج3ص229. ابن الأثير، النهاية ج4ص116، 359. ابن منظور، لسان ج10ص493، ج13ص348. علي، جواد، المفصل ج8ص147، 157، ج14ص142.

⁵ ابن حبيب، المحبر ج1ص342. البلخي، مفاتيح ج1ص39. ابن الأثير، النهاية ج4ص148. الرازي، مختار ج1ص266. ابن منظور، لسان ج1ص700. علي، جواد، المفصل ج7ص367، ج14ص153. برو، توفيق، تاريخ ص259.

ولم يختلف حال المستضعفين في الجزيرة العربية، عن غيره من مناطق الشرق كثيراً، فقد تركزت عمليات الاستضعاف في الطبقات الدنيا من المجتمع الجاهلي، إما لفقرهم وضيق ذات يدهم، وإما لطيشهم وخروجهم من مجتمعهم، ومنهم الطريد والضال والخليع، وإما لانشغالهم بحرف يدوية، وهي حرف لا تليق بأصحاب الشرف، مثل الحلاقة والحجامة والحماله وأمثالها، وأما لناحية أصلهم، مثل أن يكونوا عبيداً، أو عبيداً معتوقين¹.

ولعل غنى اللغة العربية بالمصطلحات الكثيرة التي تطلق على السادة والأشراف وعلى الفقراء والمعدمين، وغيرهم، دلالة واضحة، على وجود هذه النظرة الطبقيّة، وعلى نظرتهم لأنفسهم على أنهم غير متكافئين، ومن أبرز المصطلحات التي أطلقها العرب على عناصر الطبقات الدنيا: العبد والأمة والمولى والقن والخول والمملوك والرقيق والصعلوك والعسروط وابن غبراء والسوقة والقطين والسواد والأوباش والطغام² والعفاطة للأمة الراعية³.

ورغم المكانة الدينية التي أخذتها مكة، طوال الوقت، ورغم بعدها عن الغزوات و"الأيام" إلا ما ندر، إلا أنها كانت سوقاً رئيسياً للرقيق، وتورد الروايات أسماء شخصيات بارزة من تجار مكة، كعبد الله بن جدعان⁴، وكان من كبار النخاسين، له، جوار يساعين، ويبيع أولادهن⁵، والعباس بن عبد المطلب (ت32هـ)، وكان له "عشرونَ عبدًا كلُّهم يَضْرِبُ بِمَالٍ" ⁶ وحكيم بن حزام (ت55هـ)، الذي أعتق في الجاهلية مئة رقبة، وأعتق في الإسلام مثلها⁷. وشكّل توالد

¹ علي، جواد، المفصل ج8 ص154.

² م ن، ج8 ص135، 156-160.

³ الفارابي، الصحاح ج3 ص1144. ابن منظور، لسان ج7 ص353.

⁴ عبد الله بن جدعان: سيد قريش في الجاهلية، وفي داره كان حلف الفضول، ولما كبر حجر عليه قومه خشية أن يتلف ماله بسبب كرمه، وهو ابن عم أبي قحافة والد أبي بكر. البلاذري، أنساب ج11 ص88.

⁵ ابن قتيبة، المعارف ج1 ص576. ابن عساکر، تاريخ ج10 ص436. علي، جواد، المفصل ج7 ص96، 125. جودة، جمال، الأوضاع ص48-49.

⁶ ابن سعد، الطبقات ج4 ص10.

⁷ ابن منظور، مختصر ج7 ص238.

العبيد مصدرًا من مصادر زيادتهم، وكان ابن الأمة في عرف العرب عبداً، حتى ولو كان والده حراً، واعتبروه (هجيناً) في حال تبني والده له وتحرير أمه¹.

وكان العرب في الجاهلية لا تورث الهجين²، وتورد الروايات أسماء شخصيات بارزة، لأبناء أحرار من إماء، اعتبرهم العرف الجاهلي عبيداً "وكان العربي في الجاهلية، إذا كان له ولد من أمته استعبده"³ من أبرزهم عنتر بن شداد العبسي (ت 601م).

خلاصة القول، أن الاستضعاف قبل الإسلام، كان قد لامس جميع الطبقات الضعيفة وبقية السواد من السوقة والفلاحين وما شاكلهم، فليس لهم رأي في تسيير الأمور، ولا يستشارون في البت في أي شيء، حتى في المسائل الصميمة المتعلقة بمصيرهم، ولم يكن عالم ذلك اليوم يحفل بسواد الناس، أي: بالغالبية؛ لأن الرأي لأصحاب الوجاهة والسيادة والسلطان إذ ذاك، وفي كل مكان من أمكنة العالم⁴، وكان التمايز لاجتماعي، قد بلغ أوجه، وبلغ من تأثيره على الفئات المستضعفة حدًا، دفع بعضها إلى تفكيك علاقاتها القبلية⁵.

2- المستضعفون في مكة، بعد ظهور الإسلام

اعتنق الإسلام عقب ظهوره، كثير من العبيد والموالي والإماء، وقد أمدهم بمشاعر المساواة مع غيرهم من الخلق، وهو ما عبّر عنه عمار بن ياسر (ت 37هـ)، فيما يرويّه مَنَعَةٌ "رَأَيْتُ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ، أَسْوَدَ جَعْدًا، وَهُوَ يَقْرَأُ هَذِهِ آيَةَ: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ)⁶"⁷، ولشعورهم بالمكتسبات الروحية والاجتماعية والاقتصادية التي يحققها

¹ الهجين: ابن العربي من الأمة الراعية البيضاء التي لا تُحصَن، فإذا حُصِنَتْ فليس ولدها بهجين. ابن أحمد، العين ج3ص392. الأزهرى، تهذيب ج6ص39. ابن سيده، المحكم ج4ص169. المخصص ج1ص332. ابن منظور، لسان ج13ص431. الزبيدي، تاج ج36ص273.

² علي، جواد، المفصل ج10ص240.

³ ابن قتيبة، الشعر ج1ص243. ابن سعيد، نشوة ج1ص544.

⁴ علي، جواد، المفصل ج9ص214.

⁵ مروة، حسين، النزعات ص209.

⁶ القرآن، الروم 20.

⁷ الحاكم، المستدرک ج3ص433.

لهم، بحيث يتخلصون من تحكم سادتهم فيهم، بما يضمن مستقبلهم¹، حتى قال عمارُ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا مَعَهُ إِلَّا خَمْسَةٌ أَعْبُدُ وَأَمْرَاتَانِ، وَأَبُو بَكْرٍ»² وقد شكّل ذلك تحدياً قوياً لسادة قريش، فهؤلاء العبيد ملكاً لأسيادهم، ليس لهم حق التصرف بأيّ شأن من شؤونهم، فكيف يمكنهم التطاول باعتناق دين جديد، يعتبر آلهة قريش، حجارة لا تضر ولا تنفع³.

وكان عدد هؤلاء المستضعفين لافتاً، ممّا جعل عضاء قريش، يقولون لأبي طالب (ت619م) "لو أن ابن أخيك طرد موالينا وحلفاءنا كان أطوع له عندنا وأعظم في صدورنا، وأشاروا إلى عمار، وبلال، وابن مسعود"⁴ وهو ما عبّر عنه أبو سفيان (ت31هـ)، في إجابته على أسئلة ملك الروم هرقل (ت641م) "قَالَ: فَأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ؟ فَقُلْتُ بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ"⁵.

ومما يدل على هذه الكثرة، ذلك العدد الكبير الذي وصلوه في غزوة بدر، حيث قارب الثلث⁶، ولعل هذه النسبة الكبيرة، تدحض ما رآه بعض الباحثين، في أن الفئات المستضعفة في مكة، لم تنصر الإسلام، وأنها وقفت منه موقفاً سلبيّاً، كون الشعارات الإسلامية -بحسب رأيهم- انصبت على المفهوم الأخلاقي والغيبي للثواب والعقاب، دون المستلزمات المادية الدنيوية⁷.

¹ جودة، جمال، الأوضاع ص55. علي، جواد، تاريخ ص69.

² ابن حنبل، مسند ج1ص208. البخاري، صحيح ج5ص46.

³ ابن هشام، سيرة ج1ص372. البلاذري، أنساب ج1ص128.

⁴ البغدادي، تاريخ ج1ص487. جودة، جمال، الأوضاع ص56.

⁵ البخاري، صحيح ج1ص8. مسلم، صحيح ج3ص1363.

⁶ وصل عددهم، عند تتبع قائمة الواقدي فيمن شهد بدرًا، تسعة وخمسين حليفاً، واحداً وعشرين مولى عتاقة، فكان منهم من مهاجرة قريش، تسعة وعشرون حليفاً، وستة عشرة مولى عتاقة، ومن الأنصار، ثلاثون حليفاً، وستة موالى عتاقة. أنظر الجداول في الفصل الأخير. الواقدي، مغازي ج1ص153-168. فيما ذكرت بعض الدراسات العلمية الحديثة، أن عددهم وصل إلى خمسة وتسعين حليفاً، وأربعة عشر عبداً، وهو ما يساوي ثلث جيش المسلمين. جودة، جمال، الأوضاع ص56. ذكر ابن حبيب، أن عدد الموالى الذين حضروا بدرًا، أربعة عشر من المهاجرين، وثمانية من الأنصار، وهذا دون الحلفاء. ابن حبيب، المحبر ج1ص287. وتفصيل ذلك يأتي في الفصل الأخير.

⁷ مروة، حسين، النزعات ص337. وات، مونتجمري، محمد ص189. علي، جواد، تاريخ ص69.

وكان غالب هؤلاء المستضعفين في عمر الشباب عند إسلامهم، فلم يتجاوز منهم الأربعين عاماً إلا آل ياسر، بينما كان سنّ بلال 27 عاماً، وصهيب 20 عاماً، وخباب 22 عاماً، وابن مسعود حوالي 23 عاماً، وعامر بن فهيرة 21 عاماً، والمقداد 27 عاماً، وقد أسلموا قبل دخول دار الأرقم (55هـ)، أو بعدها بقليل، أيّ في السنة الأولى للبعثة¹.

وكان ابن سعد (ت230هـ)، ذكر في طبقاته أنه أسلم "مَنْ شَاءَ مِنْ أَحْدَاثِ الرِّجَالِ وَضُعَفَاءِ النَّاسِ حَتَّى كَثُرَ مَنْ آمَنَ بِهِ"² وحلّل المستشرق وات هذا القول، فجعل أوائل المسلمين في مكة ضمن طبقتين مختلفتين: (أحداث الرجال) طبقة و (ضعفاء الناس) طبقة أخرى³، ولأنّ ابن سعد خصّ هؤلاء الضعفاء بأسماء محددة، وهم: خباب وصهيب وعامر وبلال وعمار وسلمة وعتّاش والوليد⁴، فقد رأى وات أنّ المستضعفين كانوا طبقة صغيرة، فيما كانت طبقة الأحداث كبيرة، وينتمي كثير من أفرادها لعائلات متنفذة، ولم نجد كبيراً في السنّ من المسلمين الأوائل في مكة، ربما سوى عبيدة بن الحارث المطلبي (ت2هـ).

يفتقد تقسيم وات للدقة، فربما أنّ ابن سعد لم يقصد الفصل التام بين الأحداث والضعفاء، وما يدلّل على ذلك أنّ ابن سعد حينما أورد الضعفاء بأسمائهم بشكل محدد، وجدناه ذكر بعض الأشراف، الذين حبستهم عشائرتهم عن الهجرة إلى المدينة، وهم عتّاش والوليد وسلمة، وهم قطعاً من الأحداث، كما كان غالبية العبيد الذين أسلموا من الشباب، كما أسلفنا، وعليه فإنّ ابن سعد خلط بين الضعفاء والأحداث، ممّا يشير أنّ بين الأحداث من تمّ استضعافه، رغم كونه من الأشراف، ممّا يؤكد أنّ سادة قريش استهدفوا الأحداث، وقد رأوا في إسلامهم توجهاً ربما للقضاء على سلطتهم المطلقة في مكة.

وكان من أبرز هؤلاء الأحداث الذين أسلموا مبكراً، وتحديدًا قبل دخول دار الأرقم أو بعدها بقليل: مصعب بن عمير بن عبد الدار (ت3هـ)، وأبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي

¹ ابن عبد البر، الاستيعاب ج1ص179، ج2ص733، 438، ج3ص994، ج2ص796، ج4ص1482. ابن الأثير، أسد ج ص147.

² ابن سعد، الطبقات ج1ص156.

³ وات، مونتجمري، محمد ص175.

⁴ ابن سعد، الطبقات ج3ص122، 171، 173، 175، 187، ج4ص97.

(ت3هـ)، وجعفر بن أبي طالب الهاشمي (ت8هـ)، وخالد بن سعيد بن العاص الأموي (ت14هـ)، والزيبر بن العوام الأسدي (ت36هـ)، وطلحة بن عبيد الله التيمي (ت36هـ)، وسعيد بن زيد العدوي (ت51هـ)، وسعد بن أبي وقاص الزهري (ت55هـ)، والأرقم بن أبي الأرقم المخزومي (ت55هـ)¹، وقد تعرض عدد من هؤلاء وغيرهم لاستضعاف قريش، بشكل غير منهجي، خاصة أنه طالما قاد قريش جملة من ملئها وشيوخها، وكانت دار الندوة، وهي الهيئة القيادية فيها، لا يدخلها إلا من تجاوز الأربعين عاماً، من غير ولد قصي²، وهي ربما وجدت في إسلام شبابها نوعاً من التمرد على قيادتها التقليدية، فواجهت ذلك بقوة، فضيقت على بعضهم، واستضعفت من استطاعت منهم، وهو استضعاف يختلف عما تعرض له المستضعفون من العبيد والموالي، من حيث ديمومته وطبيعته.

وكان من مظاهر استهداف ملأ قريش لهؤلاء الأحداث، ما تعرض له مصعب بن عمير (ت3هـ) من إيذاء وحبس، وكان أبو سلمة (ت3هـ) قد فرّ إلى خاله أبي طالب (619م) ليمنعه من بني مخزوم، وخالد بن سعيد (ت14هـ) من ضرب وطرده من البيت، والزيبر (ت36هـ) من تعذيب بالدخان، وطلحة (ت36هـ) من تقييد بالحبال³.

ولما يأس قريش من تجاوب أبي طالب، ليثني محمداً صلى الله عليه وسلم "اجتمعوا وأنتمروا أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم، وبني المطلب، على أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم، ولا يبيعوهم شيئاً، ولا يبتاعوا منهم... ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة"⁴.

¹ ابن سعد، الطبقات ج3ص110. ابن الأثير، أسد ج2ص476، ج5ص175. وات، مونجمري، محمد ص175-192.

² الأزرق، أخبار ج1ص109.

³ ابن سعد، الطبقات ج3ص117. الطبري، تاريخ ج3ص161. ابن طاهر، البدء ج5ص83. ابن عبد البر، الاستيعاب ج2ص424. ابن الجوزي، المنتظم ج1ص82. جاء في تاريخ البخاري الأوسط ج1ص88: عن مسعود بن حراش بينا أنا أطوف بين الصفا والمروة إذا ناس كثير يتبعون فتى شاباً موثقاً يده في عنقه قالوا هذا طلحة بن عبيد الله صبا وأمرأة ورأهم تسبه قالوا هذه أمه. ونقل الطبري، عن الواقدي (فلما أسلم أبو بكر وطلحة بن عبيد الله أخذهما نوفل بن خويزم بن العدوية، فشدهما في حبلى واحد ولم يمنعهما بنو تميم... سمي أبو بكر وطلحة القرينين) الطبري، تاريخ ج3ص161. وقيل: إن الذي قرنهما عثمان بن عبيد الله أخو طلحة، فشدهما ليعنهما عن الصلاة. ابن الأثير، أسد، ج3ص84.

⁴ ابن إسحق، سيرة ج1ص156، 162 - 167. ابن هشام، سيرة ج1ص350. البخاري، صحيح ج2ص146. مسلم، صحيح ج2ص952.

انحاز بنو هاشم وبنو المطلب، إلى شعب أبي طالب، بما فيهم كفارهم، "أنفوا أن يُستذلوا، ويُسلّموا أحاهم لمن فارقه من قومه"، واستمر حصرهم هذا قرابة الثلاث سنوات¹، "وجهدوا حتى كانوا يأكلون الخبط وورق السمّر حتى إن أحدهم ليضع كما تضع الشاة"².

ولم تنه قريش هذه المقاطعة حتى تحرك عدداً من سادة قريش، فشقوا الصحيفة، وقد وجدوا الأرضة قد أكلتها، إلا «باسمك اللهم»³.

مات أبو طالب سنة (619م) فضاعت قريش من أذيتها للمسلمين، يقول الحاكم (ت405هـ) «وتواترت الأخبار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لما مات عمه أبو طالب، لقي هو والمسلمون أذى من المشركين بعد موته، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم حين ابتلوا وسطت بهم عسائرهم تفرقوا، وأشار قيل أرض الحبشة، وكانت أرضاً فيه ترحل إليها قريش رحلة الشتاء»⁴.

وجاء عنه صلى الله عليه وسلم: "ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب"⁵، حتى أن عمه أبا لهب كان يلاحق الرسول صلى الله عليه وسلم، بالحجارة على ملامن الناس، بل إن أبا جهل، أو غيره لطم فاطمة (ت11هـ)، فنادت يا لآل عبد شمس، وهم أقارب

¹ ابن إسحق، سيرة ج1ص156، 159. الواقدي، مغازي ج2ص828.

² نسب السهيلي قوله هذا لما جاء في الصحيح، ويقصد صحيح البخاري، عن سعد بن أبي وقاص، لكن جميع الروايات في الصحيح وغيره، ربطت قول سعد هذا بالغزو، وتحديداً سرية الخبط، وليس لذلك علاقة بحصار الشعب، فيما ذكر ابن إسحق، عن سعد بن أبي وقاص قال: لقد رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجت من الليل أبول فإذا أنا أسمع قعقة شيء تحت بولي فنظرت فإذا قطعه جلد بعير فأخذتها فغسلتها ثم أحرقتها فرضضتها بين حجرين ثم استفتقتها، فشربت عليها من الماء، فقويت عليها ثلاثاً. والمقصود بالخبط، ورق العضاة من الطلح وتحوه يُخبَطُ بالعصا، حتى يتناثر، ثم تغلفه الابل، أما ورق السمّر، فهو ثمر اللوبيا، أما أن أحدهم كان يضع كالشاة، فهو أن يكون برازه كبراز الشاة (أن نجوهم كان يخرج بعراً؛ ليبيسه من أكلهم ورق السمّر، وعدم الغذاء المألوف). ابن إسحق، سيرة ج1ص194. السرقسطي،

الدلائل ج2ص779. ابن عمرون، مشارق، ج1ص176. ابن منظور، لسان ج8ص397

³ ابن هشام، سيرة ج1ص376.

⁴ الحاكم، المستدرک ج2ص679.

⁵ ابن هشام، سيرة ج1ص416.

بني هاشم، فلم ينصرها أبو سفيان (ت31هـ)، وكان في مكان قريب¹، وقد نعى عليّ أبيه، عند موته، قائلاً:

أبا طالب مأوى الصعاليك ذا الندى... وذا اللحم لا جلفاً ولم يك قعدوا²

فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الطَّائِفِ، يَلْتَمِسُ النُّصْرَةَ مِنْ تَقِيفٍ، وَالْمَنْعَةَ، لكنهم أغروا به سفهاءهم وعبيدهم، حتى أدموه، فخرج منها ومعه زيد بن حارثة (ت8هـ)، وقد التجأ إلى بستان، وأخذ يناجي ربه "اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقَلَّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعِفِينَ..."³، ثُمَّ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ، وقد دخل في جوار المطعم بن عدي (ت2هـ)⁴، ويدلل هذا الجوار على مستوى الاستضعاف الذي وقع عليه صلى الله عليه وسلم.

وبالغت قريش في أذية العبيد والموالي، ويعبر عن ذلك ما جاء في رواية سعيد بن جبير (ت95هـ)، قَالَ: قُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ (ت68هـ): أَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَبْلُغُونَ فِيهِمْ - مِنْ الْعَذَابِ مَا يُعَذَّرُونَ بِهِ فِي تَرْكِ دِينِهِمْ؟ قَالَ: نَعَمْ وَاللَّهِ، إِنْ كَانُوا لَيَضْرِبُونَ أَحَدَهُمْ وَيَجِيعُونَهُ وَيَعْطِشُونَهُ حَتَّى مَا يَقْدِرُ أَنْ يَسْتَوِيَ جَالِسًا مِنْ شِدَّةِ الضَّرِّ الَّذِي نَزَلَ بِهِ، حَتَّى يُعْطِيَهُمْ مَا سَأَلُوهُ مِنَ الْفِتْنَةِ، حَتَّى يَقُولُوا لَهُ، أَلَلَّتْ وَالْعُرَى إِلَهُكَ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، حَتَّى إِنْ الْجَعْلَ لَيَمُرُّ بِهِمْ، فَيَقُولُونَ لَهُ: أَهَذَا الْجَعْلُ إِلَهُكَ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، افْتِدَاءً مِنْهُمْ مِمَّا يَبْلُغُونَ مِنْ جَهْدِهِ⁵.

يمكن تقسيم هؤلاء المستضعفين، الذين واجهوا محنة التعذيب في مكة، عقب ظهور الإسلام مباشرة، إلى قسمين:

¹ ابن إسحق، سيرة ج1ص232، 234. البلاذري، أنساب ج5ص8.

² ابن إسحق، سيرة ج1ص239.

³ ابن هشام، سيرة، ج1ص420. البلاذري، أنساب، ج1ص237. الطبري، تاريخ، ج2ص345. الكلاعي، الاكتفاء، ج1ص247. ابن كثير، السيرة، ج2ص150.

⁴ ابن هشام، سيرة ج1ص422.

⁵ ابن إسحق، سيرة ج1ص193. ابن هشام، سيرة ج1ص320.

• العبيد.

• الموالى¹.

والفرق بين العبد والمولى، أن العبد ملك تام لسيدته، الذي اشتراه من حرّ ماله، أو كان قد أسره في حرب فاستعبده، أمّا المولى فيمكن أن يكون عبداً نال حرّيته، فاستمر مولى لسيدته الذي أعتقه، يحتفظ تجاه سيده ببعض الارتباطات كالميراث والعاقلة وغيرها، كما يمكن أن يكون المولى حليفاً لعشيرة معينة، بعد أن دخل في حلفها، كأن يسكن في مراتعها، فيكون عليه واجبات، يؤديها لعشيرته التي حالفها².

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا جَلَسَ فِي الْمَسْجِدِ، جَلَسَ إِلَيْهِ الْمُسْتَضْعَفُونَ مِنْ أَصْحَابِهِ: عَمَارٌ، وَخَبَابٌ، وَصَهيبٌ، وَبِلَالٌ، وَأَبُو فَكِيهَةَ، وَعَامِرُ بْنُ فَهيرةٍ وَأَشْبَاهُهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فيقول بعض قريش لبعض: هؤلاء جلساؤه كما ترون، قد منّ الله عليهم من بيننا³.
فأنزل الله عز وجل: «أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ؟»⁴ ونزل فيهم: «وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ»⁵ ونزل فيهم: «وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ. الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»⁶ ونزل ونزل فيهم: «ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ»⁷.

¹ جودة، جمال، الأوضاع ص57.

² جودة، جمال، الأوضاع ص32-35، 81، 100،

³ البلاذري، أنساب ج1ص156، 197. المقرئ، إمتاع ج9ص114.

⁴ القرآن، الأنعام53. مجاهد، تفسير ص322.

⁵ القرآن، الأنعام52. مقاتل، تفسير ص563. النسائي، فضائل ج1ص39. الطبري، تفسير ج1ص378.

⁶ القرآن، النحل41-42. ابن سعد، الطبقات ج3ص188.

⁷ القرآن، النحل110. ابن سلام، تفسير ج1ص93-94. البلاذري، أنساب ج1ص198. الطبري، تفسير ج9ص103،

وَكَانَ أَبُو جَهْلٍ (ت2هـ)، يَأْتِي الرَّجُلَ الشَّرِيفَ إِذَا أَسْلَمَ، فَيَقُولُ لَهُ: أَنْتَرَكُ دِينَ أَبِيكَ وَهُوَ خَيْرٌ مِنْكَ، وَتَفِيلُ رَأْيَهُ، وَتَضَعُ شَرْفَهُ؟ وَإِنْ كَانَ تَاجِرًا، قَالَ: سَتَكْسُدُ تِجَارَتَكَ، وَيَهْلِكُ مَالُكَ. وَإِنْ كَانَ ضَعِيفًا، أَغْرَى بِهِ حَتَّى يُعَذَّبَ¹.

وكان أبرز العبيد الذين اعتنقوا الإسلام، حال ظهوره، وتعرضوا لاستضعاف قريش:

بلال بن رباح الحبشي (ت20هـ)، وكان عبداً لأمية بن خلف الجمحي (ت2هـ)، وأمه حمامة²، من مولدي مكة لبني جمح، وقيل من مولدي السراة³، وكان سيده يبطحه على وجهه في الشمس، ويضع الرحي عليه، ويقول: اكفر برب مُحَمَّدٍ، فيقول: أحد، أحد،⁴ وقد جعلوا في عنقه حبلاً من ليف فدفعوه إلى صبيانهم، فجعلوا يلعبون به بين أخشبي مكة، فإذا ملوا تركوه⁵.

وذكر مجاهد (ت104هـ)، أن بلالاً كان من أول المسلمين إظهاراً للإسلام، مع رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ، وَبِلَالٌ، وَخَبَّابٌ، وَصُهَيْبٌ، وَعَمَّارٌ، وَسَمِيَّةُ أُمُّ عَمَّارٍ، قَالَ "فَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَنَعَهُ عَمَّهُ، وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنَعَهُ قَوْمُهُ، وَأُخِذَ الْآخَرُونَ فَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرَاعَ الْحَدِيدِ ثُمَّ صَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ حَتَّى بَلَغَ الْجَهْدُ مِنْهُمْ كُلَّ مَبْلَغٍ فَأَعْطَوْهُمْ مَا سَأَلُوا، فَجَاءَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ قَوْمَهُ بِأَنْطَاعِ الْأَدَمِ فِيهَا الْمَاءُ فَأَلْقَوْهُمْ فِيهِ وَحَمَلُوا بِجَوَانِبِهِ إِلَّا بِلَالًا"⁶.

بِلَالًا"⁶.

وتقول الروايات أن جميع المستضعفين، قالوا ما أَرَادَهُ سَادَةُ قَرِيشٍ تَحْتَ التَّعْذِيبِ إِلَّا بِلَالًا، فَإِنَّهُ كَانَ إِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ فِي الْعَذَابِ قَالَ: أَحَدٌ أَحَدٌ، فَيَقُولُونَ لَهُ: قُلْ كَمَا نَقُولُ. فَيَقُولُ: إِنَّ لِسَانِي لَا يُحْسِنُهُ...وَأَخَذَهُ أَهْلُهُ فَمَطَّوهُ وَأَلْقَوْا عَلَيْهِ مِنَ الْبَطْحَاءِ وَجَلَدُوا بَقْرَةَ فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: رَبُّكَ

¹ ابن هشام، سيرة ج1ص320.

² خليفة، الطبقات ج1ص50.

³ ابن سعد، الطبقات ج3ص174-175. البلاذري، أنساب ج1ص184.

⁴ ابن الأثير، أسد ج1ص415.

⁵ أبو نعيم، معرفة ج1ص374. ابن الأثير، أسد ج1ص415.

⁶ ابن سعد، الطبقات ج3ص176. ابن أبي شيبة، مصنف ج6ص396. ابن الجوزي، المنتظم ج4ص298.

اللات وَالْعُزَّى. وَيَقُولُ: أَحَدٌ أَحَدٌ¹، فأشفق عليه الرسول صلى الله عليه وسلم، فأشار لأبي بكر لو يشتريه، فاشتراه وأعتقه، فأصبح مولى لأبي بكر².

وهاجر بلال إلى يثرب مع المهاجرين، وشارك في الغزوات كلها³، وأصبح له شأن بين المسلمين، حتى وصفه عمر بن الخطاب (ت23هـ) بالسيد، حينما قال "أبو بكر سيدنا، أعتق بلالاً سيدنا"⁴، وصار المؤذن الرسمي للرسول صلى الله عليه وسلم⁵، وهو الذي أذن فوق الكعبة الكعبة عند فتح مكة، ممّا أغاظ سادة قريش، رغم إسلامهم⁶، وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، رحل إلى الشام⁷، حيث أقام حتى توفي سنة (20هـ)⁸.

آل ياسر العنسيّ، من بني عنس: حليف بني مخزوم، قدم من اليمن، فحالف أبا حذيفة بن المغيرة، فزوجه أمةً له، يقال لها سمية بنت خياط، فولدت له عماراً فأعتقه أبو حذيفة⁹، ثم كان عمار وأبوه وأخوه عبد الله، ممن سبق إلى الإسلام¹⁰، وقد اشتهر عمار بكنيته "أبو اليقظان"¹¹.

روى عبد الله بن جعفر (ت90هـ)، وأمّ هاني بنت أبي طالب: أنّ عمار بن ياسر، وأباه ياسر، وأخاه عبد الله بن ياسر، وسُمِّيَةَ أمّ عَمَارٍ كَانُوا يُعَدُّونَ فِي اللَّهِ، فَمَرَّ بِهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ

¹ ابن هشام، سيرة ج1ص318. ابن سعد، الطبقات ج3ص174. البلاذري، أنساب ج1ص185-186.

² خليفة، الطبقات ج1ص50. البخاري، التاريخ الكبير ج2ص106.

³ ابن سعد، الطبقات ج3ص176، 180. ابن عبد البر، الاستيعاب ج1ص178.

⁴ ابن سعد، الطبقات ج3ص175. البلاذري، أنساب ج1ص186.

⁵ خليفة، الطبقات ج1ص50. البخاري، التاريخ الكبير ج2ص106.

⁶ ابن سعد، الطبقات ج3ص177.

⁷ البلاذري، أنساب ج1ص190. الطبري، تاريخ ج4ص112. البغوي، معجم ج1ص259. أبو نعيم، معرفة ج1ص373.

⁸ خليفة، الطبقات ج1ص50. أبو نعيم، معرفة ج1ص373.

⁹ ابن إسحق، سيرة ج1ص192.

¹⁰ ابن سعد، الطبقات ج3ص186-187.

¹¹ ابن سعد، الطبقات ج3ص199. البلاذري، أنساب ج1ص167. الطبري، تاريخ ج1ص172. الحاكم، المستدرک

ج3ص432.

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ، فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْجَنَّةَ¹، فَمَاتَ يَاسِرٌ فِي الْعَذَابِ، وَأَغْلَطَتْ سُمَيَّةٌ لِأَبِي جَهْلٍ، فَطَعَنَهَا فِي قُبُلِهَا، فَمَاتَتْ "وكانت عجوزاً كبيرةً ضعيفةً"² وَرُمِيَ عَبْدُ اللَّهِ، فَسَقَطَ³.

واسلم عمار هو وصهيب الرومي في يوم واحد، بَعَدَ إِسْلَامَ بِيضَعَةَ وَثَلَاثِينَ رَجُلًا⁴، وَذَكَرَ الْقُرْظِيُّ (ت117هـ)، أَنَّهُ رَأَى عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ مُنْجَرِّدًا فِي سَرَوِيلٍ، فَإِذَا فِي ظَهْرِهِ حَبْطٌ. فَقِيلَ لَهُ: مَا هَذَا؟ قَالَ: هَذَا مِمَّا كَانَتْ فُرَيْشٌ تُعَذِّبُنِي فِي رَمَضَانَ مَكَّةَ، وَكَانَ عَمَارٌ يَعْذِبُ حَتَّى لَا يَدْرِي مَا يَقُولُ⁵.

وَلَمَّا أَخَذَ الْمُشْرِكُونَ عَمَّارًا، فَعَذَّبُوهُ لَمْ يَبْرُكُوهُ حَتَّى سَبَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَكَرَ آلِهِتَهُمْ بِخَيْرٍ، فَلَمَّا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: وَاللَّهِ، مَا تَرَكَنِي الْمُشْرِكُونَ حَتَّى نَلْتُ مِنْكَ وَذَكَرْتُ آلِهِتَهُمْ بِخَيْرٍ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَكَيْفَ تَجِدُ قَلْبَكَ؟ قَالَ: مُطْمَئِنًّا بِالْإِيمَانِ، أَتَدَّ مِنَ الْحَدِيدِ، قَالَ: فَإِنْ عَادُوا، فَعُدْ، فَزَلَّتْ فِيهِ: «إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ»⁶ وَكَانَ عَمَّارٌ يَبْكِي، فَجَعَلَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَمْسَحُ عَيْنَيْهِ⁷، وَكَانَ جَلَدًا صَبُورًا، حَتَّى قَالَ عَنْهُ الْأَصْبَغُ بْنُ نَبَاتَةَ⁸ أَنَّهُ قَالَ: رَحِمَ اللَّهُ أَبَا الْيَقْطَانَ، فَإِنِّي أَرَى أَنَّهُ لَوْ شَارَكَ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي بَلَاءِهِ، صَبَرَ مَعَهُ⁹.

¹ ابن إسحق، سيرة ج1ص192. البلاذري، أنساب ج1ص160. الحاكم، المستدرک ج3ص432. أبو نعيم، حلية ج1ص140. ابن الأثير، أسد ج4ص122، ج5ص433، ج7ص152.

² ابن سعد، الطبقات ج8ص207. وذكر الزرقاني، في شرحه، أن ابن سعد روى بسند صحيح عن مجاهد أن سمية أول شهداء الإسلام. الزرقاني، شرح ج1ص496.

³ ابن حجر، الإصابة ج4ص226، ج4ص473، ج6ص500. الصالحي، سبل ج2ص360.

⁴ ابن طاهر، البدء ج4ص146، ج5ص100.

⁵ ابن سعد، الطبقات ج3ص188. البلاذري، أنساب ج1ص158.

⁶ القرآن، النحل 106.

⁷ البلاذري، أنساب ج1ص159.

⁸ ذكر ابن سعد أن الأصبغ تميمي من أصحاب علي وكان صاحب شرطته في الكوفة، وكان شيعيًا، يُضَعَفُ فِي رِوَايَتِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ. ابن سعد، الطبقات ج6ص247.

⁹ البلاذري، أنساب ج1ص175.

وقد مثَّلَ عمار وأسرته رمزية الاستضعاف، بكل جوانبها، حتى أن عمر بن الخطاب، عندما ولَّاه الكوفة، قال: **إِنَّمَا وَلَّيْتُ عَمَّارًا لِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: «وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ»**¹ وكان عَمَّار يَقُولُ: لا يَضْرِبُ رَجُلٌ عَبْدَهُ ظَالِمًا إِلَّا أُقِيدَ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ².

قُتِلَ عمار بصفين في صفر سنة (37هـ)، وهو يقاتل مع عليّ، عن أربع وتسعين سنة، ودفن هناك بصفين "وقُتِلَ وَهُوَ مُجْتَمِعَ الْعَقْلِ"³ وجاء في فضله أحاديث نبوية كثيرة، لعل أبرزها "قاتل ابن سمية، وسالبه في النار"⁴.

خباب بن الأرت (ت37هـ): من بني سعد بن زيد مناة بن تميم، أغار قوم من ربيعة على الناحية التي كان فيها، فسبوه وأتوا به الحجاز، فباعوه، فوقع إلى سباع بن عبد العزى الخزاعي، حليف بني زهرة، فوهبه لأُم أنمار بنت سباع، فأعتقته⁵، وقيل: كان مولى لعنبة بن غزوان (ت17هـ)⁶، غير أن ابن عبد البر (ت463هـ) وابن الأثير (ت630هـ) جزما أن خباب مولى عنبة شخص آخر توفي سنة (19هـ)⁷.

أسلم خباب مبكراً، حتى قيل أنه سادس ستة، غير أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، ويبدو أنه كان صاحب معرفة، فقد كان يَخْتَلِفُ إِلَى فَاطِمَةَ بِنْتِ الْخَطَّابِ، أخت عمر، يُقْرَأُهَا الْقُرْآنَ⁸، وكان أَلَكْنَ إِذَا تَكَلَّمَ بِالْعَرَبِيَّةِ، فسمي الأرت، وكان قيناً بمكة، يَعْمَلُ السُّيُوفَ، وَكَانَ قَدْ ابْتَاعَ مِنَ الْعَاصِ ابْنَ وَائِلٍ سُوْفًا عَمِلَهَا لَهُ حَتَّى كَانَ لَهُ عَلَيْهِ مَالٌ، فأبى أن يعطيه ماله، بسبب

¹ القرآن، القصص 5.

² البلاذري، أنساب ج1ص163، 166.

³ ابن سعد، الطبقات ج3ص199. البخاري، التاريخ الأوسط ج1ص85. العيني، عمدة ج1ص197.

⁴ ابن أبي عاصم، الأحاد ج2ص102. الطبراني، المعجم الكبير ج13ص539. المخلص، المخلصيات ج2ص70. الحاكم، المستدرک ج3ص437. المناوي، فيض ج4ص467.

⁵ ابن سعد، الطبقات ج3ص121. البلاذري، أنساب ج1ص176.

⁶ ابن مندة، معرفة ج1ص485. أبو نعيم، معرفة ج2ص906.

⁷ ابن عبد البر، الاستيعاب ج2ص439. ابن الأثير، أسد ج2ص147.

⁸ ابن هشام، سيرة ج1ص343.

إسلامه¹، وأخذته قريش، فجعلوا يُلصِقُونَ ظَهْرَهُ بِالْأَرْضِ عَلَى الرَّضْفِ حَتَّى ذَهَبَ مَاءُ مَنْتِيهِ، وَقَدْ اِكْتَوَى فِي بَطْنِهِ سَبْعًا، وَقَالَ: لَوْلَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَانَا أَنْ نَدْعُوَ بِالْمَوْتِ، لَدَعَوْتُ بِالْمَوْتِ، وَلَقَدْ رَأَيْتَنِي يَوْمًا أَخْذُونِي وَأَوْقِدُوا لِي نَارًا ثُمَّ سَلَقُونِي فِيهَا ثُمَّ وَضَعَ رَجُلٌ رِجْلَهُ عَلَى صَدْرِي فَمَا اتَّقَيْتُ بَرْدَ الْأَرْضِ، إِلَّا بِظَهْرِي، ثُمَّ كَشَفَ عَن ظَهْرِهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ بَرِصَ².

وقيل: كانت مولاته، أم أنمار، تأخذ الحديدَ وقد أحمتهَا، فنضعها على رأسه، فشكا ذلك إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: اللَّهُمَّ انصُرْ خَبَابًا، فاشتكت مولاته رأسها، فكانت تعوي مع الكلاب، فقيل لها: اکتوي، فكان خباب يأخذ الحديدَ قد أحمها، فكان يكوي بها رأسها. وقيل أن الذي كان يعذب خبابًا، عتبة بن أبي وقاص، والنبت عند البلاذري، أنه الأسود بن عبد يغوث³.

جاء عن الشعبي (ت105هـ)، قال: سأل عمرُ خبابًا عمًّا لقي من المشركين، فقال: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، انظرْ إلى ظهري، فنظر، فقال: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ! قَالَ خَبَابٌ: لَقَدْ أَوْقَدْتُ لِي نَارًا وَسُحِبْتُ عَلَيْهَا فَمَا أَطْفَأَهَا إِلَّا وَدَكَ ظَهْرِي⁴.

وكان خباب، أتى الكوفة حين اختطها المسلمون، فابتنى بها داراً، وتوفي بها سنة (37هـ)، وصلى عليه علي بن أبي طالب، عند رحيله من صفين، وكان أولَ مدفونٍ بظَهْرِ الْكُوفَةِ⁵.

صهيب بن سنان الرومي (ت38هـ): هو عربي نمرى، من النمر بن قاسط، لكنه عُرف بالرومي، لأن الروم سبوه وهو صغير، حيث كانت مساكن أهله في نينوى، قرب الموصل،

¹ ابن هشام، سيرة ج1ص357. البلاذري، أنساب ج1ص176.

² البلاذري، أنساب ج1ص176. أبو نعيم، معرفة ج2ص907.

³ البلاذري، أنساب ج1ص179.

⁴ ابن عبد البر، الاستيعاب ج2ص437.

⁵ ابن سعد، الطبقات ج3ص124. البلاذري، أنساب ج1ص179.

وكان أبوه سنان بن مالك، عاملاً لكسرى على الأبله¹، فأخذ لسانهم، فصار ألكن، فابتاعته منهم كلب، ثم قدمت به مكة، فاشتراه عبد الله بن جدعان التيمي منهم، فأعتقه، لكن ولده يقولون، أنه هرب من الروم حين عقل وبلغ، مع مال كثير، فقدم مكة، فحالف ابن جدعان، وأقام معه إلى أن هلك².

وجاء أن صهيب ردّ على عمر، حينما عاتبه بدعوى انتسابه للعرب: "وَأَمَّا انْتِسَابِي إِلَى الْعَرَبِ فَإِنَّ الرُّومَ سَبَّتِي صَغِيرًا فَأَخَذْتُ لِسَانَهُمْ، وَأَنَا رَجُلٌ مِنَ النَّمْرِ بْنِ قَاسِطٍ لَوْ انْفَلَقَتْ عَنِّي رَوْثَةٌ لَانْتَسَبْتُ إِلَيْهَا"³ وكان عبد الرحمن بن عوف (ت32هـ)، قد زجره قائلاً: اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَدْعُ إِلَى غَيْرِ أَبِيكَ، فَقَالَ صَهَيْبٌ «مَا يَسْرُنِي أَنْ لِي كَذَا وَكَذَا، وَأَنِّي قُلْتُ ذَلِكَ وَلَكِنِّي سُرِقْتُ وَأَنَا صَبِيٌّ»⁴، وقال المدائني (ت228هـ): سبته العرب، فوقع إلى مكة، ولم يدخل الروم قط، وإنما سمي رومياً لحمرة⁵.

وقد اشتهر بكنيته "أبو يحيى" وهي التي كناه بها الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان إسلام صهيب وعمار بن ياسر في يوم واحد⁶، وكان من المستضعفين ممن يعذب في الله، وجاء وجاء اسم صهيب في حديث مجاهد، عن السبعة الذين أظهروا الإسلام فتعرض خمسة منهم للتعذيب "فَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرَاعَ الْحَدِيدِ ثُمَّ صَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ حَتَّى بَلَغَ الْجَهْدُ مِنْهُمْ كُلَّ مَبْلَغٍ فَأَعْطَوْهُمْ مَا سَأَلُوا، فَجَاءَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ قَوْمَهُ بِأَنْطَاعِ الْأَدْمِ فِيهَا الْمَاءُ فَالْقَوْهُمْ فِيهِ وَحَمَلُوا بِجَوَانِبِهِ"⁷.

وعندما خَرَجَ صُهَيْبٌ مُهَاجِرًا إِلَى الْمَدِينَةِ، فَاتَّبَعَهُ نَفَرٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالُوا لَهُ "أَتَيْتَنَا صُعْلُوكًا حَقِيرًا، فَكُنْ مَالِكًا... ثُمَّ تَرِيدُ أَنْ تَخْرُجَ بِمَالِكَ وَنَفْسِكَ؟ فَقَالَ لَهُمْ صُهَيْبٌ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ

¹ بلدة على شاطئ دجلة البصرة في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة، وهي أقدم من البصرة، لأن البصرة مصرت في أيام عمر ابن الخطاب، وكانت الأبله حينئذ مدينة فيها مسالح من قبل كسرى، وقد افتتحها عتبة بن غزوان. الحموي، معجم ج1ص76، ج5ص88.

² ابن سعد، الطبقات ج3ص170. البلاذري، أنساب ج1ص180. ابن عبد البر، الاستيعاب ج2ص727.

³ ابن عبد البر، الاستيعاب ج2ص731.

⁴ البخاري، صحيح ج3ص81.

⁵ البلاذري، أنساب ج1ص180.

⁶ ابن سعد، الطبقات ج3ص171. أبو نعيم، معرفة ج3ص1496. ابن عبد البر، الاستيعاب ج2ص726.

⁷ ابن سعد، الطبقات ج3ص176. أبو نعيم، معرفة ج2ص906. ابن عبد البر، الاستيعاب ج4ص1865.

جَعَلْتُ لَكُمْ مَالِي أَتُخْلُونَ سَبِيلِي؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: فَإِنِّي جَعَلْتُ لَكُمْ مَالِي¹ وَلَحِقَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رِيحَ النَّبِيِّ أَبِي يَحْيَى، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ: «وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ»².³

يحدث صهيب عن معاناته مع قريش، فيقول وَلَقَدْ رَأَيْتَنِي وَلَقِيَنِي ابْنُ الْأَصْدَاءِ بِأَجْيَادٍ فَخَنَقَتَنِي حَتَّى غَشِيَ عَلَيَّ، فَبَدَرْنَا عُمُرُ إِلَيْهِ وَأَخَذَ بِجَمْعِ ثَوْبِهِ فَخَنَقَهُ بِرِدَائِهِ حَتَّى غَشِيَ عَلَيْهِ، ويضيف عن هجرته: فَأَخَذْتَنِي قَرِيشٌ فَحَبَسُونِي فَأَشْرَيْتَ نَفْسِي وَأَهْلِي بِمَالِي، وَكَانَ خِلالَ هِجْرَتِهِ قَدْ رَمَدَ بِالطَّرِيقِ وَأَصَابَتْهُ مَجَاعَةٌ شَدِيدَةٌ⁴.

شارك صهيب في كل غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم كلها⁵، وعندما طعن عمر، أمره أن يتولى الصلاة بالناس حتى يتفق أهل الشورى على تولية الخليفة الجديد، وهو الذي صلى على عمر، وتوفي صهيب سنة (38هـ) في المدينة ودفن في البقيع⁶.

عامر بن فهيرة (ت4هـ)، كان مولداً من مولدي بني أسد، أسود اللون، مملوكاً للطفيل بن عبد الله بن سخبرة، فأسلم، وهو مملوك، قَالَ ابْنُ سَعْدٍ، بِسَنَدِهِ: "كَانَ عَامِرُ بْنُ فَهَيْرَةَ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَكَانَ مِمَّنْ يُعَذَّبُ بِمَكَّةَ لِيَرْجِعَ عَنْ دِينِهِ"⁷ فاشتراه أبو بكر من الطفيل، الطفيل، فأعتقه⁸، وأسلم قبل أن يدخل رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دار الأرقم، وقد هاجر بجوار مولاه أبي بكر، مع الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان يساهم في التمويه على

¹ ابن هشام، سيرة ج1ص477. ابن سعد، الطبقات ج3ص171. البلاذري، أنساب ج1ص12.

² القرآن، سورة البقرة:207.

³ ابن سعد، الطبقات ج3ص171. ابن شبة، تاريخ ج2ص479. البلاذري، أنساب ج1ص182. ابن أبي أسامة، مسند ج2ص693.

⁴ ابن سعد، الطبقات ج3ص172. البلاذري، أنساب ج10ص293.

⁵ ابن سعد، الطبقات ج3ص172. البلاذري، أنساب ج1ص182.

⁶ ابن سعد، الطبقات ج3ص172. البلاذري، أنساب ج1ص184. ابن عبد البر، الاستيعاب ج2ص729.

⁷ ابن هشام، سيرة ج1ص259. ابن سعد، الطبقات ج3ص173. البلاذري، أنساب ج1ص193-194.

⁸ ابن إسحق، سيرة ج1ص191. ابن هشام، سيرة ج1ص259.

هجرتيهما¹، وقد شارك في غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم كلها حتى استشهد في بئر معونة سنة (4هـ)².

ويظهر من رواية سراقه بن مالك (ت24هـ)، في ملاحظته للرسول صلى الله عليه وسلم يوم الهجرة، أن عامراً كان يحسن الكتابة، ذلك أن سراقه سأل الرسول صلى الله عليه وسلم "أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ أَمْنٍ، فَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ فَهَيْرَةَ فَكَتَبَ فِي رُقْعَةٍ مِنْ أَدِيمٍ"³ ولم تكن الكتابة شائعة في ذلك الوقت "لَا يَقْرَأُ غَالِبُهُمْ وَلَا يَكْتُبُ"⁴ مما يدل على تميز عامر.

وزعم عروة بن الزبير (ت94هـ) أن عامر بن فهيرة لما قتل يوم بئر معونة، لم يوجد جسده، فيروون أن الملائكة دفنته، ويروى أن جثته طارت في السماء، مما دفع قاتله، جبار بن سلمى الكلبي، لأن يسلم⁵.

أبو فكيهة الجهمي (ت2هـ): واسمه أفلح، ويقال: يسار⁶، وجعلته بعض الدراسات شخصين مختلفين، ويقال أفلح بن يسار، وأصله من الأزدي، وينسب للأشعريين، وكان عبداً لصفوان بن أمية الجمحي (ت36هـ)، فأسلم حين أسلم بلال، فمر به أبو بكر، وقد أخذه أمية بن خلف (ت2هـ) فربط في رجله حبلاً وأمر به فجر، ثم ألقاه في الرمضاء، ومر به جعل، فقال: أليس هذا ربك؟ فقال: الله ربي، خلقتي وخلقك وخلق هذا الجعل، فغلظ عليه وجعل يخنقه، ومعه

¹ ابن هشام، سيرة ج1ص485.

² الواقدي، مغازي ج1ص349. ابن سعد، الطبقات ج3ص173-174. وبئر معونة: وَهُوَ مَاءٌ مِنْ مِيَاهِ بَنِي سَلَيْمٍ، وَهُوَ بَيْنَ أَرْضِ بَنِي عَامِرٍ وَبَنِي سَلَيْمٍ، حَيْثُ قُتِلَ عِنْدَهَا 40-70 مِنْ الْأَنْصَارِ الْقُرَاءِ الَّذِينَ بَعَثَهُمُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَنَةَ 4هـ لِلدَّعْوَةِ لِلْإِسْلَامِ بِقِيَادَةِ الْمُنْذِرِ بْنِ عَمْرٍو السَّاعِدِيِّ، مَعَ مَلَاعِبِ الْأَسْنَةِ عَامِرِ بْنِ مَالِكٍ فَغَدَرَ بِهِمْ، حَيْثُ أَوْقَعَهُمْ فِي كَمِينٍ بَنِي عَامِرٍ. الواقدي، مغازي ج1ص346-348.

³ البخاري، صحيح ج5ص57.

⁴ البخاري، صحيح ج3ص27. مسلم، صحيح ج2ص761. أبو داود، سنن ج2ص296. النسائي، سنن ج3ص139-140. ابن حجر، فتح ج9ص8.

⁵ ابن سعد، الطبقات ج3ص173.

⁶ ابن عبد البر، الاستيعاب ج4ص1582. ابن حجر، الإصابة ج6ص532. ابن الأثير، أسد ج5ص482.

أخوه أبي بن خلف (ت3هـ)، يقول: زده عذاباً حتى يأتي محمد فيخلصه بسحره، ولم يزل على تلك الحال حتى ظنوا أنه قد مات، ثم أفاق، فاشتراه أبو بكر، وأعتقه¹.

ويقال: إن بني عبد الدار كانوا يُخْرِجُونَهُ نِصْفَ النَّهَارِ فِي حُرٍّ شَدِيدٍ فِي قَيْدٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَيَلْبَسُ ثِيَابًا، وَيَبْطَحُ فِي الرَّمْضَاءِ، ثُمَّ يُؤْتَى بِالصَّخْرَةِ، فَتُوضَعُ عَلَى ظَهْرِهِ حَتَّى لَا يَعْقِلَ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا كَانَ لَهُمْ، فَأَخْرَجُوهُ يَوْمًا مَقِيدًا نِصْفَ النَّهَارِ إِلَى الرَّمْضَاءِ، وَوَضَعُوا عَلَى صَدْرِهِ صَخْرَةً حَتَّى دَلَعَ لِسَانَهُ، وَقِيلَ: قَدْ مَاتَ، ثُمَّ أَفَاقَ².

وذكر ابن سعد (ت230هـ) وغيره، في ترجمتهم لأبي فكيهة، أنه هاجر إلى الحبشة³، لكن اسمه لم يرد في قوائم ابن اسحق (ت151هـ) وابن هشام (ت213هـ) والبلاذري (ت279هـ)، والذي ذكره ابن إسحق، هو اسم: فُكَيْهَةُ بِنْتُ يَسَارٍ، وهي زوجة الخَطَّابِ بْنِ الْحَارِثِ الْجَمْحِيِّ⁴، فربما حصل خلط في الأسماء، وكانت وفاته في المدينة قبل بدر⁵.

أم عبيس: كانت فتاة لبني تيم بن مرة، فأسلمت أول الإسلام، وهي زوج كريز بن ربيعة بن حبيب ابن عبد شمس، وكانت ممن استضعفه المشركون، فعذبوها، فاشتراها أبو بكر فأعتقها⁶، وكنتيت بابنها عبيس بن كريز، فيما يقول البلاذري أنها كانت أمة لبني زهرة، وكان الأسود بن عبد يغوث يعذبها⁷.

زنيرة الرومية: أسلمت في أول الإسلام، وكانت مولاة لبني مخزوم، فكان أبو جهل يعذبها، وكان أبو جهل (ت2هـ) يتساءل، قائلاً: أفسقتنا زنيرة إلى رشد، وهي من ترون؟ ذلك أنها كانت قد عُدِّبَتْ حَتَّى عُمِيَتْ، فقال لها أبو جهل: إن اللات والعزى فعلتا بك ما ترين، فقالت،

¹ البلاذري، أنساب ج1ص195. جودة، جمال، الأوضاع ص55.

² ابن سعد، الطبقات ج3ص188، ج4ص92، 123. البلاذري، أنساب ج1ص158، 195.

³ ابن سعد، الطبقات ج4ص92.

⁴ ابن إسحق، سيرة ج1ص143، 225. ابن سعد، الطبقات ج4ص152.

⁵ ابن الأثير، أسد ج6ص241.

⁶ ابن إسحق، سيرة ج1ص191. البلاذري، أنساب ج1ص196-197.

⁷ البلاذري، أنساب ج1ص196.

وهي لا تبصره: "وما تدري اللات والعزى، من يعبدهما ممن لا يعبدهما، ولكن هذا أمر من السماء، وربى قادر على أن يرد بصري"¹ فأصبحت من تلك الليلة وقد رد الله عليها بصرها. فقالت قريش: هذا من سحر محمد².

وقيل: كانت مولاة بني عبد الدار، ولبنى عدي، حتى أن عمر بن الخطاب، كان يعذبها خنقاً حتى تسترخي بين يديه، هي ولبيبة، ولما رأى أبو بكر ما ينالها من العذاب، اشتراها فأعتقها، وهي أحد السبعة الذين أعتقهم أبو بكر³.

لبيبة، أو لبيبة، جارية بني المؤمل، وهم حي من بني عدي: أسلمت قبل عمر بن الخطاب، فكان عمر يعذبها حتى يفتر، فيدعها، ثم يقول: أما إنني أعتذر إليك بأني لم أدعك إلا عدامة، فتقول: كذلك يعذبك الله⁴، وروي عن حسان بن ثابت (ت40هـ)، أنه قال: قدمت مكة معتمراً، والنبي صلى الله عليه وسلم يدعو الناس، وأصحابه يؤذون ويعذبون. فوقفت على عمر، وهو مؤتزر يخنق جارية بني عمر بن المؤمل حتى تسترخي في يديه. فأقول: قد ماتت. ثم يخلي عنها، ثم يثب على زنيرة، فيفعل بها مثل ذلك، فاشترها أبو بكر وأعتقها⁵.

النهدية: مولدة لبني نهد بن زيد، فصارت لامرأة من بني عبد الدار⁶، فأسلمت، فكانت سيدتها تعذبها وتقول: والله لا أقلعت عنك أو يعتقك بعض من صباتك، فمر بها أبو بكر ومعها ابنتها، وقد بعنتهما سيدتتهما بطحين لها، وهي تقول: واللّه لا أعتقكما أبداً، فقال أبو بكر: حل يا أمّ فلان، فقالت: حل، أنت أفسدتهم فأعتقهم، قال: فيكم هماً؟ قالت: بكذا وكذا، قال: قد أخذتُهما وهما حُرّتان، أرجعاً إليها طحينها، قالتا: أو نفرغ منه يا أبا بكرٍ ثم نردّه إليها؟ قال: وذلك إن شئتما⁷.

¹ ابن إسحق، سيرة ج1ص191. البلاذري، أنساب ج1ص196.

² ابن سعد، الطبقات ج8ص201. البلاذري، أنساب ج1ص196.

³ ابن الأثير، أسد ج7ص124.

⁴ ابن سعد، الطبقات ج8ص201. البلاذري، أنساب ج3ص195.

⁵ ابن إسحق، سيرة ج1ص191. البلاذري، أنساب ج3ص195.

⁶ المقرئ، إمتاع ج9ص

⁷ ابن إسحق، سيرة ج1ص191. ابن سعد، الطبقات ج8ص201.

هؤلاء أبرز العبيد الذين ذكرتهم الروايات بالاسم، ولم تذكر أحداً غيرهم، وهم الذين عناهم أبو فحافة (ت14هـ)، حينما خاطب ابنه أبا بكر: يَا بُنَيَّ، إِنِّي أَرَاكَ تُعْتَقُ رِقَابًا ضِعَافًا، فَلَوْ أَنَّكَ إِذْ فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ أَعْتَقْتَ رِجَالًا جُلْدًا يَمْنَعُونَكَ وَيَقُومُونَ دُونَكَ؟ قَالَ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا أُمَّتُ، إِنِّي إِنَّمَا أُرِيدُ مَا أُرِيدُ، لِلَّهِ¹.

أما الموالي الذين طالتهم يد قريش بالتعذيب، عند مبعث الإسلام مباشرة، فهم كما يلي:

عامرُ بنُ ربيعةَ (ت35هـ)، حليفُ آلِ الخطابِ من بني عدي، وامرأتهُ ليلى بنتُ أبي حنمة: وهو صحيح النسب في وائل، ونسبه بعضهم إلى مذحج في اليمن، حالف الخطاب، فتبناه، أسلم قديماً قبل أن يدخل رسولُ الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - دار الأرقم وقبل أن يدعو فيها، وهاجر إلى أرض الحبشة الهجرتين جميعاً ومعه امرأته ليلى بنتُ أبي حنمة العدوية².

تعرض عامر وزوجته ليلى لأذى وبلاء شديد من حليفهم عمر بن الخطاب، قبل إسلامه، وذلك وفق ما أوردته بعض كتب السنن، على لسان زوجة عامر "كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَلَيْنَا فِي إِسْلَامِنَا"³ وقد "أَقْبَلَ عُمَرُ حَتَّى وَقَفَ عَلَيَّ وَهُوَ عَلَى شِرْكِهِ، قَالَتْ: وَكُنَّا نَلْقَى مِنْهُ الْبَلَاءَ أَدَى لَنَا وَشَرًّا عَلَيْنَا، فَقَالَتْ: فَقَالَ: إِنَّهُ لَانْطَلِقُ يَا أُمَّ عَبْدِ اللهِ، قَالَتْ: قُلْتُ: نَعَمْ، وَاللَّهِ لَنَخْرُجَنَّ فِي أَرْضِ اللهِ، أَذِيْمُونَا وَقَهْرْتُمُونَا، حَتَّى يَجْعَلَ اللهُ لَنَا مَخْرَجًا"⁴.

وكان وزوجته، من أول المهاجرين إلى المدينة⁵، وشهد بدرًا وأحدًا والخندق والمشاهد كلها⁶، وعقد له عمر لواء الجابية في خلافته، وعند الثورة على عثمان، لزم عامر بيته، وما خرج منه إلا جنازة، فمات بعد عثمان ببضعة أيام سنة (35هـ)⁷.

¹ ابن إسحق، سيرة ج1ص192. ابن سعد، الطبقات ج8ص201.

² ابن سعد، الطبقات ج3ص295-296. البلاذري، أنساب ج1ص218.

³ الطبراني، المعجم الكبير ج25ص29.

⁴ ابن حنبل، فضائل، ج1ص279. الضبي، أمالي، ج1ص74.

⁵ ابن سعد، الطبقات ج1ص175. الطبري، تاريخ ج2ص369.

⁶ ابن سعد، الطبقات ج3ص296.

⁷ ابن سعد، الطبقات ج3ص296. خليفة، طبقات ج1ص57. البلاذري، أنساب ج1ص218.

عبد الله بن مسعود (ت32هـ)، من هذيل، حليف بني زهرة: أسلم مبكراً، وأظهر إسلامه، كان راعياً لعقبة بن أبي معيط (ت2هـ)، اشتهر بابن أم عبد، نسبة لأمه، هاجر للحبشة¹.

أول من جهر بالقرآن، فتعرض بسبب ذلك لضرب مبرح من رجال قريش²، لم ترد روايات عن تعرضه لاستضعاف دائم كعمار وصهيب، لكن باعتباره حليفاً في مكة، ولما تعرض له من ضرب عند جهره بالقرآن، فقد ترجح لنا أنه كان من المستضعفين، وذكر ابن إسحق، عن المطعم بن عدي (ت2هـ)، قال: كان ابن مسعود أول من أفضى القرآن بمكة وعُذّب في رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجاء عنه في روايته لأذية زعماء قريش للرسول صلى الله عليه وسلم، بعد وفاة أبي طالب (ت619م) "وَأَنَا قَائِمٌ لَأَسْتَطِيعُ أَنْ أَتَكَلَّمَ لَيْسَ عِنْدِي عَشِيرَةٌ تَمْنَعُنِي"³.

وعندما هاجر للمدينة، وأقطعه الرسول صلى الله عليه وسلم أرضاً "قَالَ حَيٌّ مِنْ بَنِي زُهْرَةَ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو عَبْدِ بْنِ زُهْرَةَ: نَكَبَ عَنَّا ابْنُ أُمِّ عَبْدِ، فَقَالَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَلِمَ؟ أَيْبَعْتَنِي اللَّهُ إِذَا؟ إِنَّ اللَّهَ لَا يُقَدِّسُ قَوْمًا لَا يُعْطَى الضَّعِيفُ مِنْهُمْ حَقَّهُ"⁴، فكان يُنظر إليه باعتباره ضعيفاً، وهذا في المدينة بعد الهجرة، فكيف يمكن تصور وضعه في مكة عندما أسلم وجهر بإسلامه، وهو حليف لبني زهرة، ولم يكن أصيلاً فيهم؟ الأرجح أنه كان يتعرض لتعذيب منهجي، لكن الروايات ربما لم تسلط عليه الضوء أكثر، لسبب لم يتضح بعد.

ومما يدل على ذلك أيضاً، أنه عندما كان يجهز على أبي جهل في بدر، رأينا غيظ أبي جهل عندما اعتلى ابن مسعود صدره، فقال له أبو جهل "لقد ارتقيت يا رويعي الغنم مرتقى صعباً"⁵ وقال أيضاً "فلو غير أكار قتلني"⁶ وعندما قال ابن مسعود "إِنِّي قَاتِلُكَ يَا أَبَا جَهْلٍ! قَالَ:

¹ ابن سعد، الطبقات ج3ص112.

² ابن إسحق، سيرة ج1ص186. ابن سعد، الطبقات ج3ص114. الطبري، تاريخ ج2ص335.

³ ابن إسحق، سيرة ج1ص186. أبو نعيم، دلائل ج1ص266.

⁴ ابن سعد، الطبقات ج3ص112. البلاذري، أنساب ج1ص216.

⁵ الطبري، تاريخ ج2ص455.

⁶ المقرئ، إملاعات ج12ص154. العامري، بهجة ج1ص185.

لَسْتُ بِأَوْلَ عَبْدٍ قَتَلَ سَيِّدَهُ! أَمَا إِنَّ أَشَدَّ مَا لَقِيْتَهُ الْيَوْمَ فِي نَفْسِي لِقَتْلِكَ يَايَا، أَلَا يَكُونُ وَلِيَّ قَتَلِي رَجُلٌ مِنَ الْأَحْلَافِ أَوْ مِنَ الْمُطَبِّينِ!¹، ويشير وصف أبو جهل لابن مسعود بالعبد الذي يقتل سيده، إلى طبيعة وضعه في مكة، وكان أبو جهل صريع ضربات ابني عفراء، معوذ ومعاذ الأنصاريان، وقد شهد ابن مسعود المشاهد كلها في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم.²

كان ابن مسعود ملازماً للرسول صلى الله عليه وسلم، فكان سواده، يقوم على خدمته³، وقد ولَّاه عمر بيت مال الكوفة مع عمار أميراً سنة (21هـ)⁴، وامتاز بعلم خاص بالقرآن، حتى اشتهر عنه مصحف خاص⁵، وقد امتحن في زمن عثمان، بسبب هذا المصحف⁶، وكان عُثْمَانُ حَرَمَهُ عَطَاءَهُ سَنَتَيْنِ، وعندما مات سنة (32هـ) أوصى عماراً أن يصلي عليه هو، لا عثمان⁷، رغم ما قيل عن مصالحة عثمان له قبل موته، والثبت عند ابن سعد والبلاذري، أن عثمان هو مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ⁸.

المقداد بن عمرو (ت33هـ)، من بهراء، وقيل من كندة، وإِنَّمَا قِيلَ لَهُ ذَلِكَ، لأنه أصاب دماً في بهراء، فهرب منهم إلى كنده فحالفهم، ثُمَّ أَصَابَ فِيهِمْ دَمًا فَهَرَبَ إِلَى مَكَّةَ، وقيل إنه كان عبداً حبشياً، لكن صاحب الاستيعاب نفى ذلك بشدة، والصحيح أَنَّهُ بَهْرَاوِي، إِنَّمَا حَالَفَ الْأَسْوَدَ بْنَ عَبْدِ يَغُوْثَ الزُّهْرِيَّ: وَتَبَّاهُ⁹.

¹ الواقدي، مغازي ج1 ص90.

² الواقدي، مغازي ج1 ص91، 149. ابن سعد، الطبقات ج3 ص111.

³ ابن سعد، الطبقات ج3 ص113. البلاذري، أنساب ج11 ص217.

⁴ الطبري، تاريخ ج4 ص139. ابن عبد البر، الاستيعاب ج3 ص992. ابن حجر، الإصابة ج4 ص201.

⁵ ابن سعد، الطبقات ج2 ص262-263.

⁶ عَنْ شَقِيقِ أَبِي وائِلِ الْكُوفِيِّ، قَالَ: لَمَّا أَمَرَ عُثْمَانُ فِي الْمَصَاحِفِ بِمَا أَمَرَ قَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ خَطِيْبًا، فَقَالَ: أَيُّمْرُونِي أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى قِرَاءَةِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ أَخَذْتُ مِنْ فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْعِينَ سُورَةً، وَإِنْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ لَذُو ذَوَابَةِ يَلْعَبُ بِهِ الْعُلَمَانُ، وَاللَّهُ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْءٌ إِلَّا وَأَنَا أَعْلَمُ فِي أَيِّ شَيْءٍ نَزَلَ، وَمَا أَحَدٌ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ مِنِّي وَلَوْ أَعْلَمَ أَحَدًا تَبْلَغْنِيهِ إِلَّا بِلِأَلِّ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ مِنِّي لِأَثْبِتَهُ، ثُمَّ اسْتَحْيَى مِمَّا قَالَ، فَقَالَ: وَمَا أَنَا بِخَيْرِكُمْ. قَالَ شَقِيقٌ: فَفَعَدْتُ فِي الْحَلْقِ، فِيهَا أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَا سَمِعْتُ أَحَدًا أَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَلَا رَدَّ مَا قَالَ. ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ، الْاِسْتِيعَابُ ج3 ص993.

⁷ ابن سعد، الطبقات ج3 ص119. البلاذري، أنساب ج11 ص228.

⁸ ابن سعد، الطبقات ج3 ص118. البلاذري، أنساب ج11 ص226.

⁹ ابن إسحق، سيرة ج1 ص225. ابن عبد البر، الاستيعاب ج4 ص1480.

كان من أوّل المسلمين إظهاراً للإسلام في مكة، وقد ورد اسمه في رواية مشهورة، أنه كان من السبعة الأوّل، الذين عُدّبوا في الله¹، هاجر إلى الحبشة، في الهجرة الثانية، وعندما هاجر المسلمون إلى المدينة، لم يستطع الهجرة، إلا بعد أن تحايل على قريش، وقد ذكره العامريّ في بهجة المحافل قائلاً "وفرّ الى المسلمين يومئذ المقداد بن عمرو البهراني وعتبة بن غزوان المازني وكانا من المستضعفين بمكة وكان على المشركين يومئذ عكرمة بن أبي جهل (ت15هـ)"² فيما ذكره ابن عبد البر (ت463هـ)، بقوله "ولم يقدر على الهجرة ظاهراً، فأتى مع المشركين من قريش هوّ وعتبة بن غزوان ليتوصلا بالمسلمين، فانحازا إليهم، وذلك في السرية التي بعث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدة بن الحارث (ت2هـ)"³.

وقد أقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني حديلة، وكان أول من عدا به فرسه في سبيل الله، فلم يكن للمسلمين يوم بدر غير فرسين، أحدهما كان مع المقداد⁴، وقد روي في فضله عدة أحاديث، لعل أشهرها «إن الله عزّ وجلّ أمرني بحبّ أربعة، وأخبرني أنه يحبهم: عليّ، والمقداد، وأبو ذرّ، وسلمان»⁵ واعتبره ابن عبد البر من الفضلاء النجباء الكبار، وذكره في النجباء الأربعة عشر، وعندما رفض عبد الرحمن بن عوف، تزويجه ابنته وأغلظ له، زوجّه الرسول صلى الله عليه وسلم ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب، توفي المقداد سنة (33هـ) في عهد عثمان فجعل عثمان يُنثي على المقداد بعد ما مات، فقال الزبير بن العوام (ت36هـ):

لا أُلْفِيَنَّكَ بَعْدَ الْمَوْتِ تَنْدُبِي... وَفِي حَيَاتِي مَا زَوَّدْتَنِي زَادِي⁶.

¹ ابن ماجه، سنن ج1ص53. ابن أبي شيبة، مصنف ج6ص396. ابن حنبل، مسند ج6ص382. البزار، مسند ج5ص233. ابن حبان، صحيح ج15ص558. ابن عبد البر، الاستيعاب ج1ص178. البيهقي، دلائل ج2ص281. ابن كثير، سيرة ج1ص436.

² ابن هشام، سيرة ج1ص592. العامري، بهجة ج1ص177.

³ ابن عبد البر، الاستيعاب ج4ص1481.

⁴ الواقدي، مغازي ج1ص27. ابن هشام، سيرة ج1ص666. ابن سعد، الطبقات ج3ص120.

⁵ الطبري، تاريخ ج1ص551. ابن عبد البر، الاستيعاب ج4ص1482.

⁶ ابن سعد، الطبقات ج3ص120-121. ابن عبد البر، الاستيعاب ج4ص1481.

فقد عُرف عن المقداد معارضته الدائمة لنهج عثمان (ت35هـ)، وكان المقداد عارض
استخلاف أبي بكر وعمر وعثمان، اعتقاداً منه بحق عليّ في الخلافة، وقد بقي على ذلك حتى
وفاته¹.

عتبة بن غزوان المازنيّ (ت17هـ)، حليف بني نوفل بن عبد مناف، أسلم قديماً،
تعرض لأذى قريش حتى ورد عنه أنه قال "ولقد رأيتني مع رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
سابع سبعة، ما لنا طعام إلا ورق الشجر، حتّى قرحت أشداقنا"².

هاجر إلى الحبشة، وذكره العامري في البهجة أنه فرّ مع المقداد إلى المدينة، وأنه كان
من المستضعفين³، وشارك في الغزوات والفتوحات، حيث افتتح الأبلّة، ودستميسان⁴، ولّاه عمر
البصرة بعد أن كان أول من نزلها واختطها، وتوفي سنة (17هـ) في الربذة، وهو عائد من
الحج إلى البصرة⁵.

نلحظ من هذا الاستضعاف الذي تعرض له هؤلاء الموالى وجميعهم من الحلفاء، أنّ
قريباً تمادت في مواجهتها للإسلام، فلم يقتصر أذاها على العبيد، بل امتد ليطل كل من فقد
المنعة والحماية، ولكن طبيعة الاستضعاف هنا تختلف من حيث النوعية عن ما تعرض له
العبيد، فلم نجد تعذيباً جسدياً منهجياً ودائماً، كما تعرض بلال وعمار وأبو فكيهة وزنيرة،
وغيرهم، فالأمر لم يتجاوز الأذى والبلاء حسبما عبّرت امرأة عامر، أو الضرب مرة أو مرات
متباعدة كما حصل مع ابن مسعود، أو المنع من الهجرة حسبما رأينا مع عتبة والمقداد.

¹ ابن قيس، كتاب ج1ص592-594. الطبري، تاريخ ج4ص233.

² ابن عبد البر، الاستيعاب ج3ص1026.

³ ابن هشام، سيرة ج1ص592. العامري، بهجة ج1ص177.

⁴ سبق تعريف الأبلّة عند الحديث عن صهيب، أمّا دستميسان فهي كورة جليّة بين واسط والبصرة والأهواز وهي إلى
الأهواز أقرب. الحموي، معجم ج2ص455.

⁵ ابن عبد البر، الاستيعاب ج3ص1027. الربذة: من قرى المدينة على ثلاثة أيام قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز
الحجاز إذا رحلت من فيد تريد مكة، وبهذا الموضع قبر أبي ذر الغفاري. ياقوت، معجم ج3ص24.

المستضعفون في مكة، بعد هجرة المسلمين إلى المدينة:

هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم، والغالبية العظمى من المسلمين، إلى يثرب، لكن عدداً منهم لم يهاجروا إما لنقاعسهم، وانسياقهم وراء مصالحهم وأموالهم، كالذين كشفهم القرآن بقوله (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا)¹ وقد ذكر المؤرخون والمفسرون بعضهم بالاسم، وهم: قيس بن الفاكه بن المغيرة، والحارث بن زمعة بن الأسود، وقيس بن الوليد بن المغيرة، وأبي العاص بن مُنَبِّه بن الحجاج وعلي بن أمية بن خلف، وقُتِلوا جميعاً في بدر².

لكن عدداً من المسلمين لم يهاجروا، فاستنابهم القرآن من الهجوم، بقوله (إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَوْ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (98) فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا)³ فقد منع هؤلاء عجزهم عن الهجرة، للمرض أو الفقر، أو الجهل بطريق المدينة، أو لحبسهم ومنعهم عن الهجرة بالقوة، أو حتى لعدم وعيهم بأهمية الهجرة وحيويتها في الصراع مع قريش، وقد اعتبر القرآن، كما الأحاديث، وكذلك الرواة، اعتبروا هؤلاء مستضعفين، حتى لو لم يقع عليهم العذاب الجسدي، إن مجرد بقائهم في مكة يخفون إسلامهم، ولا يقيمون شعائرهم كما ينبغي، يجعلهم في عداد المستضعفين، وإن كان استضعاف دون استضعاف، لذلك سنركز حديثنا هنا، على مَنْ تعرض لمحنة مباشرة فقط، ولعل الروايات أكثر ما ركزت، على ثلاثة مستضعفين منهم، خصَّهم البخاري في صحيحه، ولم يذكر غيرهم، وهم سلمة وعياش والوليد، وثلاثتهم من الأشراف⁴.

ويبدو أنه كان هناك بعض المؤمنين في مكة، لم يكن يعرفهم حتى المسلمون في المدينة، وهم الذين نزل فيهم قوله تعالى (هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا

¹ القرآن، النساء 97.

² ابن إسحق، سيرة ج1ص309. ابن سعد، الطبقات ج1ص157. الطبري، تفسير ج9ص105.

³ القرآن، النساء98-99.

⁴ البخاري، صحيح ج2ص26. البلاذري، أنساب ج1ص197. الطبري، تفسير ج9ص100-109. الطبطباتي، الميزان ج5ص51-60.

أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ وَلَوْ لَأَ رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوُّهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعْرَةٌ
بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا¹ قال
الضحَّاك بن مزاحم (ت100هـ): "لولا أولئك المستضعفون لو قد تزَيَّلوا، لعذبنا الذين كفروا
منهم"² فكان هؤلاء سبباً يحول دون السماح للمسلمين باجتياح مكة.

ويوضح ابن عباس (ت68هـ)، جوّ مكة في تلك الفترة، فيقول "قَدْ كَانَ مَنْ كَانَ مِنَّا
بِمَكَّةَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ قَدْ أَسْلَمُوا فَكَانُوا يَكْتُمُونَ إِسْلَامَهُمْ وَيَخَافُونَ يُظْهِرُونَ ذَلِكَ فَرَقًا مِنْ أَنْ يَنْبَغَ
عَلَيْهِمْ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ فَيُؤْتَفُّوا كَمَا أُوتِفَّتْ بَنُو مَخْرُومٍ سَلَمَةَ بِنْتُ هِشَامٍ وَعَبَّاسَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ
وغيرَهُمَا"³ ويعقب ابن سعد على هذه الرواية، مضيفاً "فَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لَأَصْحَابِهِ يَوْمَ بَدْرٍ: مَنْ لَقِيَ مِنْكُمْ الْعَبَّاسَ وَطَالِبًا وَعَقِيلًا وَتَوْفَلًا وَأَبَا سُفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ - فَلَا
تَقْتُلُوهُمْ فَإِنَّهُمْ أُخْرِجُوا مُكْرَهِينَ"⁴.

وعندما نزل قوله تعالى (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً
لِلنَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ)⁵ كَتَبَ بِهَا الْمُهَاجِرُونَ إِلَى مَنْ بِمَكَّةَ مُسْلِمًا، فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْكِتَابُ بِمَا نَزَلَ فِيهِمْ
قَالُوا: اللَّهُمَّ، إِنَّ لَكَ عَلَيْنَا إِنْ أَفْلَتْنَا أَلَّا نَعْدِلَ بِكَ أَحَدًا! فَطَلَبَهُمْ أَبُو سُفْيَانَ وَالْمُشْرِكُونَ، فَأَعْجَزُوهُمْ
هَرَبًا فِي الْجِبَالِ حَتَّى قَدِمُوا الْمَدِينَةَ⁶.

وَأَشْتَدَّ الْبُلَاءُ عَلَى مَنْ رَدَّوْا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَضَرَبُوهُمْ وَأَذَوْهُمْ، وَأَكْرَهُوهُمْ عَلَى تَرْكِ
الْإِسْلَامِ، وَزَادَ حَالَهُمْ حَرَجًا عِنْدَمَا ارْتَدَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَرْحٍ (ت37هـ)، وَكَانَ مِنْ كِتَابَةِ الْوَحْيِ،
فَقَالَ لِقُرَيْشٍ: مَا كَانَ يُعَلِّمُهُ إِلَّا ابْنُ قَمْطَةَ، عَبْدٌ نَصْرَانِيٌّ، قَدْ كُنْتُ أَكْتُبُ لَهُ فَأُحْوَلُ مَا أَرَدْتُ⁷.

¹ القرآن، الفتح25.

² الطبري، تفسير ج22ص249، 251.الثعلبي، تفسير ج9ص62.

³ ابن سعد، الطبقات ج4ص3.

⁴ ابن سعد، الطبقات ج4ص7.

⁵ القرآن، العنكبوت10.

⁶ الواقدي، مغازي ج1ص74.

⁷ م. ن، ج1ص74.

وأبرز المستضعفين في تلك المرحلة، هم:

سَلَمَةُ بْنُ هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةَ (ت14هـ)، من بني مخزوم، وهو أخ أبي جهل، وكان قديم الإسلام بمكة وهاجر إلى أرض الحبشة، ثم رجع من أرض الحبشة إلى مكة فحبسه أبو جهل وضربه وأجاعه وأعطشه فدعا له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قنوت صلاة الفجر: "اللَّهُمَّ أَنْجِ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ وَسَلْمَةَ بْنَ هِشَامٍ وَعِيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ بِمَكَّةَ، اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا سِنِينَ كَسِينِي يَوْسُفَ"¹، ثُمَّ أَفَلَتَ سَلْمَةُ فَلَحِقَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ وَذَلِكَ بَعْدَ الْخَنْدَقِ (5هـ)²، فَقَالَتْ أُمُّهُ ضُبَاعَةَ:

اللَّهُمَّ رَبَّ الْكَعْبَةِ الْمُسَلَّمَةِ... أَظْهَرَ عَلَى كُلِّ عَدُوٍّ سَلْمَةَ³

فَلَمْ يَزَلْ مَعَهُ إِلَى أَنْ قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَرَجَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الشَّامِ حِينَ بَعَثَ أَبُو بَكْرٍ الْجُبُوشَ بِجِهَادِ الرُّومِ، فَقُتِلَ سَلْمَةُ بِمَرْجِ الصُّفْرِ شَهِيدًا فِي الْمُحَرَّمِ سَنَةَ أَرْبَعِ عَشْرَةَ وَذَلِكَ فِي أَوَّلِ خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ⁴، وَقِيلَ فِي أَجْنَادِينَ، آخِرَ خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ⁵.

عِيَّاشُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ بْنِ الْمُغِيرَةَ (ت15هـ)، من بني مخزوم، وأمه أسماء بنت مخزبة، من بني تميم، وهو أخو أبي جهل لأمه، أسلم عيَّاش قبل دخول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دار الأرقم وقيل أن يدعوا فيها⁶.

وَهَاجَرَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ فِي الْهَجْرَةِ الثَّانِيَةِ وَمَعَهُ امْرَأَتُهُ أَسْمَاءُ بِنْتُ سَلْمَةَ، ثُمَّ قَدِمَ مِنْ أَرْضِ الْحَبَشَةِ إِلَى مَكَّةَ فَلَمْ يَزَلْ بِهَا حَتَّى هَاجَرَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَخَرَجَ مَعَهُمْ وَصَاحَبَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، فَلَمَّا نَزَلَ قُبَاءَ قَدِمَ عَلَيْهِ أَخَوَاهُ الْأُمَمَةُ: أَبُو جَهْلٍ وَالْحَارِثُ ابْنَا هِشَامٍ، فَذَكَرَا لَهُ أَنْ

¹ ابن سعد، الطبقات ج4ص96. ابن عبد البر، الاستيعاب ج2ص463. البلاذري، أنساب ج1ص208.

² ابن حزم، جوامع ج1ص53.

³ ابن سعد، الطبقات ج4ص97. البلاذري، أنساب ج1ص208. ابن عبد البر، الاستيعاب ج2ص463.

⁴ ابن سعد، الطبقات ج4ص98. البلاذري، أنساب ج1ص208.

⁵ الطبري، تاريخ ج3ص418. ابن عبد البر، الاستيعاب ج2ص463. مرج الصفر في سوريا، أما أجنادين ففي فلسطين، وذكر أبو مخنف أن واقعة المرج كانت بعد أجنادين بـ20 ليلة، وافتتحت دمشق بعدهما. البلاذري، فتوح ج1ص121.

⁶ الطبري، تاريخ ج1ص559.

أمه حلفت ألا يدخل رأسها دهن ولا تستظل حتى تراه، فلم يزل بها حتى ردها إلى مكة فأوتقاه وحبساه، فلما دخل مكة قال: يا أهل مكة، هكذا فافعلوا بسفهاكم¹، ثم أفلت بعد الخندق²، فقدم المدينة فلم يزل بها إلى أن قبض النبي صلى الله عليه وسلم فخرج إلى الشام فجاهد ثم رجع إلى مكة فأقام بها إلى أن مات³، وجاء في رواية أخرى أنه استشهد في اليرموك، وفي رواية في اليمامة، وفي أخرى أنه مات في الشام سنة 15هـ⁴.

الوليد بن الوليد بن المغيرة 3هـ، من بني مخزوم: كان الوليد على دين قومه، وشهد بدرًا مع المشركين، فأسير، فقدم في فدائه أخواه خالد وهشام، فتمنع أسرهم، عبد الله بن جحش (ت3هـ) حتى افتكاه بأربعة آلاف⁵.

ولما أبعدها عن المدينة، أعلن الوليد إسلامه، حتى لا تقول قريش إنما اتبع محمدًا فرارًا من الفدى، ثم خرجا به إلى مكة وهو آمن لهما فحبساه بمكة مع عياش وسلمة، ودعا لهما صلى الله عليه وسلم قبل بدر، ودعا بعد بدر للوليد بن الوليد معهما، فدعا ثلاث سنين لهؤلاء الثلاثة جميعًا، والأرجح أنه قنت لهم شهر⁶.

ثم أفلت الوليد من الوثاق فقدم المدينة فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عياش وسلمة فقال: تركتهما في ضيق وشدة وهما في وثاق، رجل أحدهما مع رجل صاحبه، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: انطلق حتى تنزل بمكة على القين، فإنه قد أسلم فتغيب عنده، وأطلب الوصول إلى عياش وسلمة فأخبرهما أن ينطلقا حتى يخرجوا، فخرجوا وخرجت معهما، فكننت أسوق بهما، مخافة من الطلب والفتنة، حتى انتهينا إلى ظهر حرة المدينة، وجاء الخبر قريشًا فخرج خالد بن الوليد معه نفر من قومه، فلم يصيبوا أثرًا ولا خبرًا عنهم، فلما كانوا بظهر الحرة قطعت إصبع الوليد فدميت فقال:

¹ ابن سعد، الطبقات ج3ص206. البلاذري، أنساب ج1ص208.

² ابن حزم، جوامع ج1ص53.

³ ابن سعد، الطبقات ج4ص96. البلاذري، أنساب ج1ص209. الطبري، تاريخ ج11ص559.

⁴ ابن عبد البر، الاستيعاب ج3ص1232. ابن حجر، الإصابة ج4ص623.

⁵ ابن سعد، الطبقات ج4ص98.

⁶ ابن سعد، الطبقات ج4ص98. ابن عبد البر، الاستيعاب ج3ص1230.

هَلْ أَنْتِ إِلَّا إِصْبَعٌ دَمِيَّتٌ... وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيَتْ¹

فَمَاتَ بِالْمَدِينَةِ، وَكَانَ ذَلِكَ قَبْلَ غَزْوَةِ أَحَدٍ، وَقِيلَ أَنَّ هَجْرَةَ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ كَانَتْ بَعْدَ الْخَنْدَقِ²، وَذَكَرَتْ بَعْضُ الرِّوَايَاتِ، أَنَّ الْوَلِيدَ كَانَ مَعَ أَبِي بَصِيرٍ، قَبْلَ عَوْدَتِهِ هَذِهِ وَمَوْتِهِ فِي الْمَدِينَةِ، لَكِنِ ابْنُ سَعْدٍ رَجَّحَ رِوَايَةَ هُرُوبِهِ مَعَ سَلْمَةَ وَعِيَّاشَ، السَّالِفَةَ الذِّكْرَ³.

هشام بن العاص السهمي (ت13هـ): كان قديماً للإسلام بمكة، وهاجر إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية، ثم قدم مكة حين بلغه مهاجر النبي صلى الله عليه وسلم، إلى المدينة يريد للحاق به فحبسه أبوه وقومه بمكة، فافتتن⁴، حتى نزل قوله تعالى (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا)⁵ فكتبها عمر، وبعث بها بها إلى هشام في مكة، فلحق بالمدينة، وكان ذلك بعد الخندق، فشهد ما بعد ذلك من المشاهد، حتى قتل في أجنادين (13هـ)⁶.

أبو بصير، عتبة بن أسيد بن جارية التقي (ت9هـ)، حليف بني زهرة، كان من المحبوسين بمكة، فأنفلت منهم في الهدنة بعد القضية، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة، فكتبت فيه قريش، لمعارضة ذلك بنود صلح الحديبية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أبا بصير، إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت، ولما يصلح لنا في ديننا الغدر، فأنطلق إلى قومك»، فقال: يا رسول الله تردني إلى المشركين يفتنوني في ديني، ويعبتون بي؟، قال: «يا أبا بصير، انطلق فإن الله سيجعل لك وللمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً» فأنطلق معهما حتى إذا كان بذي الحليفة، قتل أبو بصير حارسه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ويل أمه مسعر حرب، لو كان معه أحد"⁷.

¹ الواقدي، مغازي ج2ص629. ابن هشام، سيرة ج1ص476.

² الطبري، تاريخ ج1ص532. ابن عبد البر، الاستيعاب ج1ص305. ابن الأثير، أسد ج2ص351.

³ الواقدي، مغازي ج2ص629. ابن سعد، الطبقات ج4ص100.

⁴ ابن سعد، الطبقات ج3ص205.

⁵ القرآن، الزمر، 53.

⁶ ابن سعد، الطبقات ج4ص145.

⁷ الواقدي، مغازي ج2ص624-625. الطبري، تاريخ ج2ص638.

وَنَزَلَ أَبُو بَصِيرٍ فِي الْعَيْصِ، فِي سَيْفِ الْبَحْرِ، مِنْ نَاحِيَةِ السَّاحِلِ بِطَرِيقِ قُرَيْشٍ إِلَى الشَّامِ، وَبَلَغَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ كَانُوا احْتَبَسُوا بِمَكَّةَ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كَانَ مَعَهُ رِجَالٌ» فَالتَحَقُوا بِهِ، فَضَيَّقُوا عَلَى قُرَيْشٍ مَمَرَهُمْ، يَقْطَعُونَ عَلَيْهِمُ الْعِيرَ، واجتمع إليه أبو جندل، وناس من بني غفار وأسلم وجهينة وطوائف من العرب، دخلوا في الإسلام، حتى بلغوا سبعين¹، وقيل: ثلاثمائة، حتى كتبت قريش إلى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رَدِّهِمْ إِلَى الْمَدِينَةِ².

وكتب رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَبِي جندل وأبي بصير، ليقدا عليه، ومن معهما من المسلمين أن يلحقوا ببلادهم وأهليهم، فقدم كتاب رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أبي جندل، وأبو بصير يموت، فمات وكتاب رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيده يقرؤه، فدفنه أَبُو جندل مكانه، وصلى عليه، وبنا على قبره مسجداً³.

أَبُو جندل، العاص بن سُهَيْل بن عمرو (ت18هـ)، من بني عامر: ابن الزعيم القرشي، سهيل بن عمرو، صاحب صلح الحديبية، أسلم قديماً بمكة، فحبسه أبوه وأوثقه في الحديد، ومنعه الهجرة، ثم أفلت بعد الحديبية، فخرج إلى أبي بصير بالعيص، فلم يزل معه حتى مات أبو بصير، فقدم أبو جندل ومن كان معه من المسلمين المدينة على رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلم يزل يغزو معه حتى قبض رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فخرج إلى الشام في أول من خرج إليها من المسلمين، فلم يزل يغزو، حتى مات بالشام في طاعون عمّاس سنة (18هـ)، في خلافة عمر ابن الخطاب، وقد خلط خليفة بن خياط (ت240هـ) بينه وبين أخيه عبد الله، فذكر أنه استشهد في اليمامة⁴.

¹ ابن سعد، الطبقات ج2ص75. الطبري، تاريخ ج2ص639.

² ابن عبد البر، الاستيعاب ج4ص1613-1614.

³ البلاذري، أنساب ج1ص211. ابن عبد البر، الاستيعاب ج4ص1613-1614.

⁴ الواقدي، مغازي ج2ص607-608. ابن سعد، الطبقات ج7ص284. خليفة، طبقات ج1ص63. الطبري، تاريخ ج2ص639.

عبد الله بن سهيل بن عمرو (ت12هـ)، من بني عامر، أخ أبي جندل، أسلم قديماً في مكة، قبل أبي جندل، وهاجر إلى الحبشة، فلما قدم مكة أخذه أبوه فأوثقه وفتته، فاضطر أن يكتن إسلامه، وعند الهجرة إلى المدينة، حبسه أبوه، إلى أن خرج مع قريش يوم بدر، فهرب إلى المسلمين، فغاظ ذلك أباه غيظاً شديداً¹.

لخص ابن كثير (ت774هـ) ترجمته، فقال "أسلم قديماً وهاجر ثم استضعف بمكة"²، وكان عبد الله أسن من أخيه أبي جندل، واستشهد بجوانا من البحرين في الردة، ويقال استشهد باليمامة، سنة 12هـ وله من العمر، ثمان وثلاثون عاماً³.

أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، من بني عبد شمس، أسلمت بمكة قديماً، وقد صلت القبلتين وبايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهاجرت إلى المدينة عام الحديبية، حيث سارت من مكة إلى المدينة ماشية قرابة خمسمائة كم، قال ابن سعد: "لأ نعلم قرشية خرجت من أبويها مسلمة إلا هي فإنها خرجت من مكة وحدها، وصاحبت رجلاً من خزاعة حتى قدمت المدينة في هدنة الحديبية"⁴، فسار أخوها الوليد وعمارة ابنا عقبة خلفها ليرداها، فقالت أم كلثوم: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي فَرَرْتُ بِدِينِي إِلَيْكَ فَأَمْنَعْنِي وَلَا تَرُدَّنِي إِلَيْهِمْ يَفْتِنُونِي وَيُعَذِّبُونِي، فَلَا صَبْرَ لِي عَلَى الْعَذَابِ، إِنَّمَا أَنَا امْرَأَةٌ وَضَعْفُ النِّسَاءِ إِلَى مَا تَعْرِفُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنْ اللَّهُ نَقَضَ الْعَهْدَ فِي النِّسَاءِ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِنَّ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَأَمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمَ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَ هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ)⁵.

¹ الواقدي، مغازي ج1ص154، 157.

² ابن كثير، البداية ج6ص372.

³ ذكرت كثير من المصادر أن عمره كان عندها، ثمان وثمانون سنة، وهذا وهم كبير، فقد كان أبوه حياً عند استشهاد، وعزاه به أبو بكر، وهو يوم بدر، كان من العمر سبعة وعشرون سنة، وبينها وبين اليمامة، عشر سنوات فقط، ولو تجاوز عمره يوم بدر السبعين عاماً، لما اضطر أن يهرب من أبيه، وهو في هذا السن. ابن سعد، الطبقات ج3ص310.

البلاذري: أنساب ج11ص10، فتوح ص91.. ابن حجر، الإصابة ج4ص107.

⁴ الواقدي، مغازي ج2ص629.

⁵ القرآن، الممتحنة10. الواقدي، مغازي ج2ص630-631.

وتزوجت أم كلثوم زيد بن حارثة حتى استشهد، فالزبير بن العوام فطلقها، فعبد الرحمن بن عوف، حتى مات عنها، فعمر بن العاص فماتت عنده¹.

زينب بنت الرسول صلى الله عليه وسلم (ت8هـ)، وأكبر بناته: زوج أبي العاص بن الربيع (ت12هـ) من بني عبد شمس، منذ الجاهلية، وبقيت على ذمته، أسلمت مبكراً، لكنها لم تهجر للمدينة، لأن زوجها حبسها، وقد ذكرها الذهبي فقال "وَكَاثَتْ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ النِّسَاءِ"، وعندما وقع زوجها العاص في الأسر، أطلقه الرسول صلى الله عليه وسلم² "وقد أخذَ عَلَيْهِ أَنْ يُخَلِّيَ سَبِيلَ زَيْنَبَ، وَاسْتَكْتَمَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ، وَبَعَثَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ (ت8هـ) وَرَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: كَوْنَا بِيْطْنَ يَأْجُجُ حَتَّى تَمُرَّ بِكُمْ زَيْنَبُ فَتَصْحَبَانِيَا حَتَّى تَأْتِيَانِي بِيهَا"³، وَذَلِكَ بَعْدَ بَدْرِ بِشَهْرٍ، فَعَلِمَ بَعْضُ رِجَالِ قُرَيْشٍ فَخَرَجُوا فِي طَلَبِهَا، فِيمَا تَرَوِيهِ عَائِشَةُ، فَأَدْرَكَهَا هَبَارُ بْنُ الْأَسْوَدِ (ت80هـ) فَلَمْ يَزَلْ يَطْعَنُ بِعَيْرِهَا بِرُمْحِهِ حَتَّى صَرَخَهَا، وَأَلْقَتْ مَا فِي بَطْنِهَا، وَأُهْرِيقَتْ دَمًا، وَلَمْ تَزَلْ تَعَانِي مِنْ أَثَرِ هَذِهِ السَّقَطَةِ، حَتَّى تُوْفِيَتْ بَعْدَ ذَلِكَ بِزَمَنٍ بَعِيدٍ"⁴.

ثمة عدة شواهد هنا للتدليل على استضعاف زينب، لكن الذي نعلمه أيضاً، أن زينب، كانت قد بعثت قلادة أمها خديجة، لتفتدي بها زوجها أبا العاص، عندما أُسر في المدينة، مما يشير لطبيعة الاستضعاف الذي عاشته زينب، مما يعطي انطباعاً إيجابياً عن زوجها، خاصة أنه رفض تطليقها، واصفاً زينب أنها خير نساء العرب، عندما طلق أبو لهب رقيةً وأم كلثوم، وكانتا تحت اثنين من أولاده، كما نعلم أن أسرة أبي العاص، لم يكن لها أثر سلبي أيضاً، خاصة أن أخ أبي العاص، هو من تولى تسيير زينب خارج مكة، ودافع عنها⁵.

أم الفضل، لبابة بنت الحارث، من بني هلال بن عامر، زوج العباس بن عبد المطلب، وأخت ميمونة زوج الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي أم عبد الله بن عباس، ترجمان القرآن،

¹ ابن سعد، الطبقات ج8ص184.

² الواقدي، مغازي ج1ص130. ابن سعد، الطبقات ج1ص183. الذهبي، تاريخ ج2ص69.

³ الذهبي، تاريخ ج2ص69.

⁴ الواقدي، مغازي ج2ص857. الطبري، تاريخ ج2ص470. ج1ص494، 537.

⁵ الواقدي، مغلازي ج1ص130. ابن هشام، سيرة ج1ص658. ابن سعد، الطبقات ج8ص26. الدولابي، الذرية ص45.

وهي أول امرأة أسلمت بمكة بعد خديجة بنت خويلد، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها ويقبل في بيتها¹.

ذكرتها مختلف المصادر أنها كانت من المستضعفين، فقد روى البخاري وغيره، أن ولدها عبد الله كان يقول: "كنت أنا وأمي من المستضعفين من النساء والولدان"²، فعلق الذهبي على ذلك، قائلاً "فهذا يؤذن بأنهما أسلما قبل العباس، وعجزاً عن الهجرة"³، وأضاف "وكانت أم الفضل من عليّة النساء، تحوّل بها العباس بعد الفتح إلى المدينة"⁴، وهذا يؤكد أن علو الشرف والمكانة، لم يكن ليمنع استضعاف بعض المسلمين، وهو استضعاف يأخذ طابع الحرمان والقهر، أكثر منه استضعاف اجتماعي، خاصة أنه روي عنها أنها ضربت أبا لهب بعمود فشجت رأسه، حينما استضعف أبو لهب، أبا رافع، مولى زوجها العباس، وكانت قريش لما كان يوم بدر "جمعت بني هاشم وحلفاءهم في قبّة وخافوهم فوكلوا بهم من يحفظهم ويشدد عليهم"⁵.

ولعل ما ذكره ابن سعد، عن زيد بن علي بن الحسين (ت122هـ)، يزيد الأمر وضوحاً: ما وضع رسول الله رأسه في حجر امرأة ولا تحلّ له بعد النبوة إلا أم الفضل فإنها كانت ثقليه وتكحله. فبينما هي ذات يوم تكحله إذ قطرت قطرة من عينها على خده فرقع رأسه إليها فقال: ما لك؟ فقالت: إن الله نعالك لنا، فلو أوصيت بنا من يكون بعدك، إن كان الأمر فينا أو في غيرنا، قال "إنكم مقهورون مستضعفون بعدي"⁶، وهذا ما سيتم بحثه في الفصل الرابع، إن شاء الله.

قال الذهبي (ت748هـ) "أحسبها توفيت في خلافة عثمان"⁷.

¹ ابن سعد، الطبقات ج8ص217.

² البخاري، صحيح ج2ص94.

³ الذهبي، سير ج3ص536.

⁴ الذهبي، سير ج3ص536.

⁵ ابن هشام، سيرة ج1ص647. ابن سعد، الطبقات، ج4ص8.

⁶ ابن سعد، الطبقات ج8ص218. ابن حنبل، مسند ج44ص448. الطبراني، المعجم الكبير ج25ص23.

⁷ الذهبي، سير ج2ص314. ونسب ابن حجر (ت852هـ) لابن حبان (ت354هـ)، ذلك أيضاً. ابن حبان، ثقات ج2ص280. ابن الأثير، أسد ج2ص279. ابن حجر، الإصابة ج8ص451.

نخلص من هذا الاستعراض الموجز، أنّ عدداً من المسلمين ظلّوا يرزحون تحت استضعاف قريش رغم هجرة إخوانهم المسلمين، وإقامة الكيان الإسلامي في المدينة، وقد امتاز هذا الاستضعاف أنه استهدف رجالاً ونساءً من أشرفها، ولكنه استضعاف دون استضعاف، فهو لا يشبه استضعاف العبيد كبلال وزنيرة وغيرهما، وما تعرضوا له من تعذيب منهجي، لاستناده على خلفية اجتماعية كونهم عبيد ومماليك، أمّا هؤلاء المستضعفين فقد تعرضوا من ذويهم لضغوط اجتماعية-فكرية، كان الهدف منها تنيهم عن الإسلام، خاصة أنهم كانوا من (أحداث الرجال) يحملون روح التمرد على واقعهم الاجتماعي والعشائري.

وكان استضعاف سلمة وعياش والوليد وأشباههم، استضعافاً مؤقتاً، انتهى بهجرتهم إلى المدينة، انتهاءً تاماً، دون أن تعلق به أية ذبول اجتماعية، كحال غيرهم من المستضعفين العبيد.

الوسائل التي اتبعتها قريش في تعذيب المستضعفين

إن ملاحظة طبيعة الوسائل، التي اتبعتها سادة قريش في تعذيب المستضعفين، يشير إلى مدى تنوع هذه الوسائل، فمن نهب الأموال، وضرب مبرّح، وتعذيب حتى فقد البصر، وبطح على الأرض، ووضع صخرة على الصدر، وجرّ على الرمضاء، وشبح بالشمس، وربط بالحبال، وخنق الرقبة باليدين، وخنق بالماء، وتعذيب بالدخان، وحبس، وتجويع، إلى كيّ المستضعفين بالنار، وتدريبهم بالحديد، وانتهاءً بقتل بعضهم¹.

وعند تأمل هذه الوسائل، يمكن الخلوص لطبيعة الاستضعاف الذي مارسه قريش ضد هؤلاء المستضعفين، وهل يرقى إلى درجة الاضطهاد الشامل؟.

ناقش بعض المستشرقين هذا الأمر، وقد ذكر بعضهم، قول عروة بن الزبير (ت94هـ) "فكانت فتنة شديدة الزلزال"² فيما خلص بعضهم لاعتباره، اضطهاداً محدوداً، أو معتدلاً، وهو

¹ البلاذري، أنساب ج1ص156-198. أنظر الجدول في الملاحق بهذا الخصوص.

² جونس، مارسدن، مقدمة مغازي الواقدي، ج1ص21.

استنتاج صحيح، إذا قارنا ذلك بما تعرّض له المسيحيون في روما، من اضطهاد واسع على أيدي زعماء الرومان، كنيرون (ت68م) وغيره، قبل عهد قسطنطين (306-337م)¹.

ومما يؤكد على محدودية هذا الاضطهاد، أنه لم يقتل فيه سوى فرد واحد هو السيدة سمية، كما لم يمت تحت التعذيب سوى فرد واحد أيضاً²، هو ياسر، بينما قضى تحت تعذيب زعماء الرومان أعداداً كبيرة من المسيحيين، ويكفي أن نتذكر محاولة صلب السيد المسيح عليه السلام، وإعدام بولس وبطرس في روما³.

ولعل طبيعة مكة، ونظامها الاجتماعي_العشائري، ساعد على عدم تعريض كثير من المسلمين للأذى، أو قلّ حجم هذا الأذى، وذلك ما يرد بوضوح عندما أراد بنو مخزوم خطف الوليد بن الوليد، مشوا إلى أخيه هشام، وكانوا قد أجمعوا على أن يأخذوا فتيّة منهم كانوا قد أسلموا...فقالوا له، وخشوا شرهم: إنا قد أردنا أن نعاتب هؤلاء الفتيّة على هذا الدين الذي أحدثوا، فإننا نأمن بذلك في غيرهم، قال: هذا، فعليكم به، فعائبوه وإياكم ونفسه، وأنشأ يقول:

أَلَا لَا يُقْتَلَنَّ أَخِي عَيْسٍ فَيَبْقَى بَيْنَنَا أَبَدًا تَلَّاحِي

احذروا على نفسه، فأقسم الله لئن قتلتموه لأقتلن أشرفكم رجلاً. فقالوا: فوالله لو أصيب في أيدينا لقتل أشرفنا رجلاً، فتركوه ونزعوا عنه، قال: وكان ذلك مما دفع الله به عنهم⁴.

كما أن الطبيعة النفعية لسادة قريش، سمحت ببيع عبيدهم لأبي بكر، وعدم تعريضهم للقتل، إضافة لطابع مكة الديني الأصلي، ربما ساعد على عدم قضائهم على هذه الدعوة الوليدة.

ولا ننسى أن تحصن الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين معه، بالمقاومة السلمية، وعدم خوضهم لأية مواجهة عملية مع قريش في مكة، ساعد على تقليل همجية قريش، كما ساعد

¹ ديورانت، ول قصة ج 11 ص 247. مهران، محمد بيومي، دراسات ص 32.

² البلاذري، أنساب ج 1 ص 160.

³ الطبري، تاريخ، ج 1 ص 606. ابن الأثير، الكامل، ج 1 ص 291. ديورانت، ول، قصة ج 11 ص 267-270.

⁴ ابن هشام، سيرة ج 1 ص 321.

أيضاً على تحريك جوانب إنسانية واجتماعية، كحالتَي عمر وحمزة، والذين شكّل إسلامهما، قوة ردع لقريش، فهذا حمزة يلطم سيد قريش أبا جهل، وذلك عمر يصلي عند الكعبة، يقول ابن مسعود: ما كنا نقدر على أن نصلى عند الكعبة حتى أسلم عمر، إضافة لموقف رجال قريش الذين كسروا مقاطعة بني هاشم، وألغوا الصحيفة¹.

¹ ابن إسحق سيرة ج 1 ص 162-167. يقول صهيب: لَمَّا أَسْلَمَ عُمَرُ ظَهَرَ الْإِسْلَامُ، وَدُعِيَ إِلَيْهِ عَلَانِيَةً، وَجَلَسْنَا حَوْلَ الْبَيْتِ حَلَقًا وَطُفْنَا بِالْبَيْتِ، وَانْتَصَفْنَا مِمَّنْ غُلِظَ عَلَيْنَا وَرَدَدْنَا عَلَيْهِ. البلاذري، أنساب ج 10 ص 293.

الفصل الثالث

موقف الدولة الإسلامية من المستضعفين

الفصل الثالث

موقف الدولة الإسلامية من المستضعفين

1- آل البيت

أخذ "الاستضعاف في صدر الإسلام"، منحىً جديداً بعد الهجرة إلى المدينة المنورة، حيث بدأت دولة الإسلام تتشكل، وقد أصبح المستضعفون جنوداً في سراياها وبعوثها العسكرية.

ولأن الدولة الناشئة لم تكن دولة ملانكة، فإن جذور الاستضعاف لم تجتث نهائياً، وقد ظلت تظهر عبر أشكال جديدة، حيث كان لبقايا التراث الجاهلي آثاره، وظلت العقلية القبلية تضغط على المثال الديني، وأخذت الموازين المادية تتركس ما كان من فروق طبقية، في ظل أجواء عامة من العدالة¹.

مات الرسول صلى الله عليه وسلم، ولم يوص، فلم يحدد رجلاً بعينه، لكي يتبوأ منصب الخلافة من بعده، وكان قد صدرت منه إشارات، ما زال الجميع يجتهد في تفسيرها²، وهي اجتهادات ينقضها السياق العام للتاريخ، ولكن البخاري (ت256هـ) ومسلم (ت261هـ)، أوردوا رواية خطيرة لعلها إن ثبتت، تنقض أصل نظرية تنصيب الخليفة، عند المذاهب الإسلامية كافة، وهي رواية مسندة وفق منهج أهل الحديث، تقول أن الرسول صلى الله عليه وسلم، أراد أن يوص، لكن اختلاف الصحابة في ذلك، منعه، جاء عن ابن عباس (ت68هـ): لَمَّا اشْتَدَّ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعُهُ قَالَ: «اَتُّونِي بِكِتَابٍ أَكْتُبُ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوْا بَعْدَهُ» فَقَالَ عُمَرُ بْنُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَلَبَهُ الْوَجَعُ، وَعَعَدْنَا كِتَابُ اللَّهِ حَسْبُنَا. فَاخْتَلَفُوا وَكَثُرَ اللَّغَطُ، قَالَ:

«قَوْمُوا عَنِّي، وَلَا يَنْبَغِي عِنْدِي التَّنَازُعُ» فَخَرَجَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: «إِنَّ الرِّزْيَةَ كُلَّ الرِّزْيَةِ، مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ كِتَابِهِ»³.

¹ يقول علي شريعتي "استطاع هذا الدين أن يبني هيكليته النظام، غير أنه لم يتمكن من تطبيقه بشكل كامل، لأن الإنسان لا يستطيع أن يطبق نظاماً، يبتني على أساس رسالة تتغلب على التاريخ في عشر سنوات فقط". شريعتي، علي، دين ص65.

² مثل ما أورده الواقدي، الردة ج1ص33-37.

³ عبد الرزاق، مصنف ج438. ابن حنبل، مسند ج5ص135. البخاري، صحيح ج1ص34، ج6ص9، ج7ص120، ج9ص111. مسلم، صحيح ج3ص1259. النسائي، سنن ج5ص366.

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ (ت94هـ)، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضاً، قَالَ: يَوْمُ الْخَمِيسِ، وَمَا يَوْمُ الْخَمِيسِ ثُمَّ بَكَى حَتَّى بَلَ دَمْعُهُ الْحَصَى، فَقُلْتُ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، وَمَا يَوْمُ الْخَمِيسِ؟ قَالَ: اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعُهُ، فَقَالَ: «اتُّنُونِي أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوا بَعْدِي»، فَتَنَازَعُوا وَمَا يَنْبَغِي عِنْدَ نَبِيِّ تَنَازُعٍ، وَقَالُوا: مَا شَأْنُهُ أَهَجَرَ؟¹ اسْتَفْهَمُوهُ².

اختلفت الاجتهادات في تحديد طبيعة هذا الكتاب، الذي لم يستطع الرسول صلى الله عليه وسلم كتابته عند موته، لكن النووي (ت676هـ) في شرحه لصحيح مسلم قدم عدة احتمالات لأمر هذا الكتاب، جعل أولها في تنصيب الخليفة، وقد تمادى عندما صوّب فعل عمر³، وخطأ ابن عباس في اعتباره تلك الواقعة "رزية"، لأن ذلك ربما يمس عصمة الرسول صلى الله عليه وسلم، في تبليغ الرسالة⁴.

فاجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة، ونبي الله يُجهز للدفن، لتعيين من يخلفه في قيادة الدولة، فكانت "الفلتة" التي وقى الله المسلمين شرّها، بحسب تعبير عمر، أحد أهم صنّاع هذا الاجتهاد، عندما اختير أبو بكر خليفة للمسلمين، ومن يعود لهذه الفلّطة يستحق القتل، بحسب عمر، أيضاً، وفق رواية البخاري وغيره⁵.

كانت أكبر مشكلة في اجتماع سقيفة بني ساعدة، أن آل بيت النبوة لم يحضروا هذا الاجتماع، فقد انشغلوا في تجهيز جثمان النبي صلى الله عليه وسلم⁶، بل إنهم لم يعلموا بهذا

¹ قال ابن دريد: يقال: هجر الرجل في المنطق، إذا تكلم بما لا معنى له، وأهجر إذا أفحش. ابن دريد، **جمهرة** ج3ص1263.

² عبد الرزاق، **مصنف** ج6ص56. البخاري، **صحيح** ج4ص69، 99، ج6ص9. مسلم، **صحيح** ج3ص1257، 1259.

³ تمادى النووي أكثر عندما اعتبر ذلك باتفاق العلماء. النووي، شرح ج11ص90.

⁴ أسس النووي رأيه هذا كون صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم كان "قَدْ سَجَرَ حَتَّى صَارَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ فَعَلَ الشَّيْءَ وَلَمْ يَكُنْ فَعَلَهُ" ويدل كلام النووي هذا، وهو ممثل معتدل للتيار السنّي العام، على مستوى الضياع الذي وقع فيه كثير من أهل العلم المغلقين مذهبياً، نتيجة انسياقهم وراء بعض الروايات الشاذة، حتى لو جاءت في الصحيحين، كما يدل هذا الكلام على حجم الهالة التي وصل فيها عمر عند هؤلاء العلماء، فهذه المكانة على أهميتها، تكون هكذا قد تجاوزت مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم، وربما طغنت في رسالته كلها. النووي، شرح ج11ص90.

⁵ عبد الرزاق، **مصنف** ج5ص439. ابن أبي شيبه، **مصنف** ج6ص452. ابن حنبل، **مسند** ج1ص451. البخاري، **صحيح** ج8ص168.

⁶ الواقدي، الردة ج1ص32. البلاذري، **أنساب** ج1ص581. الطبري، **تاريخ** ج3ص219. الجوهري، **السقيفة** ص46-

الاجتماع إلا بعد انتهائه، وهو اجتماع فرضته اللحظة، في ظل طموح زعيم الأنصار سعد بن عبادة (ت15هـ) للخلافة، وعندما أُعلم عمر بن الخطاب باجتماع الأنصار هذا، أخذ أبا بكر من بيت الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان معه أبو عبيدة بن الجراح (ت18هـ)¹، وذهب ثلاثتهم دون جلبة، فانضموا لاجتماع الأنصار، حيث أقنعوا غالبيتهم، وأخذوا البيعة للصدّيق، وأعقب ذلك، بيعة عامة في المسجد، لم يحضرها آل البيت أيضاً، رغم علمهم بها، ولكنهم رفضوها، وكان لرفضهم هذا أثر كبير، ظلت آثاره تفعل فعلها في تاريخ الأمة حتى اليوم².

لماذا رفض آل البيت بيعة أبا بكر؟ وهل أدخلهم هذا الرفض في عداد المستضعفين؟ وما طبيعة هذا الاستضعاف؟

قبل الإجابة على هذه الأسئلة، لا بد من تحديد مصطلح آل البيت، فمن هم آل البيت؟

الآل، لغة واصطلاحاً: من الأول، أي الرجوع، وآل الرجل، هم أهله، ويشمل ذلك أقاربه، الذين إليهم مآله، وإليه مآلهم، وهم: أبناءه وعشيرته، وكل من يجمعه وإيّاهم نسب، وكذا من يحويهم بيته، من آباء وأمّهات وأصول، وإن علواً، والأعمام والعمات والأخوال والخالات، والأزواج والأولاد والأحفاد، وكل من ينتمي إليه بقرابة، وكذا بمصاهرة³.

الآل، شرعاً: أطلق هذا المصطلح عند العلماء، وعند عامة المسلمين، وفق اتجاهات ثلاث:

- على من حُرمت عليهم الصدقة، وهم آل عليّ، وآل جعفر، وآل عقيل، وآل العباس، وفق ما رواه زيد بن أرقم (ت68هـ)، في حديثه المشهور، وأصله متواتر⁴.

¹ أبو عبيدة عامر بن الجراح: كان إسلامه قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الأرقم، قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: «لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح» قيل إنه قتل أباه يوم بدر، كان فتح أكثر الشام على يده، مات في طاعون عمواس بالشام سنة 18هـ، ، يقال: إن قبره ببيسان. ابن حجر، الإصابة ج3ص475-478.

² عبد الرازق، مصنف ج5ص439. ابن أبي شيبة، مصنف ج6ص452. ابن حنبل، مسند ج1ص451. البخاري، صحيح ج8ص168.

³ ابن منظور، لسان ج11ص38.

⁴ ابن حنبل، مسند ج32، ص11. مسلم، صحيح ج4ص1873. الطبراني، المعجم الكبير ج5ص182. قال الذهبي: وصدر الحديث متواتر، أتيقن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله، وأما اللهم وال من والاه فزيادة، قوية الإسناد. ابن كثير، البداية ج5ص233. الألباني، السلسلة ج4ص343.

- على نسائه صلى الله عليه وسلم، أمهات المؤمنين، وهو ما يستشف من قوله تعالى (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)¹ وقد جاءت هذه الآية في سياق قوله تعالى (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ... وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ...)² وتعبير (...عَنكُم...) في الآية يشمل الذكور والإناث، لذا يتسع المعنى، وفق السياق، ليشمل غير أمهات المؤمنين³.

- وأطلق بصفة خاصة، على أصحاب الكساء، وهم فاطمة (ت11هـ) وعليّ (ت40هـ) والحسن (ت49هـ) والحسين (ت61هـ)، في الحديث الصحيح المشهور، عن عائشة (ت58هـ)، أنها قالت: خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَدَاةً وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرْحَلٌ، مِنْ شَعْرٍ أَسْوَدَ، فَجَاءَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ جَاءَ الْحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ، ثُمَّ جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَدْخَلَهَا، ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ قَالَ (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)⁴.

وعليه، فالراجح أن آل البيت هم: أصحاب الكساء خاصة، أمّا عامتهم، فهم أزواجه وبنو هاشم⁵، وعليه فقد ارتبط مفهوم "الآل" بهؤلاء الأربعة وذريتهم من بعدهم، عبر مراحل التاريخ كلها، وصار بحكم المجمع عليه، عند عامة أهل العلم، ولكن المذاهب تفرقت، حول الاستحقاق الذي يترتب على ذلك⁶، وكان أهمّ خلاف في ذلك، منصب الخلافة، حيث اعتبرته الشيعة بكل طوائفها المعتدلة والمغالية، استحقاقاً بديهيّاً، لذلك لم يبايع آل البيت أباً بكر، فيما رأى التيار الإسلامي العام، أن حقوق آل البيت كثيرة، لكن لا علاقة لها بالخلافة⁷.

¹ القرآن، الأحزاب 33.

² القرآن، الأحزاب 32.

³ الشافعي، تفسير ج3ص1193. الطبري، تفسير ج19ص107.

⁴ ابن أبي شيبة، مصنف ج6ص370. ابن راهويه، مسند ج3ص678. مسلم، صحيح ج4ص1883. الحوثي، محمد، الموعظة ج1ص37.

⁵ للتوسع، أنظر: السقاف، حسن، صحيح، ص656-664. فربما هو أفضل من تناول هذا الأمر. وأقر ابن تيمية بخصوصية أصحاب الكساء، وثبوت هذه الروايات، وهو المعروف بموقفه السلبي من آل البيت "جاء التطهير بهذا الخطاب وغيره، وليس مختصاً بأزواجه، بل هو متناول لأهل البيت كلهم، وعليّ وفاطمة والحسن والحسين أخص من غيرهم بذلك؛ ولذلك خصهم النبي صلى الله عليه وسلم بالدعاء لهم" ابن تيمية، منهاج ج7ص74.

⁶ أنظر: السقاف، حسن، صحيح ص663.

⁷ أبو نعيم، ترتيب ص240. ابن تيمية، حقوق 34. الألباني، السلسلة الصحيحة ج5ص264.

ومما يفسر رفض آل البيت، ومعهم عدد من كبار المهاجرين والأنصار، مبايعة أبي

بكر، جملة أمور، أهمها:

أولاً: قناعتهم التامة، أن أمر الخلافة محسوم¹، وأن علياً فوجئ بتحيةة الخلافة عنه، ويتضح ذلك من الحوار الذي جرى بين عليّ وعمه العباس، لما قبض رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال العباس لعليّ: أَخْرُجْ حَتَّى أُبَايِعَكَ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ، فَلَا يَخْتَلِفُ عَلَيْكَ اثْنَانِ، فَأَبَى عَلِيٌّ، وَقَالَ: أَوْ مِنْهُمْ مَنْ يُنْكِرُ حَقَّنَا وَيَسْتَبِدُّ عَلَيْنَا؟ وفي رواية أن علياً رد على عمه "وهل يطمع فيها طامع غيري ثم إنني لا أريد أن أباع من وراء رتاج"². ويرد ذلك ما رواه الحاكم (ت405هـ) عن عليّ قال: "إِنَّ مِمَّا عَهَدَ إِلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنْ الْأُمَّةَ سَتَغْدِرُ بِي بَعْدَهُ"³.

ومرد هذه القناعة عند آل البيت، جملة أمور، أهمها: الخصائص الكثيرة التي اختصها الرسول صلى الله عليه وسلم، لعليّ، كاختصاصه بالولاية لكل مسلم، واعتبار حبه ميزاناً للإيمان، واتخاذَه أحياناً عند المآخاة، وغير ذلك من الخصائص، والتي كان لها علاقة متينة، باستضعاف آل البيت وأنصارهم على مرّ الزمن، فقد جهد أعداؤهم لمحوها، لكنهم فشلوا، وعندما أُلّف الإمام النسائي (ت303هـ)، كتاب (خصائص عليّ) دفع حياته، ثمناً لهذا الكتاب⁴.

كما أن العرف القبلي السائد في ذلك الزمان، يبقي وراثته الزعامية، في ظل توفر المؤهلات، في داخل العائلة نفسها، ومعلوم أن التأثيرات العشائرية والقبلية ظلت موجودة في الذهنية الإسلامية طوال الوقت، على تفاوت بين أمر وآخر، وشخص وآخر، والأدلة على ذلك

¹ ثمة روايات تعارض وجود هذه القناعة، مثل ما روي أن العباس قال لعليّ: إِنِّي أَعْرِفُ وَجُوهَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عِنْدَ الْمَوْتِ فَادْهَبْ بِنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَانْسَأَلُهُ فِيمَنْ هَذَا الْأَمْرُ مِنْ بَعْدِهِ. فَإِنْ كَانَ فِينَا عِلْمًا ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ فِي غَيْرِنَا كَلِمَاتُهُ فَأَوْصِي بِنَا! فَقَالَ عَلِيٌّ: وَاللَّهِ لَئِنْ سَأَلْنَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَتَعْنَاهَا لَا يُعْطِينَاهَا النَّاسُ أَبَدًا فَوَاللَّهِ لَا نَسْأَلُهُ أَبَدًا! ابن سعد، الطبقات ج2ص189.

² ابن سعد، الطبقات ج2ص189. البخاري، صحيح ج6ص12. البلاذري، أنساب ج1ص583.

³ قال الحاكم «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ لِإِسْنَادِهِ، وَلَمْ يُخْرَجْ أَيْدِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ» وأقره الذهبي على صحته. الحاكم، المستدرک ج3ص150، ص153.

⁴ عندما قتله بعض متعصبي بني أمية في الشام، قرب الرملة في فلسطين ضرباً على خصيئته سنة 303هـ، وما زال قبره قرب الرملة حتى الآن. المزني، تهذيب ج1ص399. ابن العماد، شذرات ج4ص17.

كثيرة جداً، ولعل أهمها ما قاله أبو بكر نفسه، وهو يحاجج الأنصار "تَحْنُ أَوْلُ النَّاسِ إِسْلَامًا، وَأَوْسَطُهُمْ دَارًا، وَأَكْرَمُهُمْ أَنْسَابًا، وَأَمْسُهُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَحِمًا"¹ وقال عمر "هيهات لا يجتمع سيفان في غمد والله لا ترضى العرب أن تؤمركم ونبينا من غيركم ولا تمتنع العرب أن تولي أمرها من كانت النبوة منهم من ينازعنا سلطان محمد ونحن أولياؤه وعشيرته"².

ولعل ذلك صحيح، لكن بني هاشم أخص قريش، من الرسول صلى الله عليه وسلم، وعليّ أخص بني هاشم، وواسطة عقدهم، وبهذا المنطق حاجج عليّ أبا بكر، فقال له: أخذتم هذا الأمر من الأنصار، واحتججتهم عليهم بالقرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأعطوكم المقادة، وأنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتهم به على الأنصار، فأنصفونا إن كنتم تخافون الله من أنفسكم³.

وبذات المنطق ردّ العباس على أبي بكر، قائلًا: وأما قولك إن رسول الله صلى الله عليه وسلم، منا ومنكم، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم، من شجرة نحن أغصانها، وأنتم جيرانها، وأما قولك يا عمر، إنك تخاف الناس علينا، فهذا الذي قدمتموه أول ذلك، وبالله المستعان⁴.

ومما يشير أيضاً للبعد القبلي، ما ورد عن أبي بكر، في تبريره لعليّ: أن قريش كرهت أن يجتمع لكم الخلافة والنبوة، ولعل علياً قد عبّر عن هذا البعد بأبلغ تعبير، عندما قال: إِنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ إِلَيَّ قُرَيْشِي، وَقُرَيْشٌ تَنْظُرُ إِلَيَّ بَيْتَهَا فَنَقُولُ: إِنَّ وُلِّيَّ عَلَيْكُمْ بَنُو هَاشِمٍ لَمْ تَخْرُجْ مِنْهُمْ أَبَدًا، وَمَا كَانَتْ فِي غَيْرِهِمْ مِنْ قُرَيْشٍ تَدَاوَلْتُمُوهَا بَيْنَكُمْ⁵، وقد عبّر أبو قحافة (ت15هـ)، والد أبي بكر، عن هذا المعنى القبلي بأبلغ تعبير، عندما علم بتولية ولده، فقال متسائلاً: وهل رضيت بنو عبد مناف؟ وهل رضيت بنو مخزوم؟ قيل له: نعم، فقال: اللهم لا مانع لما أعطيت⁶.

¹ البلاذري، أنساب ج1ص582.

² الواقي، الردة ج1ص39. الجوهرى، السقيفة ص60.

³ الواقي، الردة ج1ص46. ابن قتيبة، الإمامة ج1 ص18-19. الجوهرى، السقيفة ص61. المالكي، حسن، قراءة ص45.

⁴ الجوهرى، السقيفة ص51.

⁵ ابن شبة، تاريخ ج3ص924. الطبري، تاريخ ج4ص233.

⁶ ابن سعد، الطبقات ج3ص137. البلاذري، أنساب ج1ص589.

لكنّ تقديم أبي بكر لعمر وأبي عبيدة "فَبَايَعُوا أَيُّهَا شَيْئُكُمْ"¹ يحد من هذا التأثير القبلي²، كونهما من غير بني تيم، عشيرة أبي بكر³، وكان رفض عليّ لنصرة أبي سفيان، وقد وصف بني تيم، أنهم أذل بيت في قريش⁴، دلالة أوضح على عدم حديّة الأثر القبلي في هذا الخلاف، ولَمَّا اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى بَيْعَةِ أَبِي بَكْرٍ، أَقْبَلَ أَبُو سُفْيَانَ، وَهُوَ يَقُولُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى عَجَاجَةً لَا يُطْفِئُهَا إِلَّا دَمٌ! يَا آلَ عَبْدِ مَنَافٍ فِيمَ أَبُو بَكْرٍ مِنْ أُمُورِكُمْ! أَيْنَ الْمُسْتَضْعَفَانِ! أَيْنَ الْأَذْلَانِ عَلَيَّ وَالْعَبَّاسُ! وَقَالَ: أَبَا حَسَنٍ! ابْسُطْ يَدَكَ حَتَّى أَبَايَعَكَ، فَأَبَى عَلِيٌّ عَلَيْهِ، فَجَعَلَ يَتَمَثَّلُ بِشِعْرِ الْمُتَمَلِّسِ الضَّبْعِي⁵:

وَلَنْ يُقِيمَ عَلَيَّ خَسْفٌ يُرَادُ بِهِ... إِلَّا الْأَذْلَانَ عَيْرُ الْحَيِّ وَالْوَتْدُ

هَذَا عَلَيَّ الْخُسْفِ مَعْكُوسٌ بِرُمْتِهِ... وَذَا يُشَجُّ فَلَا يَبْكِي لَهُ أَحَدٌ⁶

قَالَ: فَزَجَرَهُ عَلِيٌّ، وَقَالَ: إِنَّكَ وَاللَّهِ مَا أَرَدْتَ بِهِذَا إِلَّا الْفِتْنَةَ، وَإِنَّكَ وَاللَّهِ طَالَمَا بَغَيْتَ الْإِسْلَامَ شَرًّا! لَا حَاجَةَ لَنَا فِي نَصِيحَتِكَ⁷.

كما أن علياً أمر شعراء بني هاشم بالكف، عندما وقف عتبة بن أبي لهب⁸، قائلاً:

ما كنت أحسب أن الأمر منصرف... عن هاشم ثم منهم عن أبي حسن

عن أول الناس إيماناً وسابقه... وأعلم الناس بالقرآن والسنن

وآخر الناس عهداً بالنبوي من... جبريل عون له في الغسل والكفن⁹.

¹ البخاري، صحيح ج8ص168. عبد الرزاق، مصنف ج5ص439.

² المالكي، حسن، قراءة ص40.

³ وانظر زجر أبو قحافة لولده أبي بكر عندما سمعه يصيح على أبي سفيان بعد استخلافه، حيث ردّ عليه أبو بكر "إن الله رفع بالإسلام قوماً، وأذل به آخرين" المسعودي، مروج ج2ص144.

⁴ العصامي، سمط ج2ص402.

⁵ شاعر جاهلي لم يدرك الإسلام. ابن قتيبة، غريب الحديث ج2ص635.

⁶ الثعالبي، المنتحل ج1ص172. ابن حمدون، التذكرة ج5ص193.

⁷ الطبري، تاريخ ج3ص209. ابن الأثير، الكامل ج2ص188.

⁸ ابن سعد، الطبقات ج4ص45.

⁹ أبو الفداء، مختصر ج1ص157. ابن الوردي، تاريخ ج1ص134. المالكي، حسن، قراءة ص42.

ثانياً: انفراد أبي بكر وعمر وأبي عبيدة، عن بقية المهاجرين، وعلى رأسهم أهل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم، في محاوراة الأنصار، وأتى عمر الخير، فأقبل إلى منزل النبي صلى الله عليه وسلم، فأرسل إلى أبي بكر وأبو بكر في الدار وعلى بن أبي طالب نائب في جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأرسل إلى أبي بكر من حضوره، فخرج إليه،¹ وهي المحاوراة التي تمخض عنها استخلاف أبي بكر، لكن الذي يخفف الأمر، ويعطي عذراً لأبي بكر وصاحبيه، أن هذا الحوار فُرض عليهم، بسبب مسارعة الأنصار لذلك، ولم يكن هذا الاجتماع من صنعهم.

لكن، لماذا لم يضعوا آل البيت في صورة الأمر؟ لماذا خرجوا من بيت الرسول صلى الله عليه وسلم دون إشعار أحد؟ لماذا عندما بدأ الحوار لم يبعثوا أحداً لتأجيل تجهيز الرسول صلى الله عليه وسلم، ريثما ينتهوا من هذا الحوار، ويضموا إليهم علياً والعباس والزبير وباقي المهاجرين؟ أو لماذا لم يقنعوا الأنصار بالذهاب معاً للمشاركة في هذا التجهيز، وبعد ذلك مباشرة يتم مناقشة أمر الخلافة بحضور الجميع؟

ويرد عمر على ذلك بقوله "خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يحدثوا بعدنا بيعة، فإما أن نتابعهم على ما لا نرضى أو نخالفهم فيكون فساداً"² وعندما قال بشير بن سعد الأنصاري (ت12هـ)³، لعلي: أما والله لو أن هذا الكلام سمعه الناس منك قبل البيعة لما اختلفت اختلف عليك رجلاًن، ولبايعك الناس كلهم، غير أنك جاست في منزلك ولم تشهد هذا الأمر، فظن الناس أن لا حاجة لك فيه، فرد عليه علي: ويحك يا بشير، أفكان يجب أن أترك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيته فلم أجبه إلى خفرتيه، وأخرج أنارغ الناس بالخلافة؟!⁴ كما

¹ الطبري، تاريخ ج3ص219.

² عبد الرزاق، مصنف ج5ص439. ابن حنبل، مسند ج1ص453. البخاري، صحيح ج8ص168.

³ خزرجي، شهد بدرًا واستعمله النبي صلى الله عليه وآله وسلم على المدينة في عمرة القضاء، وكان يكتب بالعربية في الجاهلية، وهو أبو النعمان بن بشير أول مولود للأنصار بعد الهجرة والذي كان والياً على حمص وعلى الكوفة زمن معاوية وابنه يزيد، وقتل يوم عين التمر سنة 12هـ. ابن سعد، الطبقات ج3ص402.

⁴ الواقي، الردة ج1ص47-48. الجوهرى، السقيفة ص63.

عبّرت فاطمة (ت11هـ) عن ذلك بقولها "لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم، تركتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، جنازة بين أيدينا، وقطعتم أمركم بينكم؟!"¹.

ثالثاً: إصرار الرسول صلى الله عليه وسلم، خلال مرضه الأخير، على خروج بعث أسامة بن زيد (ت54هـ)، لغزو الشام، بعيداً عن الجزيرة " أنفذوا بعث أسامة"² وقد عقد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لواء هذا البعث بيده، رغم أنّ أعراض المرض بدأت عنده، حيث أصابه "فحم وصدع" فلما أصبح يوم الخميس عقد لأسامة لواء بيده، وخرج بلوائه معقوداً فدفعه إلى بريدة بن الحصيبي الأسلمي، وعسكر بالجرف فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين الأولين والأنصار إلا انتدب في تلك الغزوة فيهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وسعد، فتكلم قوم وقالوا: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين! فغضب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غضباً شديداً، فخرج وقد عصب على رأسه عصابة وعليه قطيفة، فصعد المنبر، ثم قال: أيها الناس فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة، ولئن طعنتم في إمارتي أسامة، لقد طعنتم في إمارتي أباه من قبله³! وقد فسره البعض أنّ المقصود منه خلوّ المدينة من هؤلاء، لكي يتمكن عليّ من استلام زمام القيادة عند وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم⁴، وقد تريت هؤلاء عن الخروج بسبب مرض الرسول صلى الله عليه وسلم، ولعدم قناعتهم بقيادة أسامة، وهو الشاب الفتى⁵.

لكن الواضح أنّ أبا بكر امتلك عدداً غير قليل من المزايا التي أهلتها لاستلام منصب الخلافة، لعل أهمها: عمره الكبير، مقارنة بعليّ، وكان للسنّ دور هام في تبوء المناصب القيادية، في العرف القبلي⁶، ولعل ذلك ما حاول الرسول صلى الله عليه وسلم، اجتثاته حينما أصر على قيادة أسامة ابن زيد، ولم يتجاوز عمره عشرين عاماً، على بعث الشام⁷.

¹ ابن قتيبة، الإمامة ج1 ص21.

² ابن سعد، الطبقات ج2 ص146. البلاذري، أنساب ج1 ص474.

³ ابن سعد، الطبقات ج2 ص146. البلاذري، أنساب ج1 ص474.

⁴ ابن أبي الحديد، شرح ج1 ص37.

⁵ ابن سعد، الطبقات ج2 ص189.

⁶ كان عمر أبي بكر، يومها واحد وستون عاماً، وكان عمر عليّ اثنتان وثلاثون عاماً، وكان لا يُسمح بعضوية مجلس قيادة قيادة مكة "دار الندوة" في الجاهلية، إلا لمن وصل عمره أربعين عاماً. الأزرقى، أخبار ج1 ص109.

⁷ ابن سعد، الطبقات ج2 ص191.

ودعمت أغلب بطون قريش أبا بكر، خاصة بني مخزوم وبني عدي وبني تيم وبني فهر، في ظل رفض هذه البطون لعلي، لأن آثار سيفه ما زالت ماثلة، في رقاب ساداتهم وأبنائهم، خلال الغزوات السابقة، حيث قتل منهم في بدر وحدها اثنين وعشرون رجلاً¹، فيما لم يثبت أن أحداً من الراشدين الثلاثة قتل أحداً، إلا ما روي أن عمر قتل رجلاً منهم في بدر²، وقد جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال " يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، لَيَبْعَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ رَجُلًا مِنْكُمْ قَدْ امْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلإِيمَانِ فَيَضْرِبُكُمْ أَوْ يَضْرِبُ رِقَابَكُمْ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لَا»، فَقَالَ عُمَرُ: أَنَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لَا، وَلَكِنَّهُ خَاصِفُ النَّعْلِ، وَكَانَ أُعْطِيَ عَلِيًّا نَعْلَهُ يَخْصِفُهَا»³ إضافة لرؤية علي المعروفة بالحزم والشدة، في الجانب المالي، فهو صاحب الرؤية التي طالما نادى بها أبو ذر حول كنز المال⁴، و شكّل قبول الأنصار، رغم ميلهم المعروف لعلي سابقاً، ولاحقاً، الخطوة الحاسمة لصالح أبي بكر⁵.

وشكلت إمامة أبو بكر الناس بالصلاة في ظل مرض الرسول صلى الله عليه وسلم، أكبر سند شرعي في الخلافة، عند أهل السنة⁶، ويعزز هذا الأمر ما ورد عن علي أنه قال: وَلَوْ كَانَ عِنْدِي مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَهْدٌ فِي ذَلِكَ، مَا تَرَكْتُ أَخَا بَنِي تَيْمٍ بِنِ مِرَّةٍ، وَعَمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُومَانِ عَلَيَّ مِنْبَرِهِ، وَلَقَاتَلْتُهُمَا بِيَدِي، وَلَوْ لَمْ أَجِدْ إِلَّا بُرْدِي هَذَا، وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَقْتُلْ قَتْلًا، وَلَمْ يَمُتْ فَجَاءَ، مَكَثَ فِي مَرَضِهِ أَيَّامًا وَلَيَالِي، يَأْتِيهِ الْمُؤَدِّنُ فَيُؤَدِّنُهُ بِالصَّلَاةِ، فَيَأْمُرُ أَبَا بَكْرٍ فَيَصَلِّي بِالنَّاسِ، وَهُوَ يَرَى مَكَانِي⁷.

¹ الواقدي، المغازي ج1ص147-152. المالكي، حسن بن فرحان، قراءة ص42.

² الواقدي، المغازي ج1ص92. ابن هشام، سيرة ج1ص636.

³ ابن أبي شيبة، مصنف ج6ص367. ابن حنبل، مسند ج17ص391. الترمذي، سنن ج5ص634.

⁴ جاء عن علي في قوله تعالى: (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ) التوبة:34، قَالَ: «أَرْبَعَةُ أَلْفٍ فَمَا دُونَهَا نَفَقَةٌ وَمَا فَوْقَهَا

كَنْزٌ». عبد الرزاق، تفسير ج2ص144. ابن أبي حاتم، تفسير ج6ص1788. السمرقندي، تفسير ج2ص55.

⁵ الواقدي، الرده ج1ص47-48.

⁶ البخاري، صحيح ج1ص133، 136-137، ج4ص150، ج9ص98. مسلم، صحيح ج1ص313، 316.

⁷ الذهبي، تاريخ ج3ص640. السيوطي، تاريخ ص147.

أجمعت الروايات المعتبرة، أنّ علياً رفض البيعة¹، لكنها تختلف في المدة التي بقي فيها ممتنعاً، بين بضعة أيام، إلى أربعين يوماً، والراجح أنها ستة أشهر²، وهي تمتد إلى ما بعد وفاة الزهراء، وقد أوصت بدفنها ليلاً، حتى لا يصلي عليها أبو بكر³، بسبب اعتقادها أنه أخذ الخلافة بغير حق، كما أنه أخذ منها أرض فدك⁴.

والراجح أنّ علياً بايع تحت ضغط قريش، وخاصة بعد مدهمة بيته من قبل عمر وجمع من الصحابة، منهم: ثابت بن قيس (ت12هـ)⁵ وأسيد بن حضير (ت20هـ) وخالد بن الوليد المخزومي (ت21هـ)⁶ ومحمد بن مسلمة (ت43هـ)⁷ وسلمة بن سلامة الأنصاري (ت45هـ) (ت45هـ) والمغيرة بن شعبة الثقفي (ت50هـ)⁸، حيث هدد عمر أهل الدار قائلاً "واللّٰه لأحرقنّ عليكم أو لتخرجنّ إلي البيعة"⁹.

وما جاء عن أسلم مولى عمر (ت80هـ)، أنّه حين بُويِعَ لِأبي بكرٍ بعدَ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ عَلِيٌّ وَالزُّبَيْرُ يَدْخُلَانِ عَلَى فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيُشَاوِرُونَهَا وَيَرْتَجِعُونَ فِي أَمْرِهِمْ ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ خَرَجَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى فَاطِمَةَ فَقَالَ: «يَا بِنْتَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاللّٰهِ مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَيْنَا مِنْ أَبِيكَ، وَمَا مِنْ أَحَدٍ أَحَبَّ إِلَيْنَا بعدَ أَبِيكَ مِنْكَ، وَإِنَّمَا اللهُ مَا ذَاكَ بِمَانِعِي إِنْ اجْتَمَعَ هَؤُلَاءِ النَّفَرُ عِنْدَكَ؛ أَنْ أَمَرْتَهُمْ أَنْ يُحْرِقَ عَلَيْهِمُ الْبَيْتُ»، قَالَ: فَلَمَّا خَرَجَ عُمَرُ جَاءُوهَا فَقَالَتْ: تَعْلَمُونَ أَنَّ عُمَرَ قَدْ جَاءَنِي وَقَدْ

¹ ولا قيمة لما رواه سيف بن عمر التميمي، وأورده الطبري في تاريخه ج3ص207، ومفادها: أنّ علياً خرج في قميصٍ ما عليه إزارٌ ولا رداءً، عَجَلًا، كَرَاهِيَةً أَنْ يُبْطِئَ عَنْ بَيْعَةِ أَبِي بَكْرٍ، حَتَّى بَايَعَهُ ثُمَّ جَلَسَ إِلَيْهِ وَبَعَثَ إِلَى ثَوْبِهِ فَأَتَاهُ فَتَجَلَّلَهُ، وَلَزِمَ مَجْلِسَهُ، فَهِيَ رَوَايَةٌ شَاذَةٌ مَتْنًا وَسُنَدًا، تَدْفَعُهَا كُلُّ رَوَايَاتِ الْبَخَارِيِّ وَالطَّبْرِيِّ، وَغَيْرِهِمَا.

² الواقدي، الردة ج1ص47. البخاري، صحيح ج5ص139. مسلم، صحيح ج3ص1380.

³ البخاري، صحيح ج5ص139. مسلم، صحيح ج3ص1380.

⁴ البخاري، صحيح ج8ص49.

⁵ هو غير ثابت بن قيس بن الخطيم الذي ولّاه علي المدائن. البغدادي، تاريخ ج1ص187.

⁶ ابن زنجويه، الأموال ج2ص727. النسائي، خصائص ص110، سنن ج7ص441. البخاري، صحيح ج5ص163.

⁷ محمد بن مسلمة، هو صاحب المهمات الخاصة عند عمر، يقال أنّ معاوية بعث من اغتاله في الأردن سنة 43هـ.

⁸ الجوهري، السقيفة ص46-48. الفسوي، المعرفة ج3ص329. سير ج4ص35. ابن حجر، الإصابة ج6ص28-29.

⁹ ابن قيس، كتاب ج1ص593.

⁹ الطبري، تاريخ ج3ص202.

حَلَفَ بِاللَّهِ لَنْ عُدْتُمْ لِحِرْقَنْ عَلَيْكُمْ الْبَيْتَ وَإِيْمُ اللَّهِ لِيَمْضِينَ لِمَا حَلَفَ عَلَيْهِ، فَانصَرَفُوا رَاشِدِينَ،
فَرَوْا رَأْيَكُمْ وَلَا تَرْجِعُوا إِلَيَّ، فَانصَرَفُوا عَنْهَا فَلَمْ يَرْجِعُوا إِلَيْهَا حَتَّى بَايَعُوا لِأَبِي بَكْرٍ¹.

وقد ندم الصديق عند موته، على هذه المداهمة، فيما ذكره لعبد الرحمن بن عوف
(ت31هـ) "وَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ كَشَفْتُ بَيْتَ فَاطِمَةَ وَتَرَكْتُهُ، وَأَنْ أُغْلِقَ عَلَيَّ الْحَرْبَ، وَوَدِدْتُ أَنِّي
يَوْمَ سَقِيفَةَ بَنِي سَاعِدَةَ كُنْتُ قَذَفْتُ الْأَمْرَ فِي عُنُقِ أَحَدِ الرَّجُلَيْنِ: أَبِي عُبَيْدَةَ أَوْ عُمَرَ، فَكَانَ أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ، وَكُنْتُ وَزِيرًا"².

والذي تطمئن إليه النفس، أن أبا بكر لم يكره علياً على البيعة، وأن علياً بايع بعد وفاة
فاطمة، مختاراً حرصاً منه على وحدة الأمة³، وليس كما ذكر البخاري عن عائشة، أنه وجد من
وجوه الناس انقباضاً، وأنه لم يكن يجد منهم ذلك في حياة فاطمة⁴، وقد جاءت بيعته بعد وفاتها
بأكثر من شهرين⁵، حيث أرسل إلى أبي بكر: انْتَبَا، وَلَا تَأْتِنَا بِأَحَدٍ مَعَكَ، وَكَرِهَ أَنْ يَأْتِيَهُ عُمَرُ لِمَا
عَلِمَ مِنْ شِدَّةِ عُمَرَ، ولما كان من أمر مداهمة بيته، فانطلق أبو بكر، فَدَخَلَ عَلَيَّ، وَقَدْ جَمَعَ
بَنِي هَاشِمٍ عِنْدَهُ، فَقَالَ عَلِيٌّ: فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنَا أَنْ نُبَايِعَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ إِنْكَارٌ لِفَضِيلَتِكَ، وَلَكِنَّا كُنَّا نَرَى أَنْ
لَنَا فِي هَذَا الْأَمْرِ حَقًّا، فَاسْتَبَدَدْتُمْ عَلَيْنَا، ثُمَّ ذَكَرَ قَرَابَتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَقَّهُمْ،
فَلَمْ يَزَلْ يَذْكُرُ ذَلِكَ حَتَّى بَكَى أَبُو بَكْرٍ، ثم بايعه عليٌّ عشية ذلك اليوم⁶.

¹ ابن أبي شيبة، مصنف ج7ص432. ابن أبي عاصم، المذكر ج1ص91.

ابن سعد، الطبقات ج1ص314، 366. البخاري، التاريخ الكبير ج2ص23-24. البغدادي، تاريخ ج2ص89. المسعودي،
مروج ج2ص146.

² المسعودي، مروج ج2ص146. الذهبي، تاريخ ج3ص12. الهندي، كنز ج5ص632. العصامي، سمط ج2ص465.

³ الواقي، الردة ج1ص47.

⁴ البخاري، صحيح ج5ص139.

⁵ الواقي، الردة ج1ص47. وقد ختم الواقي روايته للسقيفة، قائلا: وَهَذَا مِنْ رِوَايَةِ الْعُلَمَاءِ، وَلَمْ أَرِدْ أَنْ أَكْتُبَ هَاهُنَا شَيْئًا
مِنْ زِيَادَاتِ الرَّافِضَةِ. الواقي، الردة ج1ص47.

⁶ عبد الرزاق، مصنف ج5ص471. أبو عوانة، مستخرج ج4ص251.

أما ما روي عن تحريق عمر لبيت فاطمة، وضربها حتى كسر ضلعها، فسقط حملها، فماتت بعد ذلك متأثرة بهذا الضرب¹، فهي روايات لا يمكن قبولها²، لعدة أسباب، أهمها:

استحالة قبول مجتمع المدينة بذلك، في ذلك الوقت، القريب العهد برسول الله صلى الله عليه وسلم، ومهما قيل عن غلظة عمر، فلا يُتصور أن تصل غلظته إلى ذلك الحدّ، فضلاً أنّ المجتمع العربي، بالأصل يستحيل تقبله لضرب امرأة بهذا الشكل، حتى لو لم تكن ابنة الرسول صلى الله عليه وسلم، حسب تعبير العالم الشيعي كاشف الغطاء³.

كما أن علاقة عليّ بعمر خلال حكمه، لا يمكن أن تكون بهذه الإيجابية، ما دام عمر قتل فاطمة، حتى أنّ عليّاً زوج ابنته أم كلثوم لعمر⁴، وسمّى أحد أولاده باسم عمر⁵، وهذا ثابت في مختلف المصادر، فهل يستقيم هذا وذاك؟.

ويستحيل سكوت عليّ على ذلك، فهو وإن سكت عن قضية الخلافة، فلا يمكن أن يسكت أمام حرق بيته، وضرب زوجته، وكسر ضلعها، وإسقاط حملها، بل واستشهادها، في عز شبابها، ولم يكد يمر وقت على وفاة والدها، سيد البشرية، وهي سيدة نساء العالمين، وكان يملك بني هاشم، ويناصره عدد غير قليل، يقول ابن هشام (ت213هـ) والطبري (ت310هـ)، أنه

¹ ابن قيس، كتاب ج1ص588.المسعودي، إثبات ص155.

² أعاد النظر بهذه الروايات، المرجع الشيعي محمد حسين فضل الله، فرفض غالبيتها، ممّا أثار عليه حملة كبيرة في الوسط الشيعي المتشدّد، اتهمه بعضها بالتسنن. حيث اعتبر فضل الله أن هذه القصة الأسطورية تطعن في رجولة عليّ وشرفه وبطولته، وتصوره جباناً يختبئ في بيته ويخرج زوجته لتتصدى للمهاجمين. فضل الله، محمد، حوار صوتي مسجل، موقع المشكاة.

³ يقول المرجع الشيعي آل كاشف الغطاء "ولكن قضية ضرب الزهراء ولطم خدها مما لا يكاد يقبله وجداني، ويتقبله عقلي، وتفتن به مشاعري، لا لأن القوم يتخرجون ويتورعون من هذه الجرأة العظيمة، بل لأن السجايا العربية والتقاليد الجاهلية التي ركزتها الشريعة الإسلامية وزادتها تأبيداً وتأكيداً، تمنع بشدة ضرب المرأة، أو تمد إليها يد سوء" كاشف الغطاء، محمد، جنة ص135. ويضيف "ضرب المرأة كان في ذلك الزمان عيباً، فمن يضرب امرأة يصبح ذلك عارا عليه وعلى عقبه" كاشف الغطاء، محمد، جنة ص135.

⁴ ابن سعد، الطبقات ج8ص339.الكليني، الكافي ج5ص346.الأجري، الشريعة ج4ص1736.أعدّ أبو معاذ الإسماعيلي كتاباً في إثبات زواج عمر من أم كلثوم، تتبّع فيه مراجع ومصادر الشيعة والسنة.الصلابي، علي، سيرة عليّ ص148.

⁵ ابن سعد، الطبقات ج1ص76.الأصفهاني، مقاتل ص509.ابن الجزري، مناقب ج1ص78.

كان في بيت عليّ "طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرُ وَرِجَالٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ"¹، هؤلاء وحدهم كان يمكنهم دفع الأذى عن بيت فاطمة، وكانوا قد اعتصموا فيه، وتذكر الروايات أسماء:

الزبير بن العوام بن خويلد (ت36هـ)، ابن عمه عليّ، صفيّة بنت عبد المطلب، وقد أوردت جميع الروايات، اسمه وموقفه الحازم مع عليّ، وقيل أنه استل سيفاً، وأنّ عمر وخالد ومحمد بن مسلمة عاركوه حتى أخذوه من يده²، وللمفارقة، فقد قُتل الزبير بعد ذلك بثلاثة عقود، في معركة الجمل ضد بيعة عليّ، وقد انسحب من ميدان المعركة، بعد أن ذكره عليّ بقوله صلى الله عليه وسلم، له: «لَتَقَاتِلَنَّهُ وَأَنْتَ لَهُ ظَالِمٌ» يَعْنِي عَلِيًّا³، وكان عليّ يقول: ما زال الزبير منا أهل البيت حتى نشأ ابنه عبد الله (ت73هـ) فقلبه⁴.

والمقداد بن عمرو البهرائي (ت33هـ)، وقد قال لعليّ: إن أمرتني لأضربن بسيفي، وإن أمرتني كفت؟ فقال له: أكف⁵، والبراء بن عازب الأنصاريّ (ت72هـ)، الذي قال: لم أزل لبني هاشم محباً فلما قبض صلى الله عليه وآله وسلم، تخوفت أن تتمالأ قريش على إخراج هذا الأمر عن بني هاشم فأخذني ما يأخذ الوالهة العجول فمكثت أكابد ما في نفسي، ورأيت في الليل المقداد وسلمان وأبا ذر وعبادة بن الصامت وأبا الهيثم بن التيهان وحذيفة وعماراً، وهم يريدون أن يعيدوا الأمر شورى⁶.

¹ ابن هشام، سيرة ج2ص656. الطبري، تاريخ ج3ص202.

² الطبري، تاريخ ج3ص203. ابن الوردي، تاريخ ج1ص134.

³ معمر، جامع ج11ص241. البلاذري، أنساب ج2ص255. الكلاباذي، بحر ج1ص147. الحاكم، الملائستدرك ج3ص413. وصححه الذهبي في تعقيبه عليه. ولما رجّع الزبير إلى ابنه عبد الله بن الزبير قال: ما لي في هذا الحرب بصيرة!! فقال له عبد الله: لا ولكنك جئبت عن لقاء عليّ حين رأيت رايته فعرفت أن تحتها الموت. البلاذري، أنساب ج2ص255.

⁴ ابن عساکر، تاريخ ج18ص404. ابن الأثير، أسد ج3ص241.

⁵ أبو الفداء، مختصر ج1ص157. ابن الوردي، تاريخ ج1ص134. كاشف الغلطاء، أصل ص123. مغنية، جواد، في ظلال ص88.

⁶ الجوهري، السقيفة ص48-49. أبو الفداء، مختصر ج1ص157. ابن الوردي، تاريخ ج1ص134

وسلمان الفارسي (ت36هـ)¹، وعمار بن ياسر (ت37هـ)²، وأبو ذر الغفاري (ت31هـ)³، ومعهم العباس بن عبد المطلب (ت32هـ)، عم الرسول صلى الله عليه وسلم، ومعه أولاده، الفضل وعبد الله وعبيد الله وعبد الرحمن وقتم ومعبد،⁴ وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب (ت20هـ)، وهو أخ الرسول صلى الله عليه وسلم في الرضاعة، وابن عمه⁵.

كما أن خالد بن سعيد بن العاص الأموي (ت14هـ)، عاد من اليمن، وكان والياً عليها، وأحضر معه ورقاً وعبيداً وحبشانياً ودروعاً ورماحاً⁶، وجاهر ضد بيعة أبي بكر، وبعدما بايع⁷، أقنع عمرُ أبا بكرٍ بعزله عن ولاية اليمن⁸، رغم أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم، هو مَنْ مَن ولّاه، وعزله أبو بكر أيضاً عن قيادة أحد جيوش الشام، بعد أن عقد له لواءه⁹، فمضى مع جيش شرحبيل محتسباً، بحسب تعبير البلاذري، حيث استشهد في واقعة مرج الصفر (ت14هـ)، يُذكر أنه كان من أول الناس إسلاماً، والمفارقة أنه أسلم علي يد أبي بكر¹⁰.

ويمكن لعلّي أن يحالف الخزرج وزعيمها الغاضب، سعد بن عباد (ت15هـ)، خاصة أن ولده قيس (ت59هـ)، كان من أشد أنصار عليّ، وكانت الأنصار - أو بعض الأنصار - قالت، قبل انفضاض اجتماع السقيفة: لا نُبأيعُ إلا عليّاً¹¹، وزعيم قبيلة أسلم، بريدة الأسلمي،

¹ الجوهري، السقيفة ص45-46. أبو الفداء، مختصر ج1ص157. ابن الوردي، تاريخ ج1ص134.

² الطبري، تاريخ ج4ص232. الجوهري، السقيفة ص48-49. أبو الفداء، مختصر ج1ص157. ابن الوردي، تاريخ ج1ص134.

³ الجوهري، السقيفة ص64. أبو الفداء، مختصر ج1ص157. ابن الوردي، تاريخ ج1ص134.

⁴ ابن سعد، الطبقات ج4ص6.

⁵ ابن سعد، الطبقات ج4ص49-51. ابن أبي الحديد، شرح ج2ص107.

⁶ الجوهري، السقيفة ص55.

⁷ قيل أنه بايع بعد سنة، وقيل مات دون أن يبايع. الجوهري، السقيفة ص67.

⁸ قال ابن الأثير: أنه لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم، لم يزل خالد وأخواه عمرو وأبان على أعمالهم التي استعملهم عليها رسول الله حتى توفي رسول الله فرجعوا عن أعمالهم فقال لهم أبو بكر: ما لكم رجعتم؟ ما أحد أحق بالعمل من عمال رسول الله، ارجعوا إلى أعمالكم، فقالوا: نحن بنو أبي أحيحة لا نعمل لأحد بعد رسول الله أبداً، وكان خالد على اليمن وأبان على البحرين وعمرو على تيماء. ابن الأثير، أسد ج2ص124.

⁹ الواقدي، فتوح ج1ص13. ابن سعد، الطبقات ج4ص70-74. البلاذري، فتوح ص76، 112.

¹⁰ ابن سعد، الطبقات ج4ص71، 73. البلاذري، فتوح ص76، 112. اليعقوبي، تاريخ ج1ص268، 381.

¹¹ البخاري، صحيح ج9ص65. الطبري، تاريخ ج3ص202.

والذي قيل، أنه ركز رايته وسط قبيلة أسلم¹، وأعلن أنه لن يبايع حتى يبايع عليّ، فأبت أسلم أن تبايع، فقالوا: ما كنا نبايع حتى يبايع بريدة².

وترددت أسماء، فروة بن عمرو البياضي الأنصاري³، وورد اسم طلحة بن عبيد الله (ت36هـ)⁴، وخزيمة بن ثابت الأنصاري (ت37هـ)، ذي الشهادتين⁵، وزيد بن أرقم الأنصاري (ت68هـ)، وأبو الهيثم بن التيهان الأنصاري (ت20هـ)، ولا ننسى عرض أبي سفيان (ت20هـ)، لعليّ، وهو رأس بني أمية، وكانوا أكثرية بين قريش، وهم أولاد عم بني هاشم⁶.

وكان لبعض النسوة صوت في مناصرة عليّ، مثل أم أيمن (ت11هـ)⁷، ولمّا اشتد الضغط على عليّ لكي يبايع، خرجت أم مسطح بن أثاثة، إلى قبر النبيّ صلى الله عليه وسلم:

قد كان بعدك أنباء وهنّبة... لو كنت شاهدتها لم تكثر الخطب

إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها... واختل قومك فارجع ثم لا تغب⁸

¹ ولعلها الراية التي عقدها الرسول صلى الله عليه وسلم، لأسامة، وسلّمها لبريدة، فقيت معه، وقد ورد أنّه غرس الراية عند باب بيت الرسول صلى الله عليه وسلم، فأمره أبو بكر بنقلها لبيت أسامة. ابن سعد، الطبقات ج2 ص146.

² الطبري، تاريخ ج3 ص222. المرتضى، الشافعي ص243. ابن عبد البر، الاستيعاب ج1 ص185.

³ هو من أهل بيعة العقبة، بدريّ، شهد المشاهد كلها، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، استعمله على المغانم يوم خيبر، وفي تخريب نخل المدينة. ابن عبد البر، الاستيعاب ج3 ص1259. ابن بشكوال، غوامض ج2 ص875. ابن حجر، الإصابة ج5 ص278.

⁴ ابن حنبل، مسند ج1 ص319. الموصلي، مسند ج2 ص13.

⁵ البخاري، صحيح ج6 ص71. وخزيمة هذا، هو الذي أجاز رسولُ الله صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين، شهد بدرا، وما بعدها من المشاهد، وكانت راية خزيمة بيده يوم الفتح، وكان مع علي بصفين 37هـ، فلما قتل عمار جرد سيفه فقاتل حتى قتل. ابن سعد، الطبقات ج4 ص380. البخاري، التاريخ الأوسط ج1 ص78. ابن عبد البر، الاستيعاب ج2 ص448.

⁶ الواقدي، الردالة ج1 ص29، 46-47. الطبري، تاريخ ج3 ص209.

⁷ ابن الأثير، أسد ج6 ص304. وقال الواقدي: توفيت أول خلافة عثمان، واسمها بركة، مولاة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، وحاصنته. ابن سعد، الطبقات ج8 ص226.

⁸ ابن سعد، الطبقات ج2 ص251. لكن ابن طيفور، نسب هذه الأبيات للزهراء. ابن طيفور، بلاغات ص18.

فإمكانات الثورة متوفرة لعليّ، وليس الأمر كما صورته بعض المصادر، أنّ عليّاً طاف بيوت الأنصار والمهاجرين على حمار، هو وفاطمة، فلم يجبه أحد إلا أربعة: سلمان والمقداد وأبو ذر والزبير¹، أولاً لماذا على حمار؟ ثمّ أين عمار وغيره من أنصار عليّ؟ وأين بنو هاشم؟ وأين الغاضبون من الأنصار؟ وسنرى أنّ غالبية الأنصار قاتلوا مع عليّ في صفين والجمل.

ولا يستقيم أن يكون عليّ بايع تحت ضغط جسديّ مباشر، كما جاء في رواية للطبري "وَتَخَلَّفَ عَلِيٌّ وَالزُّبَيْرُ، وَاخْتَرَطَ الزُّبَيْرُ سَيْفَهُ، وَقَالَ: لَا أَعْمِدُهُ حَتَّى يُبَايَعَ عَلِيٌّ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقَالَ عُمَرُ: خُدُوا سَيْفَ الزُّبَيْرِ، فَاضْرِبُوا بِهِ الْحَجَرَ قَالَ: فَانْطَلَقَ إِلَيْهِمْ عُمَرُ، فَجَاءَ بِهِمَا تَعْبًا، وَقَالَ: لَتُبَايَعَانَ وَأَنْتُمَا طَائِعَانَ، أَوْ لَتُبَايَعَانَ وَأَنْتُمَا كَارِهَانَ! فَبَايَعَا². فهذا مشهد لا يتسق مع طبيعة تلك المرحلة، ولا يتسق مع شخصيتي عليّ والزبير.

لكن شعور عليّ وآل البيت بالاستضعاف، تضاعف عندما أخذ أبو بكر أرض فدك، وهي أراضي واسعة وغنية³، حيث تفاعل غضب فاطمة وازداد، وهو الغضب الذي استمر عند أهل البيت على طول الزمن، حتى قال قائلهم "لنا أم صديقة غضبت على أبي بكر لمنعها فدك ونحن غاضبون لغضبها"⁴ فيما جاء عن زيد بن عليّ بن الحسين (ت122هـ)، وهو من كبار آل البيت، قال: وَأَيُّمُ اللَّهِ، لَوْ رَجَعَ الْأَمْرُ إِلَيَّ لَقَضَيْتُ فِيهَا بِقَضَاءِ أَبِي بَكْرٍ⁵. علماً أن زيد نفسه، هو من روى خطبة فاطمة بالمهاجرين والأنصار، عندما علمت بمنعها فدكاً⁶.

¹ ابن قيس، كتاب ج1ص669.

² الطبري، تاريخ ج3ص203.

³ ابن أبي الحديد، شرح ج16ص1744، 1764. قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان، أفاءها الله على رسوله، صلّى الله عليه وسلّم، سنة 7هـ صلحاً، فكانت خالصة لرسول الله، صلى الله عليه وسلم، وفيها عين فوارة ونخيل كثيرة. ياقوت، معجم ج4ص339.

⁴ ابن أبي الخير، الانتصار ج1ص110.

⁵ ابن شبة، تاريخ ج1ص200.

⁶ ابن طيفور، بلاغات ص16-23.

وقد احتج أبو بكر، أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال «لَا نُورَثُ، مَا تَرَكَنَا صَدَقَةً» وأضاف: مَنْ كَانَ النَّبِيُّ يَعُولُهُ، فَأَنَا أَعُولُهُ، وَمَنْ كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ فَأَنَا أَنْفِقُ عَلَيْهِ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ: يَا أَبَا بَكْرٍ، أَتَرْتُكَ بِنَاتِكَ وَلَا تَرِثُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَاتِهِ؟ قَالَ: هُوَ ذَلِكَ¹.

وما يعزز موقف آل البيت في دعوى أحقية فدك، أن الخليفة عمر بن عبد العزيز (ت101هـ)، أعاد فدك لهم²، في حملة رد المظالم التي اقتربها بنو أمية، بحق الأمة³، فنقمت بنو أمية ذلك على عمر بن عبد العزيز، وعاتبوه فيه وقالوا له: "هَجَنْتَ فَعَلَ الشَّيْخِينَ"⁴.

وتتلخص معالم استضعاف آل البيت، في عهد أبي بكر، في كونه استضعاف سياسي، يفسره حديث أم الفضل، وَهِيَ أُمُّ وَلَدِ الْعَبَّاسِ، عم الرسول صلى الله عليه وسلم، قَالَتْ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرَضِهِ، فَجَعَلْتُ أَبْكِي، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: " مَا يُبْكِيكِ؟ " قُلْتُ: خِفْنَا عَلَيْكَ، وَمَا نَدْرِي مَا نَلْقَى مِنَ النَّاسِ بَعْدَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: " أَنْتُمْ الْمُسْتَضْعَفُونَ بَعْدِي"⁵ وقد تمثل ذلك في حسم قضية الخلافة، بعيداً عنهم، وحتى دون استشارتهم، ثم في ما تعرضوا له من ضغط لكي يبايعوا، ثم في عدم استعمال أحد من آل البيت، سواء على ولايات الدولة⁶، أو في قيادة جيوش الفتح⁷، واقتصاره غالباً على بطون قريش المتعددة، ومنها بني أمية، بعد تغيير

¹ ابن شبة، تاريخ ج1ص198.

² ياقوت، معجم ج4ص339.

³ البلاذري، فتوح ص41. أبو داود، سنن ج3ص143.

⁴ ابن سعد، الطبقات ج5ص303. ابن أبي الحديد، شرح ج16ص1762. الصدر، محمد، فدك ص28. (والتَّهْجِينَ: التَّبْجِيحُ) الزبيدي، تاج ج36ص278. والشَّيْخَانُ: هما أبو بكر وعمر.

⁵ ابن سعد، الطبقات ج8ص218. ابن حنبل، مسند ج44ص448. الطبراني، المعجم الكبير ج25ص23.

⁶ عمال أبي بكر، هم: أنس بن مالك على البَحْرَيْنِ، عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ عَلَى عُمَانَ، ثُمَّ وَجَّهَهُ أَبُو بَكْرٍ إِلَى الْيَمَنِ وَوَلَّى عُمَانَ حُدَيْفَةَ الْعَلْقَانِيَّ، وَالْمُهَاجِرَ بْنَ أَبِي أُمِيَّةَ عَلَى صَنْعَاءَ، وَزَيْدَ بْنَ لَبِيدٍ الْأَنْصَارِيَّ عَلَى مَا سِوَى ذَلِكَ مِنْ، وَيَعْلَى بْنَ أُمِيَّةَ عَلَى خَوْلَانَ، وَأَقْرَبَ أَبُو بَكْرٍ عَتَابَ بْنَ أُسَيْدٍ عَلَى مَكَّةَ، وَأَقْرَبَ أَبُو بَكْرٍ عُثْمَانَ بْنَ أَبِي الْعَاصِ عَلَى الطَّائِفِ، وَوَلَّى سَلِيطَ بْنَ قَيْسٍ عَلَى الْيَمَامَةِ، وَحَجَّ أَبُو بَكْرٍ سَنَةَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ قَتَادَةَ بْنَ النُّعْمَانَ الظُّفَرِيَّ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَيُقَالُ اسْتَخْلَفَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، وَيُقَالُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَكَانَ كَاتِبَهُ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، وَحَاجِبَهُ شَدِيدُ مَوْلَاهُ، وَيُقَالُ كَتَبَ لَهُ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ أَيْضًا، وَعَلَى أَمْرِهِ كُلُّهُ وَالْقَضَاءُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَقَدْ كَانَ وَلِيَّ أَبَا عُبَيْدَةَ ابْنَ الْجُرَّاحِ بَيْتَ الْمَالِ ثُمَّ وَجَّهَهُ إِلَى الشَّامِ، وَمُؤَدَّنَهُ سَعْدُ الْقُرْظِ مَوْلَى عِمَارِ ابْنِ يَاسِرٍ. خليفة، تاريخ ص122.

⁷ قادة جيوش فتح الشام، الذين عينهم أبو بكر هم: يزيد بن أبي سفيان، باتجاه دمشق، بعد عزل خالد بن سعيد، بسبب موقفه من بيعته، وعمر بن العاص، باتجاه فلسطين، وشرحبيط بن حسنة، باتجاه الأردن، وأبو عبيدة عامر بن الجراح، يقود الجميع إذا اجتمعوا، وأمدهم بخالد بن الوليد، وكان بعثه أولاً نحو العراق. الواقدي، فتوح ج1ص7، 11، 13.

موقفهم، إثر دفع أبي بكر لأبي سفيان ما في يده، فرضي¹، ولعل منبع ذلك، يعود لتوجس أبي بكر منهم، وليس استثنائاً عليهم، فلم يجد آل البيت في عهد الراشدين السب واللعن والهجاء، ولا حرمان العطاء، أي أنهم لم يتعرضوا لحملة اجتثاث، كما حصل لاحقاً في العهد الأموي والعباسي².

ولعل سياسة أبي بكر الحكيمة، وزهده وتواضعه³، دفعت علياً لتجاوز قناعاته الخاصة، والوقوف إلى جواره، ليكون له وزيراً، يقول عليّ "فتولى أبو بكر تلك الأمور فيسر وسدد وقارب واقتصد، فصحبته مناصحاً وأطعته فيما أطاع الله فيه جاهداً"⁴ وحرصاً منه على وحدة الأمة، خاصة بعد تمرد القبائل على الدولة الإسلامية، فيما عُرف بـ(الردة) يقول عليّ "فأمسكت بيدي عن البيعة، حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام... فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولايتكم التي إنما هي متاع أيام قلائل... فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل"⁵.

كما أنه، وحسب ما يقول كاتب شيعي بارز، عندما رأى الخليفةان بذلاً أقصى الجهد في نشر كلمة التوحيد، وتجهيز الجنود، وتوسيع الفتوح، ولم يستأثروا ولم يستبدوا، بايع وسالم، وأغضى عما يراه حقاً له، محافظة على الإسلام أن تتصدّع وحدته، وتتفرّق كلمته، ويعود الناس إلى جاهليتهم الأولى⁶.

وترسخ شعور آل البيت بالاستضعاف، بعد وفاة أبي بكر، وتولية عمر، ممّا عزّز إحساسهم، أنّ ما جرى في السقيفة، لم يكن مجرد صدفة، حيث رفض آل البيت وصية أبي بكر لعمر، ورفضها معهم جمع من الصحابة، إضافة لأولئك الذين شاركوا آل البيت رفض بيعة الصديق، كان منهم طلحة، وذلك بسبب ما عُرف عن (غلظة) عمر، كما أنّ عمر لم يكن من

¹ الجوهري، السقيفة ص39.

² المالكي، حسن بن فرحان، قراءة ص42-43.

³ وصفه المسعودي، وهو مؤرخ قريب من التشيع، أنه كان أزهّد الناس وأكثرهم تواضعاً. المسعودي، مروج ج2 ص143.

⁴ ابن هلال، الغارات ص203.

⁵ م. ن، ص202-203.

⁶ كاشف الغطاء، أصل ص124.

السابقين، فقد أسلم في السنة السادسة للبعثة، بعد أكثر من 150 صحابي، وكان له دور في مقاومة الدعوة، وتعذيب عدد من المستضعفين¹.

إلا أن معارضة البيعة لعمر، تلاشت سريعاً، ربما بسبب انشغال الأمة بالفتوح، بعد اليرموك، ثم القادسية، ولطبيعة شخصية عمر الحازمة، وقدرته البارعة على احتواء هذه المعارضة الناعمة، حيث قرّب علياً، واتخذَه وزيراً، وتمتع عليّ بسلطة استشارية حقيقية، طوال حكم عمر الطويل والقويّ، يقول عليّ "وتولى عمر الأمر وكان مرضي السيرة، ميمون النقيبة"² وجاء عن أسلم مولى عمر (ت80هـ)، أن رجلاً، سأل عمرَ، فقال له عمرُ: «أرأيت علياً فأسأله؛ فإننا قد أمرنا أن نساوره»³ وأخذ عمر برأي عليّ في شتى الأمور، سياسية وعسكرية واقتصادية، حتى أنه أخذ بمشورة عليّ في عدم الخروج بنفسه لقتال الروم "إنك متى تسر إلي هذا العدو بنفسك، فتلقهم بشخصك، فتتكب، لا تكن للمسلمين كائفة دون أقصى بلادهم، ليس بعدك مرجع يرجعون إليه"⁴.

وجعل عمر لآل البيت الموقع الأول في الدعوة والديوان، أو الشرف الاجتماعي، فوضعهم كأشراف العرب، ثم الأقرب فالأقرب من بني هاشم⁵، إلا أن عمر، أعطى عائشة ضعف ما أعطى علياً، وزيادة، بل وزادها على باقي أمهات المؤمنين، بما فيهم ابنته حفصة، حسبما يورد البلاذري⁶، كما أنه لم يستعمل أحداً من بني هاشم، في الولايات والأعمال والفتوح، والفتوح، كما لم يستعمل الأنصار⁷.

¹ البلاذري، أنساب ج1ص587، ج10ص89.

² ابن هلال، الغارات ج1 ص203. الصدر، محمد باقر، خلافة ص25. ويقول المسعودي أن علياً اعتزل الشيخين، لكنه عاد وقال: وهم في خلال ذلك يسألونه ويستفتونه في حلالهم وحرامهم، وفي تأويل الكتاب وفصل الخطاب. المسعودي، إثبات ص156.

³ عبد الرزاق، مصنف ج4ص422.

⁴ علي، نهج ج2ص18.

⁵ ابن سعد، الطبقات ج3ص229.

⁶ البلاذري، فتوح ص431.

⁷ أنظر: عمال عمر على الأمصار، عند الطبري، تاريخ ج4ص233.

كما أن الشورى التي عينها عمر عند طعنه على يد غلام المغيرة بن شعبة¹، أبو لؤلؤة المجوسي، أعادت الأمور إلى لحظة السقيفة، بصورة أكثر مرارة، عبّر عنها عليّ بروح المغلوب على أمره، وقد استحضر يوم السقيفة وغيرها، قائلاً لعبد الرحمن بن عوف: حَبَوْتَهُ حَبَوَ دَهْرٍ، لَيْسَ هَذَا أَوَّلَ يَوْمٍ تَظَاهَرْتُمْ فِيهِ عَلَيْنَا، فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ² وجاء عنه في الخطبة الشقشقية³، وقد استذكر تجاوز السابقين له في الخلافة "فصبرت على طول طول المدة، وشدة المحنة، حتى إذا مضى لسبيله-عمر- جعلها في جماعة زعم أنني أحدهم... فأصغى رجل لضغنه، ومال الآخر لصهره"⁴.

وكان عليّ قد تنبّه، كما عمه العباس، أن تركيبة الشورى⁵ التي وضعها عمر، محسومة النتائج سلفاً، وقد أسرّ عليّ إلى عمه العباس، قائلاً: والله لقد ذهب الأمر منا، فقال العباس: وكيف ذلك يا ابن أخي؟ فقال: إن سعداً لا يخالف ابن عمه عبد الرحمن، وعبد الرحمن نظير عثمان وصهره، فأحدهما لا يخالف صاحبه لا محالة، وإن كان الزبير وطلحة معي فلن أنتفع بذلك إذ كان ابن عوف في الثلاثة الآخرين⁶.

¹ عَنْ أَسْلَمَ: " أَنَّهُ لَمَّا طُعِنَ عُمَرُ قَالَ: مَنْ أَصَابَنِي؟ قَالُوا: أَبُو لَوْلُؤَةَ وَاسْمُهُ فَيْرُوزُ غَلَامُ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ: «قَدْ نَهَيْتُكُمْ أَنْ تَجْلِيُوا عَلَيْنَا مِنْ غُلُوجِهِمْ أَحَدًا فَعَصَيْتُمُونِي». ابن سعد، الطبقات ج3ص350. والمغيرة صاحب تاريخ شأنك، حيث تجد اسمه في كثير من المفاصل الخطيرة في التاريخ، فقد أسلم بعد أن غدر بعدد من رفقته، قال البخاري: وكان المغيرة صعب قوماً في الجاهلية فقتلهم، وأخذ أموالهم، ثم جاء فأسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أما الإسلام فأقبل، وأما المال فاست منه في شيء» البخاري، صحيح ج3ص193. وكان أقنع عمر بإدخال أبي لؤلؤة للمدينة، فطعن عمر. ابن سعد الطبقات ج3ص345. وكان هو من تولى بدعة سب عليّ على المنابر في عهد معاوية. النسائي فضائل ج1ص31. وحاول إقناع عليّ باستبقاء معاوية والياً على الشام. الطبري، تاريخ ج4ص438. وهو من أشار على معاوية بتولية يزيد ولياً للعهد. ابن الأثير، الكامل ج3ص98. وكان شهد عليه ثلاثة رجال بالزنا، لكن رابعهم تردد في شهادته. البلاذري، أنساب ج10ص387.

² الطبري، تاريخ ج4ص233. ابن الأثير، الكامل ج2ص445.

³ سماها عليّ بهذا الاسم، وقد قال لابن عباس، لما قاطعه ليخفف عنه تلك شقشقة، هدرت ثم قرّت كهياج البعير، وقد أخرج من رثته ما علق فيها. عليّ، نهج ج1ص37.

⁴ عليّ، نهج ج1ص33-34. قال ابن الكلبي: عبد الرحمن بن عوف زوج أم كلثوم بنت عتبة بن أبي معيط، وأمه أروي بنت كريب، وأروى أم عثمان، فلذلك، قال: صهره. البلاذري، أنساب ج5ص505.

⁵ لما طعن عمر جعل الأمر شورى بين ستة نفر: علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير والزيبر بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن مالك، وكان طلحة يومئذ بالشام. ابن سعد، الطبقات ج3ص45.

⁶ البلاذري، أنساب ج5ص505. الطبري، تاريخ ج4ص230. ملحم، عدنان، المؤرخون ص90.

إضافة أن دعوة عبد الرحمن لعلّي وعثمان، لإتباع نهج الشيخين، أبي بكر وعمر، أمام الجمهور في لحظة الصفر، مثّلت الفصل الأخير في حيك معادلة الشورى المحسومة سلفاً، كون عبد الرحمن يعرف أنّ عليّاً لا يمكن أن يعلن ذلك وهو يرى نفسه ندّاً لهما، بل كان يرى نفسه أحقّ منهما بالخلافة أصلاً، وكان يعارض سياستهما في كثير من الجوانب، فكيف يمكنه إعلان أمر لا يطيقه، فيما عثمان يعلن ذلك بكل سهولة، علماً أن عثمان لم يطق نهج الشيخين في فترة خلافته الأخيرة، ممّا جعل كثيراً من الصحابة يقفون في وجهه¹.

ولكن عليّاً بايع مضطراً، عندما تيقّن أنّه لا مفرّ، وقد أحكمت قریش رباطها، حيث اجتمع أهل الشورى على أن تكون كلمتهم واحدة على من لم يبايع، فقاموا إلى علي، فقالوا: قم فبايع عثمان، قال: فإن لم أفعل، قالوا: نجاهدك، فمشى إلى عثمان فبايعه²، وهو مشهد يلخص ملامح الاستضعاف السياسي الذي وقع على عليّ وآل البيت، طيلة فترة الراشدين.

ومضى عثمان في فترة حكمه الأولى، يستشير عليّاً، ويقرّبه، لكنه تغيّر في فترة حكمه الأخيرة، حيث شاخ ووقع ضحية ابن عمه الشاب مروان بن الحكم (ت65هـ)، وقد عينّه مستشاراً ووزيراً، يختم بختم الخليفة، وقيل أنه أعطاه خمس خراج إفريقيا³، واستأثر أقارب عثمان من بني أمية، بكل ولايات الخلافة، فضم لمعاوية (ت60هـ) كل الشام⁴، وأطلق يدي ابن ابن خاله، عبد الله بن عامر (ت57هـ) في البصرة وفارس وخراسان⁵، وولى سعيد بن العاص (ت59هـ) الكوفة⁶، وجمع مصر والنوبة وإفريقيا لأخيه في الرضاعة، عبد الله بن أبي السرح (ت36هـ)⁷، وأرجع عمه الحكم بن العاص من منفاه في الطائف إلى المدينة، وكان صلى الله

¹ ابن سعد، الطبقات ج3ص47. الطبري، تاريخ ج4ص233.

² ابن طاهر، البدء ج5ص193.

³ ابن سعد، الطبقات ج5ص26. ابن قتيبة، المعارف ج1ص195.

⁴ خليفة، تاريخ ص155. الفسوي، المعرفة ج1ص34.

⁵ ابن سعد، الطبقات ج5ص33. خليفة، تاريخ ص178.

⁶ الطبري، تاريخ ج4ص274. خليفة، تاريخ ص178.

⁷ ابن سعد، الطبقات ج7ص344-345. ابن أبي الحكم، فتوح ج1ص201.

عليه وسلم، نفاه لأمر عظيم مقطوع به، حسب وصف ابن الأثير¹، وخاصم عماراً وابن مسعود²، ونفى أبا ذر إلى الربيعة³.

حاول عليّ، تنبيه عثمان، لكن الأمور كانت قد خرجت عن السيطرة، حيث زحف ثوار مصر والكوفة والبصرة، إلى المدينة، وحاصروا عثمان، على كراهة من عليّ، حتى قُتل، فلم يكن غير عليّ مرشحاً للخلافة، فقبلها بعد تمنع وتردد، بسبب الظروف التي صاحبت ذلك، وقد بايعه أهل المدينة كافة، مهاجرين وأنصاراً، وأهل الأمصار الثلاث⁴.

لكن فصل استضعاف آل البيت لم ينته باختيار علي خليفة، ذلك أن قريش أعلنت تمردهما عليه مباشرة، وقد وصف ابن أعم (ت314هـ) في فتوحه، الوضع قائلاً "وانتفضت البلاد على عليّ، فجعل كلما وجه عاملاً من عماله إلى بلدة من البلدان حاربوه وتبروه، إلّا أهل الكوفة وأهل البصرة وأهل مصر، وقليلاً من أهل الحجاز⁵، وذلك ربما بسبب اللبس الذي صاحب اغتيال الخليفة عثمان، ولما يمثله عليّ من نهج صارم اقتصادياً وسياسياً وإدارياً⁶، فهو صاحب تلك الرؤية التي طالما اشتهرت عن أبي ذر الغفاري، ضد اكتناز الأموال⁷، ومعروف

¹ ابن قتيبة، المعارف ج1ص194. البلاذري، أنساب ج1ص151. ابن الأثير، أسد ج2ص48.

² ابن سعد، الطبقات ج3ص118. البلاذري، أنساب ج1ص171.

³ البخاري، صحيح ج2ص107. ابن سعد، الطبقات ج3ص47. ابن قتيبة، المعارف ج1ص195. الطبري، تاريخ ج11ص533.

⁴ ابن سعد، الطبقات ج3ص22. البلاذري، أنساب ج2ص205. وانظر: المالكي، حسن بن فرحان، بيعة عليّ ص137-185.

⁵ ابن أعم، الفتوح ج2ص450.

⁶ مما يشير أنّ ثمة خلاف بين نهجي عمر وعليّ، اقتصادياً، قضية المساواة في العطاء، ثم ما رواه ابن عباس، قال: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ: (وَالَّذِينَ يَكْنُزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ) التوبة: 34، قَالَ: كَبُرَ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ عُمَرُ: أَنَا أَفْرَجُ عَنكُمْ، فَانْطَلِقْ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنَّهُ كَبُرَ عَلَى أَصْحَابِكَ هَذِهِ آيَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَفْرِضِ الزَّكَاةَ، إِلَّا لِطَيْبٍ مَا بَقِيَ مِنْ أَمْوَالِكُمْ، وَإِنَّمَا فَرَضَ الْمَوَارِيثَ لِنَكُونِ لِمَنْ بَعْدَكُمْ» فَكَبُرَ عُمَرُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِخَيْرِ مَا يَكْنُزُ الْمَرْءُ؟ الْمَرْءُ الصَّالِحُ...» ابن حنبل، فضائل ج1ص374. أبو داود، سنن ج2ص126.

⁷ البخاري، صحيح ج2ص107. وجاء عن عليّ، في قوله: (وَالَّذِينَ يَكْنُزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ) قال: أربعة آلاف درهم فما دونها نفقة، وما فوقها كنز. عبد الرازق، مصنف ج4ص109. الطبري، تفسير ج14ص219. ابن عطية، المحرر ج3ص28.

عنه أنه صارم في التسوية في العطاء، وقد تجلّى ذلك في أول قسمة للعطاء بعد بيعته¹، كما أنه استعمل عدداً من الأنصار على ولايات رئيسة في الدولة²، وقد مثّل ذلك انقلاباً حقيقياً على سياسة الراشدين الثلاثة، وقد عبّر عليّ عن شعور الاستضعاف هذا، بقوله "ما لقي أحد من هذه الأمة ما لقيت، تُوفّي رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَحَقُّ النَّاسِ بِهَذَا الأَمْرِ، فَبَايَعَ النَّاسُ أَبَا بَكْرٍ فَاسْتَخَلَفَ عُمَرَ فَبَايَعْتُ وَرَضِيْتُ وَسَلَّمْتُ، ثُمَّ بَايَعَ النَّاسُ عُثْمَانَ فَبَايَعْتُ وَسَلَّمْتُ وَرَضِيْتُ، وَهُمْ الآنَ يَمِيلُونَ بَيْنِي وَبَيْنَ مُعَاوِيَةَ!!!"³.

قاد التمرد على عليّ، أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر، ومعها طلحة والزبير، حيث تجيشوا واقتحموا البصرة، وطرحوا واليها عثمان بن حنيف (ت41هـ)، ونكّلوا به⁴، تحت دعوى تتبع قتلة عثمان، علماً أنهم كانوا من أكثر المحرضين على عثمان في آخر حياته⁵، وكان وكان طلحة والزبير قد بايعا عليّاً، وقد شكّل طبيعة هذا الثلاثي، خطراً حقيقياً على خلافة عليّ كلها، لما يمثله من مكانة معنوية بين المسلمين، وقدرتهم على التجيش، خاصة بعد سيطرتهم على البصرة، حيث سقط مئات القتلى.

توجه عليّ نحو البصرة، بجيش ضمّ أربعة آلاف من أهل المدينة، وانضم له لاحقاً، الآلاف من أهل الكوفة⁶، وبعد مراسلات عديدة بينه وبين جيش عائشة، اندلع القتال، وقد افتعله مروان بن الحكم الأموي، عندما قتل طلحة، غيلة، وكانا في ذات الجيش⁷، بعد أن أيقن بوقوع

¹ ابن أبي الحديد، شرح ج7ص707-709.

² عثمان بن حنيف على البصرة، وقيس بن سعد بن عبادة على مصر، ووجه سهل بن حنيف على الشام، لكن معاوية رده. خليفة، تاريخ ص199.

³ البلاذري، أنساب ج2ص177.

⁴ ابن أبي شيبه، مصنف ج7ص545. اختار المتمردون على عليّ البصرة، لأن واليها السابق عبد الله بن عامر الأموي، كان قد ترك فيها بعض "الصنائع" لذا فقد تولى إقناع طلحة والزبير بالتوجه للبصرة. الطبري، تاريخ ج4ص450. المالكي، حسن بن فرحان، قراءة ص59.

⁵ البلاذري، أنساب ج5ص565. وجاء في البلاذري أيضاً: وَكَانَ الزُّبَيْرُ وَطَلْحَةُ قَدِ اسْتَوْلِيَا عَلَى الأَمْرِ، وَمَنْعَ طَلْحَةَ عُثْمَانَ عُثْمَانَ مِنْ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهِ المَاءُ العَذْبُ، فَأَرْسَلَ عَلِيٌّ إِلَى طَلْحَةَ وَهُوَ فِي أَرْضٍ لَهُ عَلَى مِيلٍ مِنَ المَدِينَةِ، أَنْ دَعِ هَذَا الرَّجُلَ فليشرب من مائه ومن بئرهِ، وَلَا تَقْتُلُوهُ مِنَ العَطَشِ، فَأَبَى. البلاذري، أنساب ج5ص582.

⁶ خليفة، تاريخ ص181. البلاذري، أنساب ج2ص221. المسعودي، مروج ج2ص248. العصامي، سمط ج2ص561.

⁷ جزم خليفة بن خياط و الذهبي وابن حجر، بذلك، وثبت ذلك بسند صحيح: عند ابن سعد في طبقاته.. ابن سعد، الطبقات ج3ص223. البغدادي، تاريخ ج14ص464.

الصلح، بعد أن أفتع عليّ الزبيرَ بالرجوع¹، ونادى عليّ طَلْحَةَ، فَقَالَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ مَا الَّذِي أخرجك؟ قَالَ الطَّلَبُ بِدَمِ عُثْمَانَ، قَالَ عَلِيٌّ: قَتَلَ اللهُ أَوْلَانَا بِدَمِ عُثْمَانَ، أَمَا سَمِعْتَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ عَنِّي: اللَّهُمَّ وَالِّ مِنَ وَالْيَاءِ، وَأَنْتَ أَوْلُ مَنْ بَايَعَنِي ثُمَّ نَكَثْتَ؟ فترجع طلحة للسوراء، فَقَالَ مَرْوَانُ: رَجَعَ الزَّبِيرُ وَيَرْجِعُ طَلْحَةُ، وَاللَّهُ لَأُطَلِّبُ ثَأْرِي بَعْدَ الْيَوْمِ، فَرَمَى مَرْوَانُ طَلْحَةَ، وَهُوَ مُعْتَدِلٌ فِي بَعْضِ الصُّفُوفِ بِسَهْمٍ غَرِبٍ فَقَطِعَ مِنْ رِجْلِهِ، فَقُتِلَ²، فكان طلحة أول قتيل في الجمل³، مما يدلُّ أن مروان هو من افتعل القتال⁴، وكانت عائشة قد تنبّهت لنوايا مروان، حينما حينما زجرته قائلة له "مَا لَنَا وَلَكَ يَا مَرْوَانُ أَتُرِيدُ أَنْ تُغْرِي بَيْنَ الْقَوْمِ وَتَحْمِلَ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ؟"⁵ وليس اليهودي المزعوم عبد الله بن سبأ، ودوره الأسطوري، وفق ما نسج الراوية سيف بن عمر التميمي (ت228هـ)، من أخايله⁶.

وانجلى المعركة بعد نهار دام، عن انتصار عليّ، ومقتل عدة آلاف من الطرفين⁷، لكن هذا الانتصار، حمل في طياته، استمرار معاناة عليّ، والخلافة تهتز تحت قدميه، ففي الوقت

¹ ذكر عليّ الزبيرَ بقول الرسول صلى الله عليه وسلم له "لتقاتلنه وأنت له ظالم" فانسحب، لكن أحد جنود جيش عليّ قتله غيلة في واد السباع، وهو منسحب، فغضب عليّ لذلك، وبشر قاتله بالنار. معمر، جامع ج1ص241. ابن سعد، الطبقات ج3ص101.

² خليفة، تاريخ ص181. 185. الذهبي، تاريخ ج3ص486. ابن حجر، الإصابة ج3ص432.

³ البخاري، التاريخ الأوسط ج1ص75. الفسوي، المعرفة ج3ص312. ابن عساکر، تاريخ ج18ص415. ابن حجر، الإصابة ج2ص461. العراقي، شرح ج2ص305. الزرقاني، شرح ج4ص546.

⁴ ومما يؤكد ضلوع مَرْوَانُ بِنُ الْحَكَمِ، في افتعال القتال، رده على سعيد بن العاص، حينما أشار سعيد، أن قتلة عثمان في الفئتين المتقابلتين، لذا نصح الجميع بالانسحاب، فقال مروان: لا بَلْ نَضْرِبُ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ فَمَنْ قُتِلَ كَانَ الظُّفْرُ فِيهِ وَيَبْقَى الْبَاقِي فَنَطْلُبُهُ وَهُوَ وَأَهْنُ ضَعِيفٌ. ابن سعد، الطبقات ج5ص26.

⁵ البلاذري، أنساب ج2ص216.

⁶ التبانى، محمد العربي، تحذير ص292-293. عمارة، محمد، مسلمون ص85. أنظر: المالكي، حسن بن فرحان، في محاورته مع العودة، حول عبد الله بن سبأ، وسيف بن عمر التميمي. أنظر أيضاً في المحور الأخير من هذا الفصل. يقول المحدث المعاصر التبانى: "ابن سبأ عند من سير التاريخ الإسلامي الصحيح أقل وأذل من هذا كله... ورواية سيف عنه -مشملة إجمالاً على رمي جميع العرب والصحابه وعثمان وعمله بالتغفيل، وفيها من التدافع ما هو ظاهر للعاقل" التبانى، محمد العربي، تحذير ص292-293. ويقول محمد عمارة "إن قصة عبد الله بن سبأ، برمتها ومن أساسها، موضع شك وجدل بين الباحثين... وهناك من يراها مجرد "مشجب وهمي" اخترعها البعض ليعلق عليها الأخطاء، ويصرف بها نظر البحث والباحثين عن رؤية التطورات التي حدثت في المجتمع، والخلافات التي ثارت فيه في ذلك الحين" عمارة، محمد، مسلمون ص85.

⁷ ابن سعد، الطبقات ج3ص23. خليفة، تاريخ ص186.

الذي احترم عليّ شرف الحرب بين فئتين مؤمنتين، وطبق معايير قتال الفئة الباغية، فلم يسبى لهم ذرية، ولم يغنم لهم مالا، ولا أجهز على جريح، ولا اتبع مدبرا، ولا قتل أسيرا، وأنه صلى على قتلى الطائفتين¹، وقال: "إخواننا بغوا علينا"² وعامل عائشة معاملة كريمة³، فيما كان الرافضون لخلافة آل البيت يتجمعون في الشام، وقد جعلوا من دم عثمان قميصاً، واتخذوا من دماء "الجمل" مبرراً آخر.

لم يرضخ عليّ للضغوط، وبعد محاولات عديدة لثني معاوية عن تمرده، عزم على المسير، لوضع حدّ للخارجين على الخلافة، مهما كانت مبرراتهم، حيث تقابل الجيشان في صفين (37هـ)، واستمر عليّ في محاولة تحقيق أهدافه دون دماء، ولكن معاوية ظل يراوغ، مدعياً المطالبة بتسليم قتلة عثمان، وأنهم في جيش عليّ، فيما عليّ يؤكد أنه وحده يملك الحق في مقاضاة من يثبت مشاركته في قتل عثمان، كونه خليفة الأمة، واندلع القتال عدة أيام، انتهى برفع الشام للمصاحف على أسنة رماحهم، بعد انكشافهم، أمام هجمات كبيرة قادها الأشتر النخعيّ (ت38هـ)⁴.

وكان التحكيم بين الطرفين، حيث وقع أبو موسى الأشعريّ (ت42هـ)، ممثل أهل العراق، فريسة سهلة أمام خداع عمرو بن العاص (ت43هـ)، وقد رضخ عليّ لهذا التحكيم، في ظل طبيعة المجتمع الكوفيّ الضاغط، وتشكله من جملة قبائل، تتنازعها الأهواء، يقودها عدد من الأشراف، ممن خارت عزائمهم، أمثال الأشعث بن قيس (ت40هـ)، فوقع الانشقاق في جيش

¹ الشافعي، الأم ج4ص229. الطبري، تاريخ ج4ص538. عن عليّ بن الحسين: قَالَ دَخَلْتُ عَلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ فَقَالَ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْرَمَ غَلْبَةً مِنْ أَبِيكَ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ وَلِينَا يَوْمَ الْجَمَلِ فَنَادَى مُنَادِيَهُ لَا يُقْتَلُ مُدْبِرٌ وَلَا يَدْفَعُ عَلَى جَرِيحٍ. الشافعي، الأم ج4ص229.

² ابن تيمية، حقوق ص34. ابن كثير، البداية ج7ص321.

³ ندمت عائشة على خروجها هذا، وقد جاء عنها أنها قالت، حين سئلت عن سبب خروجها: أَمْرٌ قُضِيَ لَوَدِدْتُ أَنِّي أَفْدِيهِ بِمَا عَلَى الْأَرْضِ. ابن عساکر، تاريخ ج42ص394.

⁴ قال عنه عليّ حينما قتل "كان لي مالك الأشتر كما كنت لرسول الله صلى الله عليه وسلم" ابن هلال، الغارات ج1ص169. ابن أبي الحديد، شرح ج15ص1587.

عليّ، وقد تمخض عنه ظاهرة الخوارج، ليمثلوا جرحاً غائراً في خاصرة عليّ، ظل يدميه حتى قتله غيلة في صبيحة يوم رمضان من عام (40هـ)¹.

أكدت هذه الأحداث الدامية في خلافة عليّ، أنّ استضعاف آل البيت لم يتوقف، رغم استخلاف عليّ، كون هذا الاستخلاف ظل يئن طوال الوقت تحت ضربات قريش، وغيرها من العرب، بما ظل يمثله معاوية وعمرو بن العاص، والجبهة القوية التي استحكما خلفها في الشام²، من الذين لم يطبقوا مبادئ عليّ، في وقت أصبحت فيه الأمة تتباعد زمنياً عن عهد النبوة، وقد عبّر عليّ عن معاناته عند استلام الخلافة "شنان بين يومي في الخلافة مع ما انتقض عليّ من الأمر، ومنيت به من انتشار الحبل، واضطراب أركان الخلافة، وبين يوم عمر حيث وليها على قاعدة ممهدة"³، وظلّت هذه المعاناة مصاحبة له، حتى صار وكأنه يتمنى الموت، يقول الكلاباذي (ت380هـ) "ألا ترى... أنه أخذ بلحيتيه فقال: ما يحبسُ أشقاها أن يحضبَ هذه من هذا⁴، وأشار بيده إلى رأسه، فهذا تمنيه للموت لاختلاف رعيته عليه، وإذا هم له في أحوالٍ مختلفة، مرةً يُقاتل الناكثين، ومرةً يُقاتل الفاسقين، ومرةً يُقاتل المارقين من الجمل إلى صفين، ومنها إلى النهـر"⁵، ولعل هذا يعبر عن ما جاء عن ابن عباس، أنّ النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِعَلِيٍّ: «أَمَا إِنَّكَ سَتَلْقَى بَعْدِي جَهْدًا»⁶.

¹ الدينوري، الأخبار 214. الطبري، تاريخ ج5ص143.

² خسر عليّ مصر، كما غزى معاوية اليمن والحجاز، وبعض أطراف العراق، كما فقد عليّ عدداً من أركانه، حيث قُتل عمار بن ياسر في صفين، ومحمد بن أبي بكر في مصر، والأشتر النخعي اغتيلاً بالسّم وهو في طريقه إلى مصر. خليفة، تاريخ ص192. الطبري، تاريخ ج5ص38، 96، 139. ابن أعثم، فتوح ج3ص158. البلاذري، فتوح ص225.

³ ابن أبي الحديد، شرح ج1ص40.

⁴ يقصد بذلك ما جاء عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله لعلّي وعمار: «ألا أخذتكم بأشقي الناس رجلين؟» قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «أحيمر ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا عليّ على هذه - يعني لحيتته -». قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم. وأقره الذهبي عليه. الحاكم، المستدرک ج3ص151.

⁵ الكلاباذي، بحر ص45.

⁶ قال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يُخرجاهُ" وأقره عليه الذهبي. الحاكم، المستدرک ج3ص151.

وكان لطبيعة المجتمع العراقيّ المتفسخ بين مجموعة من القبائل، دور هام في تفاقم معاناة عليّ في إدارته للحكم، ولعل عليّاً عبّر عن ذلك بقوله "إن هؤلاء القوم سيدالون منكم، باجتماعهم على باطلهم، وتفرقكم عن حقكم"¹.

استلم الحسن بن عليّ (ت49هـ) الخلافة، وقد بايعه أهل العراق، وحوله عدد من القيادات الراسخة الجذور، مثل قيس بن سعد بن عباد (ت59هـ)² وحجر بن عديّ الكنديّ (ت51هـ)³، لكنّ الحسن أراد أن يضع حدّاً لإراقة الدماء، فتنازل لمعاوية عن الحكم في ما سُمي (عام الجماعة) سنة (41هـ)⁴، ليكمل معاوية فصلاً جديداً من فصول استضعاف آل البيت، فاغتال الحسن بالسّم (49هـ)، لكي يصفو له الجوّ بتوريث ولده يزيد الخلافة⁵، وهو ما تمّ له، ليرتكب يزيد مجزرة كربلاء حيث استشهد الحسين ومعه خاصة آل البيت (61هـ)⁶.

2- الأنصار

أطلق القرآن على أهل المدينة اسم "الأنصار"⁷، وهم بالأصل قبيلتيّ الأوس والخزرج، من أهل يثرب، وقد بدؤوا الدخول في الإسلام، عندما كان الرسول صلى الله عليه وسلم، يعرض نفسه على القبائل في المواسم، لما امتنعت قريش عن الإسلام، وأخذت تضيقّ عليه وعلى

¹ عليّ، نهج ج1ص65.

² هو ابن الزعيم الخزرجي سعد بن عباد، وكان قيس عند الرسول صلى الله عليه وسلم، بمثابة صاحب الشرطة، توفي في عهد معاوية، بعد أن رفض صلحه مع الحسن فترة طويلة. البخاري، صحيح ج9ص65. الطبري، تاريخ ج5ص158، 164.

³ أسلم في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، وشارك في فتوح الراشدين، وكان من أركان عليّ في حروبه، حافظ على ولائه لآل البيت حتى أعدمه معاوية وهو حبيس في مرج عذراء، مع عدد من رفاقه، لأنه كان يتصدى لوالي الكوفة زياد بن أبيه، عندما كان يلعن عليّاً في خطبته، وقد أحدث قتله ضجة كبيرة في الدولة كلها، حيث بكاه ابن عمر، وفرغت له عائشة، وقد روت لمعاوية قولاً للرسول صلى الله عليه وسلم «سيقتل بعذراء ناس يغضب الله لهم وأهل السماء». الفسوي، المعرفة ج3ص320-321. الدينوري، الأخبار ج1ص220.

⁴ خليفة، تاريخ ص203. الطبري، تاريخ ج5ص324. ذكرت مصادر أخرى أن عام الجماعة كان سنة 40هـ. الفسوي، المعرفة ج1ص122. ابو زرعة، تاريخ ج1ص190، 257، 596.

⁵ ابن قتيبة، المعارف ج1ص212. الأصفهاني، مقاتل ص60. ابن عبد البر، الاستيعاب ج1ص389-391. ابن الأثير، أسد ج3ص58. البري، الجوهرة ج2ص207. المزني، تهذيب ج6ص252.

⁶ ابن حنبل فضائل ج2ص775. البلاذري، أنساب ج3ص193. النسائي، سنن ج7ص391.

⁷ القرآن، الأنفال 72، 74، التوبة 100. البخاري، صحيح ج5ص30.

أصحابه، وخاصة المستضعفين منهم، وقد عقد معهم بيعتيّ العقبة الأولى والثانية، على أن يمنعونهم مما يمنعون أبناءهم ونساءهم، ولهم الجنة، وهو أمر ارتبط عند العرب بفكرة ولاء الحلف¹، وهذا يعني أن يصبح المهاجرون بكلّيتهم موالى عند الأنصار، لكن خصوصية الرسول صلى الله عليه وسلم، وانقياد الأنصار له تبعاً لهذه الخصوصية، وعملية المؤاخاة التي تمت بين المهاجرين والأنصار، وحلول ولاء العقيدة، قلب ذلك كله تقليد الولاء، وصارت المدينة المنورة نواةً للكيان الإسلامي الوليد، بقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم².

استقبل الأنصارُ إخوانهم المهاجرين، خير استقبال، بما فيهم المستضعفين منهم، والذين نزلوا في بيت سعد بن خزيمة الأوسي (ت2هـ)، وكان يُسمّى مَنْزِلُ الْعُرَابِ، كما نزل بعضهم في بيت كلثوم بن الهمد الأوسي (ت2هـ)، وكان الأنصار أهلَ الْأَرْضِ وَالْعَقَارِ، فَقَاسَمُوهُمْ، بِأَنْ أُعْطَوْهُمْ أَنْصَافَ ثَمَارِ أَمْوَالِهِمْ، كُلِّ عَامٍ، عَلَى أَنْ يَكْفُوْنَهُمُ الْعَمَلَ وَالْمُتُونَةَ³.

حفظ الرسول صلى الله عليه وسلم للأنصار، ما قدّمه من نصرة، وما تبعه من تضحيات⁴، لهذا لم يتعرضوا لاستضعاف في عهده، ولكنه صلى الله عليه وسلم، كان نبههم أنهم سيلقون بعده (أثرة) ودعاهم إلى الصبر، وذلك حينما طلب منه أسيد بن حضير (ت21هـ) أن يستعمله في جمع الصدقات، أو ولاية بعض البلدان، كما استعمل عمرو بن العاص (ت43هـ)⁵،

¹ تناول البخاري حديث المؤاخاة تحت باب أسماء "باب الإخاء والحلف". البخاري، صحيح ج8ص22. جودة، جمال، الأوضاع ص63.

² ابن هشام، سيرة ج1ص428-464. ابن سعد، الطبقات ج1ص173. ابن حنبل، مسند ج19ص142. البخاري، صحيح ج1ص12، ج5ص55. مسلم، صحيح ج3ص1333، 1420، ج4ص1960، ص2120. جودة، جمال، الأوضاع ص67.

³ البخاري، صحيح ج3ص165. مسلم، صحيح ج3ص1391. الذهبي، تاريخ ج2ص444.

⁴ كان للأنصار دورهم الكبير في السرايا والغزوات، جاء عن أنس بن مالك أنه " قُتِلَ مِنْهُمْ يَوْمَ أُحُدٍ 3هـ سَبْعُونَ، وَيَوْمَ بَيْرُ مَعُونَةَ 4هـ سَبْعُونَ، وَيَوْمَ الْبِمَامَةِ 12هـ سَبْعُونَ" ويوم جسر أبي عبيد 14هـ سبعون، وفي بدر وأحد، كانوا حرساً عليه في أحلك اللحظات⁴، واختصهم بكثير من المهمات السرية، مثل عملية اغتيال كعب بن الأشرف 3هـ وأبا رافع بن أبي الحقيق 3هـ، اليهوديان، وقد وصفهم ابن إسحق، أنهم "كأنوا عدد الناس" لذلك حرص الرسول صلى الله عليه وسلم، على معرفة حقيقة رأيهم، عند نيته الخروج خارج المدينة يوم أحد. عبد الرزاق، مصنف ج5ص203، 407. خليفة، تاريخ ص99. البخاري، صحيح ج4ص63، ج5ص91. مسلم، صحيح ج3ص1425. الطبري، تاريخ ج2ص435. ابن الأثير، الكامل ج2ص16.

(ت43هـ)¹، وقد فسر ابن حجر (ت852هـ) هذه الأثرية: "أَنَّ الْأَمْرَ يَصِيرُ فِي غَيْرِهِمْ فَيَخْتَصُّونَ دُونَهُمْ بِالْأَمْوَالِ، وَكَانَ الْأَمْرُ كَمَا وَصَفَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ مَعْدُودٌ فِيمَا أُخْبِرَ بِهِ مِنَ الْأُمُورِ الْآتِيَةِ"².

عاش الأنصار في ظل قيادة الرسول صلى الله عليه وسلم، عيشة كريمة، وقد احتفظوا بخصوصياتهم المختلفة، حتى أن راياتهم القبلية ظلت ترتفع في الغزوات والفتوح، خاصة عند فتح مكة (8هـ)، حيث كان لهم كتيبة خاصة أدهشت أبا سفيان، كما خصَّ الرسول صلى الله عليه وسلم، زعيمهم سعد بن عبادَةَ (ت15هـ)، براية الجيش الإسلامي كله، في ذلك الفتح، لكنه أعطاهما لعلّي، وقيل لابنه قيس (ت59هـ)، حينما توعد سعد أن يكون الفتح يوماً للملحمة³.

ومما يؤكد عدم استضعاف الأنصار في العهد النبوي، استعمالهم في السرايا والبعوث⁴، واتخاذهم عمالاً على كثير من المناطق، حتى قيل أنه كان "إِذَا اسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، قَرَنَ مَعَهُ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ"⁵، وأقطعهم صلى الله عليه وسلم بعض القطائع، وإن كانت

¹ مسلم، صحيح ج3ص1474. ابن حجر، فتح ج1ص302.

² ابن حجر، فتح ج7ص118. البغا، مصطفى، هامش صحيح البخاري، ج3ص114. يقول علي: إِنْ قُدِّمْنَا لِلْإِمَامَةِ تَقَدَّمْنَا، وَإِنْ مُنِعْنَا حَقَّنَا مِنْهَا وَأَخْرْنَا عَنْهَا صَبْرْنَا عَلَى الْأَثَرِ عَلَيْنَا وَإِنْ طَالَتْ الْأَيَّامُ. الأزهرى، تهذيب ج1ص220. ويقول الحطيبية يمدح عمر: مَا أَتْرُوكُ بِهَا إِذْ قَدَّمُوكَ لَهَا لَكِنْ لَأَنْفُسَهُمْ كَانَتْ بِهَا الْإِثْرُ. الأزهرى، تهذيب ج15ص89. واستأثر فلان بالشئ، أي استبد به، والاسم الأثرية. الفارابي، الصحاح ج2ص575. الأثرية: النَّفْرَادُ بِمَا تَسْتَأْثِرُ بِهِ وَتَتَفَرَّدُ بِفَضْلِهِ عَنِ مَنْ لَهُ فِيهِ حَقٌّ. الحميدي، تفسير غريب ج1ص65. وقال عمر عن عثمان: «أَخْشَى حَقْدَهُ وَأَثْرَتَهُ». ابن الأثير، النهاية ج1ص22. ابن منظور، لسان ج4ص8.

³ الواقدي، مغازي ج2ص821. ابن هشام، سيرة ج2ص406. البخاري، صحيح ج5ص146. البلاذري، أنساب ج1ص117.

⁴ البخاري، صحيح ج5ص161. الطبري، تاريخ ج2ص356. المسعودي، التنبيه ج1ص209.

⁵ البلاذري، أنساب ج10ص84. وجه صلى الله عليه وسلم عبد الله بن راحة على رأس سرية، إلى أسير بن رازم اليهودي بخيبر فقتله، وبعثه صلى الله عليه وسلم، إلى خيبر خارصاً فلم يزل يخرص عليهم إلى أن قتل بموتة 8هـ، حيث كان الأمير الثالث للحيش، فاستعمل أبو الهيثم بن التيهان 20هـ على خراصة خيبر، واستخلف أبو لبابة بن عبد المنذر 36هـ على المدينة غداة بدر، والسويق، وكان عبد الله بن جببر 3هـ قائد الرماة في أحد، واستعمل عمرو بن حزم على أهل نجران، وهو ابن سبع عشرة سنة، وأمر معاذ بن جبل 18هـ على جند اليممن، وزياد بن ليبيد 41هـ على حضرموت، وقيل أنه استعمل عمرو بن سليم الزرقى على كندة وحضر موت، وعوف بن مالك على نجران، وولى عباد بن بشر الأنصاري صدقات بني المصطلق من خزاعة، وكعب بن مالك صدقات أسلم وغفار وجهينة. الواقدي، مغازي

محدودة، مثلما ورد عن إقطاعه لهم في البحرين، وعدم إقطاعه للمهاجرين يومها، رغم طلب الأنصار ذلك لإخوانهم المهاجرين¹.

وعندما اعترض بعض الأنصار على تخصيص الطلقاء بالعطايا العظيمة، يوم حنين، جمعهم صلى الله عليه وسلم، وقال لهم «إِنَّ قُرَيْشًا حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ وَمُصِيبَةٍ، وَإِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أُجْبِرَهُمْ وَأَتَأَلَّفَهُمْ، أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَرْجِعَ النَّاسُ بِالذُّنُوبِ، وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بُيُوتِكُمْ» قالوا: بلى². وكان هذا الرجوع معهم للمدينة، دون مكة، وهي موطنه الأصلي، أفضل تقدير لهم، لما يمثله من بقاء المدينة مركزاً لقيادة الأمة الوليدة، رغم المكانة الدينية والتاريخية لمكة بين العرب.

وعند موته أوصى صلى الله عليه وسلم، من يلي أمر المسلمين، أن يُقْبَلَ مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَيَتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ، فَقَدْ قَضَوْا الَّذِي عَلَيْهِمْ، وَبَقِيَ الَّذِي لَهُمْ³.

توفي الرسول صلى الله عليه وسلم، عام (11هـ)، فاجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة، لاختيار سعد بن عباد، زعيم الخزرج، خليفة للرسول صلى الله عليه وسلم، فالخزرج أكثر عدداً من الأوس، ولكن معن بن عدي (ت12هـ) وعويم بن ساعدة⁴، أخبرا عمر بن الخطاب، بما تمالأ عليه القوم، حسب تعبير عمر، والذي أخرج أبا بكر وأبا عبيدة، من بيت الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث كان أهل البيت يجهزون جثمانه صلى الله عليه وسلم، خرج ثلاثتهم دون جلبة، وانضموا للاجتماع، وقد استطاعوا تغيير مجرياته، ليتم مبايعة أبي بكر

ج1ص160. خليفة، تاريخ ص97-98. ابن سعد، الطبقات ج2ص8، 398-401، ج3ص342، 349. البلاذري، أنساب ج1ص529-530. ابن حبيب، المحبر ج1ص117-126.

¹ البخاري، صحيح ج2ص64، ج3ص114، ج4ص98، ج5ص33، 84. مسلم، صحيح ج4ص2273. البحرين هنا غير البحرين المعروفة اليوم، إنما هي اسمٌ لإقليم مشهور يشتمل على مدنٍ معروفةٍ قاعدتها هجر، ناحية نجد، على شط الخليج، شرق الجزيرة العربية. الاضطخري، المسالك ص19. ابن حجر، فتح ج3ص318.

² ابن حنبل، مسند ج20ص168. البخاري، صحيح ج4ص159. مسلم، صحيح ج2ص735.

³ ابن حنبل، مسند ج36ص283. البخاري، صحيح ج5ص34.

⁴ قيل أن عويم كان أخ عمر في المؤاخاة، وقد توفي في خلافة عمر. ابن سعد، الطبقات ج3ص350، 351. البلاذري، أنساب ج10ص300.

بالخلافة، بعد رفض اقتراح بعض الأنصار أن يكون للأمة أميران من الطرفين، وبعد انحياز بشير بن سعد (ت12هـ)، وزعماء الأوس للمهاجرين، وما تبع ذلك من انهيار جبهة الخزرج، حتى أقبل الأنصار يبايعون أبا بكر¹.

وكاد الأنصار أن يدوسوا سعد بن عباد، خلال البيعة، فقد كان مريضاً مدثراً بفراشه، حتى أن عمر رد على من حذر الرجال من أن يدوسوا سعد، قائلاً "قَتَلَ اللَّهُ سَعْدًا"² وقد قُتِلَ سعد لاحقاً، سنة (15هـ) في حوران من الشام، في أول خلافة عمر في ظروف غامضة، بعد أن ارتحل إلى الشام، بعد مجادلة مع عمر، دون أن يبايع أحداً، وذكر البلاذري (ت279هـ)، أن عمر بعث إليه من قتله، وقيل قتلته الجن!، لكن ذلك كله لم يثبت³.

لم يؤثر الخلفاء الراشدون أنفسهم ولا قرابتهم بشيء من أمور الدولة وأموالها، خاصة أبو بكر وعمر، وكان لهما أجرة شهرية قررهما لهما كبار الصحابة⁴، لكن (الأثر) التي كان صلى الله عليه وسلم، حذر الأنصار منها، ربما بدأت تظهر مبكراً، في إدارة الدولة، وليس في الجانب المالي تحديداً⁵، ففي عهد أبي بكر، ورغم العدالة العامة التي أرساها، عندما ساوى الجميع في العطاء⁶، ولم يعهد عنه ظملاً لا للأنصار ولا لغيرهم، مقارنة بما بدأ يظهر في سنين عثمان الأخيرة، وفي أيام بني أمية، إلا أنه ظل يتوجس من الأنصار كما يبدو، فلم يتخذ منهم وزراءً كما وعدهم في السقيفة "نَحْنُ الْأُمَرَاءُ وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ، وَلَا تَقْتَاتُونَ بِمَشُورَةٍ، وَلَا تُفْضَى

¹ عبد الرزاق، مصنف ج5ص435. ابن سعد، الطبقات ج2ص173، 206. البخاري، صحيح ج5ص6، ج8ص168. البلاذري، أنساب ج1ص580-584. الطبري، تاريخ ج3ص202-206.

² ابن سعد، الطبقات ج3ص463. البخاري، صحيح ج8ص168. ابن طاهر، البدع ج5ص66.

³ ابن سعد، الطبقات ج3ص463-464. البلاذري، أنساب ج1ص589. ابن عبد البر، الاستيعاب ج2ص599.

⁴ ابن سعد، الطبقات ج3ص138. البلاذري، أنساب ج10ص70. ابن الجوزي، المنتظم ج4ص72. الوزير، زيد، الفردية ص85-86.

⁵ يقول البيهقي، وهو مؤرخ شيعي بارز "إنَّ أبا بكر كان أزهد الناس، وأشدَّهم تواضعاً، وتقللاً في لباسه". ملحم، عدنان، المؤرخون ص105.

⁶ البلاذري، فتوح ص433. عن عائشة: قَسَمَ أَبِي الْفَيْءَ عَامَ أَوَّلِ، فَأَعْطَى الْحُرَّ عَشْرَةَ، وَالْمَمْلُوكَ عَشْرَةَ، وَالْمَرْأَةَ عَشْرَةَ، وَأَمْتَهَا عَشْرَةَ، ثُمَّ قَسَمَ الْعَامَ الثَّانِي فَأَعْطَاهُمْ عَشْرِينَ عَشْرِينَ. البلاذري، أنساب ج10ص81.

دُونَكُمْ الْأُمُورُ¹ حتى أنه لم يستشرهم في وصيته لعمر بالخلافة من بعده، ربما لأن سعد بن عبادة، لم يزل في المدينة وقتها، وما زال مصراً على التمسك بالخلافة، لهذا كان يستشيرهم استشارات عامة مع غيرهم من المهاجرين²، لكنه أيضاً لم يستعملهم في جيوش الدولة وبعوثها وولاياتها، إلا ما ندر³.

وعندما وضع عمر الديوان، قدّم أهل السابقة، فقدّم المهاجرين على الأنصار، فكان نصيب المهاجر الذي شهد بداراً خمسة آلاف، فيما كان نصيب الأنصاري الذي شهدا أربعة آلاف⁴، وكان عمر يستشير الأنصار عند الملمات، مثل استشارته لهم، في شأن طاعون عمواس (18هـ)، وفي سواد العراق⁵، وجاءت هذه الاستشارة بعد استشارة المهاجرين بطبيعة الحال، فكان إذا حَزَبَهُ الْأَمْرُ، استشار أهل الشورى، وكلهم من المهاجرين، ويستشير من الأنصارِ مُعَاذَ ابْنِ جَبَلٍ (ت18هـ) وَأَبِي بَنٍ كَعْبٍ (ت21هـ) وَرَيْدِ بْنِ تَابِتٍ (ت45هـ)⁶، إلا أنّ عمر لم يستعملهم في شيء من شؤون الدولة، رغم طول فترة خلافته، إلا ما قل⁷، وعندما طعن لم يدخلهم في الشورى، لكنه شكّل منهم قوة مسلحة، قوامها خمسون رجلاً، يقودهم أبو طلحة بن حرام (ت34هـ)، لتنفيذ عملية الشورى كما حددها، وقد التزموا بذلك خير التزام⁸.

¹ الواقدي، الردة ج1ص37. ابن سعد، الطبقات ج2ص206. ابن حنبل، مسند ج1ص99. البخاري، صحيح ج5ص6. طقوش، محمد سهيل، تاريخ ص22.

² ابن سعد، الطبقات ج2ص267. المالكي، حسن، قراءة ص47.

³ مثل ما قيل عن استعماله أنس بن مالك 93هـ مدة على البحرين، لكنّ ابن عبد البر شكك في ذلك، وأقرّ زياد بن ليبيد 41هـ على حضرموت، بعد أن قمع الردة فيها، واستخلف قتادة بن النعمان 23هـ على المدينة، حينما ذهب للحج. خليفة، تاريخ ص123. ابن عبد البر، الاستيعاب ج3ص1086.

⁴ ابن سعد، الطبقات ج3ص228. البلاذري، فتوح ص436. البيهقي، سنن ج6ص569.

⁵ البخاري، صحيح ج7ص130. مسلم، صحيح ج4ص1470. جوده، جمال، الخلافة ص45.

⁶ ابن سعد، الطبقات ج2ص267.

⁷ قيل أنه استخلف على المدينة في حجّته زيد بن ثابت، كما استخلفه حينما سافر إلى الشام، وقيل أنه استخلف على عمان رجل من الأنصار، لم يُعرف عنه إلا أن اسمه بلال، وعلى قضاء اليمامة، سلمة بن سلامة بن وقش 45هـ، وعمير بن سعد لبعض الوقت على أذربيجان، ثم على حمص، وعثمان بن حنيف وحذيفة بن اليمان 36هـ، لإحصاء سواد العراق. ابن سعد، الطبقات ج3ص193، 349، ج4ص277، ج6ص88. خليفة، تاريخ ص153-156. البلاذري، فتوح ص264. الطبري، تاريخ ج4ص137، 241.

⁸ ابن سعد، الطبقات ج3ص45، 277. البلاذري، أنساب ج1ص242.

تولى عثمان الخلافة، وقد اقتفى نهج الشيخين في بداية أمره، لكنه ختمه، ليس فقط بتقديم المهاجرين على الأنصار، بل بتقديم الطلقاء على المهاجرين والأنصار، فقد عزل عمير بن سعد، والي عمر على حمص، ليجمع الشامات كلها لمعاوية¹، وقد أعلن أكثر الأنصار الحياد التام حينما تعرض للحصار²، وربما شارك بعضهم في حصاره، حتى مقتله سنة (35هـ)، ولما قال لهم زيد بن ثابت (ت45هـ): يا معشر الأنصار إنكم نصرتم الله ونبيه فانصروا خليفته، أجابه قوم، منهم أبو أيوب الأنصاري (ت50هـ) وسهل بن حنيف (ت38هـ): يا زيد أشبعك عثمان من عضدان المدينة³؟ وقال الحجاج بن غزية: والله لو لم يبق من أجله إلا ما بين العصر إلى الليل لتقربنا إلى الله بدمه، حتى أنهم رفضوا أن يصلى على عثمان في موضع الجنائز⁴.

شكل نهج الخلفاء الثلاثة، عبر الإقصاء غير المعلن للأنصار من سدة إدارة الدولة وفعاليتها المختلفة، مع ما جرى في السقيفة، بداية استضعاف سياسي، أخذت ملامحه تتشكل، لتظهر بوضوح تام في العهد الأموي⁵، عندما هاجم الأخطل (ت92هـ) بأمر يزيد (ت64هـ) قائلاً:

ذهبت قريشٌ بالمكارم كلها... واللؤم تحت عمائم الأنصار⁶

وكانت ذروتها مع واقعة الحرة في المدينة سنة (63هـ)⁷.

وقف الأنصار بقوة إلى جانب بيعة عليّ، حيث بايعوه جميعاً، بحماس شديد، يقول الواقدي "وَلَمْ يَنْخَلَفْ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْصَارِ إِلَّا بَايَعَ فِيمَا نَعَلُمْ" رغم الأجواء الحزينة التي واكبت ذلك،

¹ البلاذري، فتوح ص184. أبو زرعة، تاريخ ج1ص183-184. قيل أنه استعفى، فأعفاه عثمان. الطبري، تاريخ ج4ص289. ابن الجوزي، المنتظم ج4ص343.

² أشار معاوية لموقف الأنصار في مراسلة منه لعليّ "وخذلت عنه-عثمان- الأنصار". المبرد، الكامل ج1ص258.

³ البلاذري، أنساب ج5ص569-570. الطبري، تاريخ ج4ص430.

⁴ البلاذري، أنساب ج5ص582. الطبري، تاريخ ج4ص414.

⁵ ابن دريد، جمهرة ج1ص548.

⁶ المبرد، الكامل ج1ص144. ابن عبد ربه، العقد ج6ص170.

⁷ الفسوي، المعرفة ج3ص325-328. البلاذري، أنساب ج5ص319-335. الطبري، تاريخ ج5ص486-495.

بسبب مقتل عثمان¹، وقد ولى عدداً منهم على بعض ولايات الدولة الرئيسية، فولّى عثمان بن حنيف على البصرة، وقيس بن سعد بن عبادة (ت59هـ) على مصر، ووجه سهل بن حنيف (ت38هـ) على الشام، لكنّ معاوية ردّه²، إلّا أنّ عليّاً كما الأنصار، وجدوا الدولة تتمزق بفعل خروج طلحة والزبير، ومعهما عائشة، وقد اتجهوا نحو البصرة، وبفعل تمرد معاوية في الشام، وعندما تصدى عليّ لهذا التمزق، كان الأنصار إلى جواره بكلّيتهم، فخرج معه من المدينة أربعة آلاف مقاتل، يتقدمهم ثمان مائة من الأنصار وأربع مائة ممن شهد بيعة الرضوان، على رأسهم خزيمة بن ثابت (ت38هـ)³، وأبو أيوب الأنصاري (ت50هـ)، وأبو قتادة بن ربعي (ت54هـ)⁴.

لكن الأنصار خسروا مكانة المدينة كعاصمة للدولة، عند خروج عليّ بهم، نحو البصرة، ثم الشام لاحقاً، وهو ما حافظوا عليه طوال الفترة السابقة، لتصبح الكوفة عاصمة الخلافة الجديدة، وقد أصبحت بلد المال والرجال، وقد حصل ذلك اضطرارياً رغم أنف عليّ، وهو ما عبّر عنه عليّ بقوله لأهل الكوفة "إني قد اخترتكم على الأمصار، وإني بالأثرة"⁵ أي بحال غير مرضية، وهو ما كان يدركه الأنصار جيداً⁶.

ولعل الحوار الذي جرى بين معاوية (ت60هـ) وقيس بن سعد بن عبادة (ت59هـ)، بعد استتباب الأمر لمعاوية، يعطي مشهداً كاملاً لطبيعة الاستضعاف الذي تعرض له الأنصار في صدر الإسلام، يقول المدائني (ت225هـ): دَخَلَ قَوْمٌ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى مُعَاوِيَةَ فَقَالَ لَهُمْ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، قُرَيْشٌ لَكُمْ خَيْرٌ مِنْكُمْ لَهَا، فَإِنْ يَكُ ذَلِكَ لِقَتْلِي أُحُدٍ فَقَدْ نَلْتُمْ يَوْمَ بَدْرٍ مِثْلَهُمْ، وَإِنْ

¹ البلاذري، أنساب ج2ص205-216. الطبري، تاريخ ج4ص431.

² سيف، الفتنة ص100. خليفة، تاريخ ص201. الدينوري، الأخبار ج1ص140-141. الطبري، تاريخ ج4ص442. المالكي، حسن، قراءة ص42.

³ يرى سيف أنّ خزيمة هذا غير خزيمة ذو الشهادتين. سيف، الفتنة ص110.

⁴ خليفة، تاريخ ص181، 184. البلاذري، أنساب ج2ص221. المسعودي، مروج ج2ص248. العصامي، سمط ج2ص561.

⁵ سيف، الفتنة ص135. الطبري، تاريخ ج4ص477.

⁶ سيف، الفتنة ص119. الطبري، تاريخ ج4ص459. عرموش، أحمد راتب، هامش الفتنة لسيف ص135.

يَكُنْ لِلْأَثَرَةِ، فَوَاللَّهِ مَا تَرَكْتُمْ لَنَا إِلَى صِلَتِكُمْ سَبِيلًا، لَقَدْ خَذَلْتُمْ عُمَانَ يَوْمَ الدَّارِ، وَقَتَلْتُمْ أَنْصَارَهُ يَوْمَ الْجَمَلِ، وَصَلَّيْتُمْ بِالْأَمْرِ يَوْمَ صِفِّينَ، فَتَكَلَّمْتُ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ، فَقَالَ: أَمَا مَا قُلْتَ مِنْ أَنَّ قُرَيْشًا خَيْرٌ لَنَا مِنَّا لَهُمْ فَإِنْ يَفْعَلُوا فَقَدْ أَسْكَنَاهُمْ الدَّارَ وَقَاسَمَنَاهُمْ الْأَمْوَالَ وَبَدَلْنَا لَهُمُ الدِّمَاءَ وَدَفَعْنَا عَنْهُمْ الْأَعْدَاءَ، وَأَنْتَ زَعَمْتَ سَيِّدَ قُرَيْشٍ فَهَلْ لَنَا عِنْدَكَ جَزَاءٌ؟ وَأَمَا قَوْلُكَ إِنْ يَكُنْ ذَلِكَ لَقَتَلِي أَحَدٌ فَإِنَّ قَتِيلَنَا شَهِيدٌ وَحَيًّا نَائِرٌ، وَأَمَا ذِكْرُكَ الْأَثَرَةَ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَنَا بِالصَّبْرِ عَلَيْهَا، وَأَمَا خَذْلَانُ عُمَانَ فَإِنَّ الْأَمْرَ فِي عُمَانَ كَانَ الْأَجْفَلَى¹، وَأَمَا قَتْلُ أَنْصَارِهِ يَوْمَ الْجَمَلِ فَمَا لَا نَعْتَذِرُ مِنْهُ وَبِوَدِّكَ أَنَّ الْجَمِيعَ اصْطَلَمُوا²، وَأَمَا قَوْلُكَ إِنَّا صَلَّيْنَا بِالْأَمْرِ يَوْمَ صِفِّينَ فَإِنَّا كُنَّا مَعَ رَجُلٍ لَمْ نَأْلَهُ خَيْرًا. ثُمَّ قَامُوا فَخَرَجُوا³.

نخلص مما سبق، أن وضع الأنصار تغيير بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولو نسبياً، فقد افترضوا أن تعود القيادة لهم ما دام شخص النبي الموحى إليه قد رحل، وقد بايعوه وفق هذا الاعتبار، وإلا فهو حليفهم ومولاهم، لهذا بادروا لاجتماع السقيفة، إلا أن زعماء المهاجرين أخذوا زمام المبادرة، فاستقرت الزعامة في قريش أبداً، وقد تمخض عن ذلك حالة من التوجس والارتياح نحوهم، خاصة في ظل استمرار زعيمهم سعد بن عبادَةَ في رفض بيعة عمر، حتى اغتياله في حوران (15هـ)، وقد تمثّل توجس أبي بكر وعمر تجاه الأنصار، في تجاوزهم في بعوث الفتح، وفي إمارة الولايات، وفي تقديم المهاجرين عليهم في العطاء والشورى، وعندما أعاد لهم عليّ مكانتهم كاملة في خلافته، فإن هذه الخلافة كانت تئن طوال الوقت في ظل تمرد قريش.

3- الموالى والعبيد

قام الكيان الإسلامي، على أساس العبودية لله وحده، فالسيد والعبد يعبدان رباً واحداً، عبادةً واحدةً في جوهرها وهيئتها، وأن البشر جميعاً متساوون في الخلق، فلا فرق بين أبيض

¹ الأَجْفَلَى: الجماعة من كل شيء. الفارابي، الصحاح ج4ص1657. وانجفلت الشجرة إذا هبت بها ريحٌ شديدةٌ فقَعَرَتْهَا. ابن منظور، لسان ج11ص114.

² الاصْطِلَامُ: الاستيصال، وإذا أُبِيدَ قَوْمٌ مِنْ أَصْلِهِمْ قِيلَ اصْطَلَمُوا. ابن منظور، لسان ج12ص340.

³ البلاذري، أنساب ج5ص56.

ولا أسود ولا أحمر، ولا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى¹ (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليمٌ خبيرٌ)² وقد نزلت هذه الآية بعد أن أذن بلال (ت21هـ) فوق الكعبة عند فتح مكة (10هـ)، فقال طلقاء قريش: أما وجدوا غير هذا الغراب الأسود ليعلو فوق الكعبة؟!³ وقيل أنها نزلت عندما أثر صلى الله عليه وسلم عبداً حبشياً بالرعاية، حتى شعر المهاجرون والأنصار بالغيرة⁴.

وأن المؤمنين أمة واحدة من دون الناس، فلا رابطة فوق رابطة العقيدة⁵، لكن الواقع الإسلامي، في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ظل يتعامل مع العبودية، باعتبارها من تبعات الواقع الجاهلي، حيث "ولد الإسلام في مجتمع عبودي نوعي"⁶ كانت العبودية فيه ظاهرة كبيرة متأصلة في المجتمع برمته، ولها تداعياتها الاجتماعية والاقتصادية.

لم ينسحب تعبير "الموالي" على المهاجرين، لما ذكرناه من عملية المؤاخاة، وخصوصية الرسول صلى الله عليه وسلم، وحلول ولاء العقيدة، ورابطة الأمة، وكان يُفترض أن يختفي هذا التعبير تماماً تبعاً لذلك، إلا أنه ظل عملياً ينسحب على عدة فئات من المسلمين⁷.

وشكّلت بيعة العقبة، التي قامت بين الرسول صلى الله عليه وسلم والأنصار، على أساس "ولاء الحلف" المعهود في ذلك الزمن، منطلقاً لذلك الكيان الوليد، ويُستشف ذلك من قول أنس بن

¹ ابن حنبل، مسند ج38ص474. الحارث، مسند ج2ص819. الطبراني، المعجم الأوسط ج5ص36.

² القرآن، الحجرات 13.

³ مقاتل، تفسير ج4ص97. السمرقندي، تفسير ج3ص329. الثعلبي، تفسير ج9ص86.

⁴ الثعلبي، تفسير ج9ص86. الزمخشري، الكشاف ج4ص357. النسفي، مدارك ج3ص357.

⁵ ابن كثير، البداية ج3ص273. عبد اللطيف، عبد الشافي، السيرة ص142. ديورانت، ول، قصة ج13ص33.

⁶ الأنصاري، فاضل، الإسلام ص47.

⁷ مالك، موطأ ج5ص1134. عبد الرزاق، مصنف ج6ص20، 25، الطبراني، المعجم الكبير ج9ص39. ج8ص189.

مالك (ت93هـ) "حالف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين قريش والأنصار في داره"¹، وقد تناول البخاري المؤاخاة تحت باب "الإخاء والحنف"².

موقف القرآن من العبيد والموالي: يعتبر العبيد والموالي، من أكثر الفئات التي استضعفت اجتماعياً في تاريخ العرب قبل الإسلام، وقد حفل القرآن بآيات عديدة، عالجت قضاياهم، وحددت وضعهم في صفوف الجماعة المسلمة، ولكي يعلي من شأنهم، ودعت الرسول صلى الله عليه وسلم للتمسك بهم، وعدم الركون لأصحاب الجاه والمال، جاء عن سعد بن أبي وقاص (ت55هـ) "كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِتَّةَ نَفَرٍ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اطْرُدْ هَؤُلَاءِ لَا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا. قَالَ وَكُنْتُ أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَرَجُلٌ مِنْ هُدَيْلٍ، وَبِلَالٌ، وَرَجُلَانِ لَسْتُ أُسَمِّيهِمَا، فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقَعَ فَحَدَّثَ نَفْسَهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ (وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ)³".

وتتصل الآية السابقة بآية أخرى، لكنها آية مدنية، تكشف جانباً من وضع المجتمع المسلم الناشئ، وهي تحمل نفس المضمون (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الدُّنْيَا وَلَا تَطْعَمَنْ مِنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا)⁵ وقد نزلت عندما قال أناسٌ من أشرف الناس: نُؤْمِنُ لَكَ، وَإِذَا صَلَّيْنَا فَأَخْرَجَ هَؤُلَاءِ الْفُقَرَاءَ الَّذِينَ مَعَكَ فَلْيُصَلُّوا خَلْفَنَا، وهم: سلمان، وصهيب، وعمار، وخباب، وعمار، ومهجع، وأيمن بن أم أيمن، ونحوهم من الموالي والفقراء⁶.

¹ ابن حنبل، مسند ج19 ص457. البخاري، الأدب ج1 ص293. مسلم، صحيح ج4 ص1960. ابن كثير، البداية ج3 ص272. جودة، جمال، الأوضاع ص60-63.

² البخاري، صحيح ج8 ص22. جودة، جمال، الأوضاع ص63. وعند تأمل قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَتَصَرُّوا أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) القرآن، الأنفال 72، نجد فكرة الولاء ضمن فكرة الحلف المعهودة، حاضرة بوضوح.

³ القرآن، الأنعام 52.

⁴ مسلم، صحيح ج4 ص1878. النسائي، سنن ج7 ص344. السراج، حديث ج3 ص262.

⁵ القرآن، الكهف 28.

⁶ مقاتل، تفسير ج2 ص582. يحيى، تفسير ج1 ص181. الطبري، تفسير ج18 ص7.

وبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ذات يوم، عنده سلمان إذ دخل عليه عيينة ابن حصن الفزاري¹، فجعل يدفع سلمان بمرقفه وينحيه، حتى أخرجته، وكان على سلمان شملة قد عرق فيها، فقال عيينة: إن لنا شرفاً، فإذا دخلنا عليك فأخرج هذا، فو الله إنه ليؤذيني ريحه، أما يؤذيك ريحه؟ أو اجعل لنا مجلساً ولهم مجلساً. فنزلت الآية²، قال قتادة (ت118هـ): نزلت هذه الآية في أصحاب الصفة، وهم رجال لا منازل لهم، فكانوا ينامون في المسجد، فكان صلى الله عليه وسلم يدعوهم إليه بالليل إذا تعشى، فيفرقهم على أصحابه، وتتعشى طائفة منهم معه حتى جاء الله بالغي³.

وأمر القرآن بعنق العبيد في مواضع عديدة منه (...ولكن يؤخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين... أو كسوتهم أو تحرير رقبة...) ⁴ (...ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة...) ⁵ (...والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة...) ⁶ (وما أدراك

¹ من المؤلفات قلوبهم، أسلم قبل الفتح وشهد فتح مكة وحنينا والطائف، بعثه النبي صلى الله عليه وآله وسلم لبني تميم فسبى بعض بني العنبر، كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يسميه الأحق المطاع، ارتد زمن أبي بكر ومال إلى طليحة، ثم عاد إلى الإسلام، عاش إلى خلافة عثمان بن عفان. ابن عبد البر، الاستيعاب ج3ص1249-1250. ابن الأثير، أسد ج4ص318.

² عبد الرزاق، تفسير ج2ص48. الطبري، تفسير ج18ص7.

³ ابن سعد، الطبقات ج1ص196. وعن أبي هريرة قال: «لقد كان أصحاب الصفة سبعين رجلاً ما لهم أريية» قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه " وقد أقره الذهبي على ذلك. وأضاف الحاكم «تأملت هذه الأخبار الواردة في أهل الصفة فوجدتهم من أكابر الصحابة ورعا وتوكلاً... اختار الله تعالى لهم... المسكنة، والفقر، والتضرع لعبادة الله عز وجل، وترك الدنيا لأهلها، وهم الطائفة المنتمية إليهم الصوفية قرناً بعد قرن». الحاكم، المستدرک ج3ص18. وكان منهم: أبو هريرة 59هـ. ووائل بن الأسقع الليثي 85هـ. وعباد بن خالد الغفاري، مات أيام معاوية. ربيعة بن كعب الأسلمي 63هـ، وكان منهم جرهد بن رزاح الأسلمي. مع أنه كان من أهل الشرف، بقي إلى زمن معاوية. ويعيش بن طخفة الغفاري. وقيل أن أبا ذر كان منهم أيضاً. ابن سعد، الطبقات ج1ص197، ج4ص323. البلاذري، أنساب ج1ص272-273. الذهبي، العبر ج1ص73. وقد اعتنى بهم صلى الله عليه وسلم، حتى أنه قال لفاطمة عندما اشتكت تعبها، فطلبت خادماً، وقد جاء سبي: والله لا أعطيكما وأدغ أهل الصفة تطوى بطونهم. ابن سعد، الطبقات ج8ص21.

⁴ القرآن، المائدة 89.

⁵ القرآن، النساء 92.

⁶ القرآن، المجادلة 3

أُذْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (12) فَكُ رَقَبَةُ (13) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (14) بَيْنَمَا ذَا مَرْبَبَةٍ (15) أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَرْبَبَةٍ¹.

وجعل القرآن عتق العبيد ضمن مصارف الزكاة الثمانية، فريضة من الله (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ...)².

وعندما جعل القرآن لهم أحكاماً خاصة، فإنه كان يخاطب الناس بما يصلح به شأن العبيد، مراعيًا وضعهم النفسي الخاص، ربما ليرتقي بهم ليدوبوا في المجتمع، ومراعيًا الأعراف والقوانين السائدة (وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتْيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَأَتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخَذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أَحْصَيْنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ...)³ وقد رأينا النص يستعمل تعبير (فتياتكم المؤمنات) وهو ما عبر عنه الحديث النبوي «لَا يَقُلُ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي وَأَمْتِي، وَلَيَقُلُ: فَتَايَ وَفَتَاتِي، وَلَا يَقُلُ الْعَبْدُ: رَبِّي، وَلَا رَبِّي»⁴.

وهو ما عبر عنه نص قرآني آخر، مما يؤكد على التوجه في استيعاب ظاهرة العبودية ضمن رابطة العقيدة، وإن ظل يستخدم مسمياتهم القديمة (وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (32) وَلَيْسَتَعَفُفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَأَتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتْيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِنَبْتَلِيَنَّاهُنَّ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ)⁵ قال علي

¹ القرآن، البلد 12-16.

² القرآن، التوبة 60.

³ القرآن، النساء 25.

⁴ معمر، جامع ج 1 ص 45. ابن حنبل، مسند ج 13 ص 518، ج 15 ص 263، ج 16 ص 43، 195. البخاري، الأدب

ج 1 ص 110. مسلم، صحيح ج 4 ص 1764. أبو داود ج 4 ص 294. النسائي، سنن ج 9 ص 100-101.

⁵ القرآن، النور 33.

(وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ) أن يدع السيد للعبد المكاتب، الربع مما كاتب عليه¹، والمكاتبه هي: أن يكاتب الرجل عبده أو أُمَّتَهُ عَلَى أَنْ يُفَارِقَهُ، أنه إذا أَدَّى إِلَيْهِ كَذَا وكذا من المال في كذا وكذا من الزمن، فالعبدُ حُرٌّ إِذَا أَدَّى جَمِيعَ مَا عَلَيْهِ، وَوَلَاؤُهُ لِمَوْلَاهُ الَّذِي كَاتَبَهُ، لأن مولاه جاد عليه بالكسب الذي هو في الأصل لمولاه².

وأجاز القرآن وطى السبايا، حيث كُنَّ يُمَثَّلْنَ شَرِيحَةَ اجْتِمَاعِيَّةٍ وَاسِعَةٍ، استوعبها القرآن ضمن الواقع الموجود في تلك المرحلة التاريخية، في ظل أعراف وتقاليد كانت راسخة في العقل العربي الاجتماعي والاقتصادي³، حيث نظر القرآن إِلَى الْفَارِقِ بَيْنَ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ فِي أَمْرِ الْعَتَقِ فَعَمِلَ عَلَى نَقْلِ النِّسَاءِ الْمَمْلُوكَاتِ مِنْ رَابِطَةِ الْعُبُودِيَّةِ إِلَى رَابِطَةِ الزَّوْجِيَّةِ وَأَمَرَ الْمُسْلِمِينَ بِتَرْوِجِهِنَّ وَالْبُرِّ بِهِنَّ⁴، وضمن هذا السياق يمكن فهم ما جاء في القرآن (فَانكحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَنِّي وَتِلْكَ وَرُبَاعٌ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ...) ⁵.

وهكذا فإن استقراء جميع الآيات المتصلة بالعبيد والموالي، يمكننا من تكوين مشهد كامل لموقف القرآن منهم، وهو موقف مؤيد ومدافع عنهم بكل وضوح، ولعل المقارنة مع التوراة من خلال النظر للجدول الذي أعدته الدراسة في ملحقها، يكشف لنا عن عمق التأييد القرآني لهذه الفئة من المستضعفين، رغم أن القرآن لم يخرجها عن مسمياتها الاجتماعية، فظل يطلق عليها: عبيداً وإماءً وملك يمين ورقاباً، ولكنه عبّر عنها أيضاً تحت مسمى (فتياتكم المؤمنات) مما يشير لطبيعة القرآن التي عملت على رفع شأن هذه الفئة المستضعفة من الناس.

موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من العبيد والموالي: تقدم لنا قصة زيد بن حارثة (ت8هـ)، صورة واضحة عن معاملة الرسول صلى الله عليه وسلم للعبيد حتى قبل البعثة، حينما بيع زيد في سوق عكاظ، فوقع عند خديجة، فوهبته للرسول صلى الله عليه وسلم بعد

¹ يحيى، تفسير ج1ص447. الطبري، تفسير ج17ص283، 287، ج19ص170، 172.

² الزجاج، معاني ج4ص40. ابن فورك، تفسير لج1ص146.

³ مدلل، شادي، السبي ص37.

⁴ ابن عبد ربه، طبائع ص91.

⁵ القرآن، النساء 3.

زواجهما، فخيرته حينما وفد أهله من اليمن ليأخذوه، فاختر زيدا، رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهله، فقالوا له "ويحك يا زيد أتختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك؟"¹ وتبناه صلى الله عليه وسلم، حتى تمّ تحريم التبني، فقال له صلى الله عليه وسلم: يَا زَيْدُ أَنْتَ مَوْلَايَ وَمَنِّي، أَنْتَ أَخُونَا وَمَوْلَانَا²، وذكره القرآن باسمه، محددًا مفهوم المولى بقوله تعالى، (وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ... فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا...)³.

وكان زيد أول من أسلم من غير أهل بيت النبوة⁴، وأخى صلى الله عليه وسلم بينه وبين عمه حمزة بن عبد المطلب (ت3هـ)، واستخلفه على المدينة في غزوة سفوان وبني المصطلق⁵، وغيرهما، واختصه بلواء المهاجرين في الخندق⁶، وفي قيادة أكثر سراياه⁷، حتى قالت عائشة عنه، أنه لو بقي حيًّا حتى وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم لاستخلفه⁸.

وعندما قُتل زيد في غزوة مؤتة⁹، كان القائد الأول لجيش المسلمين، الذي كان تعداده ثلاثة آلاف، غالبهم من الأحرار الصرحاء، وحين بلغه صلى الله عليه وسلم أن الرأية صارت إلى خالد بن الوليد: "فَهَلَا إِلَى رَجُلٍ قُتِلَ أَبُوهُ" يعني ولده أسامة (ت54هـ)¹⁰، وهو من نصح فاطمة بنت قيس الفهري، أن ترد خطبة معاوية بن أبي سفيان (ت60هـ)، وأن تنكح أسامة،

¹ ابن سعد، الطبقات ج1ص386، ج3ص26، ج3ص31. ابن حبيب، المحبر ج1ص128. ابن قتيبة، المعارف ج1ص144.

² ابن سعد، الطبقات ج3ص32. البلاذري، أنساب ج1ص470.

³ القرآن، الأحزاب 37.

⁴ البلاذري، أنساب ج1ص112. قال ابن إسحاق: أول من اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمن به من أصحابه:

علي، ثم زيد بن حارثة، ثم أبو بكر. ابن قتيبة، المعارف ج1ص144

⁵ قيل أنه استخلف جعلاً الضمري يوم بني المصطلق، وكان من أهل الصفة. ابن الأثير، أسد ج1ص536.

⁶ ابن سعد، الطبقات ج2ص6، 49، 51، 66-69، 145، ج3ص32. البلاذري، أنساب ج1ص287، 342.

⁷ ابن سعد، الطبقات ج2ص27. خليفة، تاريخ ص77، 85. ابن حبيب، المحبر ج1ص117-123. قال سلمة بن الأكوع

قال: غزوت مع زيد بن حارثة تسع غزوات يؤمره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عليًا. ابن سعد، الطبقات

ج3ص33، ج4ص228.

⁸ المبرد، الكامل ج4ص11.

⁹ ابن سعد، الطبقات ج8ص184. ابن حبيب، المحبر ج1ص406، 446. ابن قتيبة، المعارف ج1ص144. تزوج زيد

غيرهن، أنظر: ابن سعد، الطبقات ج8ص184، 296، 385.

¹⁰ ابن سعد، الطبقات ج4ص46. خليفة، تاريخ ص87.

فكرهته، فألحَّ عليها فتزوجته، واغتبطت به¹، وكان صلى الله عليه وسلم وجَّه أسامة على رأس جيش ضمَّ كبار الصحابة، للثأر من قتلة أبيه².

وهو ما نراه أيضاً في موقفه صلى الله عليه وسلم، مع صَفِيَّة بنت حييِّ بن أخطب (ت50هـ)، زعيم اليهود، وكانت ممَّا اصْطَفَى يَوْمَ خَيْبَرَ (5هـ)، وَعَرَضَ عَلَيْهَا أَنْ يُعْتَقَهَا إِنْ اخْتَارَتِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَقَبِلَتْ، وَأَسْلَمَتْ فَأَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا وَجَعَلَ عِتْقَهَا مَهْرَهَا³.

وكذلك مع جويرية بنت الحارث (ت57هـ)، زعيم بني المصطلق، وقد وقعت سبيَّة لثابت بن قيس الأنصاري (ت12هـ)، في غزوة بني المصطلق (6هـ)، فكاتبتها على تسع أواق، فطلبت مساعدة النبي صلى الله عليه وسلم، فخيرها أن يساعدها ويتزوجها، فوافقت، وَخَرَجَ الْخَبْرُ إِلَى النَّاسِ فَقَالُوا: أَصْهَارُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسْتَرْقُونَ؟! فَأَعْتَقُوا مَا كَانَ فِي أَيْدِيهِمْ فَلَبَّغَ عِتْقُهُمْ مِائَةَ، وعندما جاء أبوها ليستردها، خيرها صلى الله عليه وسلم، فاخترته⁴.

وإن كان الموقف مع مارية القبطية (ت16هـ)، يطرح سؤالاً كبيراً، حيث كان صلى الله عليه وسلم يتسرى بها، حسبما قيل، وقد جاءته هدية من مقوقس مصر، ولكنها أصبحت زوجته بعد أن أنجبت منه إبراهيم، حيث أصبحت أمًّا للمؤمنين، بعد أن أنجب منها، فكانت كرامة كبيرة لها⁵، ولعل خطبته صلى الله عليه وسلم من صفية بنت بشامة، أخت الأعرور العنبري، يفسر لنا طبيعة موقفه صلى الله عليه وسلم، وكانت صفية هذه أصابها سباء، فخيرها، فقال: إن شئت أنا وإن شئت زوجك، قالت: بل زوجي، فأرسلها، فَلَعَنَتْهَا بَنُو تَمِيمٍ عَلَى إِضَاعَةِ هَذَا فُرْصَةً، يكون لها أثر كبير عليها وعلى قومها⁶.

¹ ابن سعد، الطبقات ج8ص213.مسلم، صحيح ج2ص114.

² ابن سعد، الطبقات ج4ص49.

³ ابن سعد، الطبقات ج8ص96.الطبري، تاريخ ج3ص165.

⁴ ابن سعد، الطبقات ج2ص49.خليفة، تاريخ ص80.ابن حبيب، المحبر ج1ص89.الطبري، تاريخ ج3ص165.

⁵ ابن سعد، الطبقات ج1ص107.ابن حبيب، المحبر ج1ص98.الطبري، تاريخ ج3ص21.

⁶ ابن سعد، الطبقات ج8ص122.الطبري، تاريخ ج3ص169.

واختلفت الروايات بشأن ريحانة بنت زيد، وكانت من بني النضير متزوجة في بني قريظة، حيث سبيت، وقد أسلمت بعد تمنع، فقال لها صلى الله عليه وسلم: **إِنْ أَحْبَبْتَ أُعِقُّكَ وَأَتَزَوَّجُكَ فَعَلْتُ، وَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تَكُونِي فِي مَلِكِي أُطُوكِ بِالْمَلِكِ فَعَلْتُ، فَكَانَتْ فِي مَلِكِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باختيارها، يَطُوهَا حَتَّى مَاتَتْ عِنْدَهُ، لكن الواقدي (ت207هـ)، أثبت أنها كَانَتْ أُمَّةً لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا¹.**

وعمل الرسول صلى الله عليه وسلم، على إحلال ولاء العقيدة ليكون في مقدمة أشكال الولاء الأخرى، ولعل عملية المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، كانت أهمّ بداية، حتى أنهم توارثوا، حتى السنة (2هـ) وتحديدًا بعد بدر، عندما نزل قوله تعالى (وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ²)³ وتضمنت هذه المؤاخاة، بين أحرار وموالي أيضاً⁴، وكان كثير من العبيد سارعوا لاعتناق الدعوة منذ بدايتها، وقيل للنبي صلى الله عليه وسلم، من أول من قام معك في هذا الأمر؟ قال: حرّ وعبد؛ يريد بالحرّ أبا بكر، وبالعبد بلالا، وقال بعضهم: عليّ وخبّاب⁵، وجاء عن عمّار: رأيتُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا مَعَهُ إِلَّا خَمْسَةٌ عُبْدٌ، وَأَمْرَأَتَانِ، وَأَبُو بَكْرٍ⁶.

ورأينا أوضاع المستضعفين من مسلمي مكة تتغير، فهذا بلال يؤذن فوق الكعبة يوم الفتح، ويصبح مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويستعمله على صدقات الثمار⁷، وهذا ابن مسعود يصبح صاحب سواد الرسول صلى الله عليه وسلم⁸، وقد دعا الصحابة لأخذ القرآن عنه **«مَنْ أَرَادَ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أَنْزَلَ، فَلْيَقْرَأْ عَلَيَّ قِرَاءَةَ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ⁹»** وعندما طلب منه حيّ

¹ الواقدي، المغازي ج2ص521. ابن سعد، الطبقات ج8ص103.

² القرآن، الأنفال 75.

³ ابن حبيب، المحبر ج1ص71. البلاذري، أنساب ج1ص270.

⁴ مثلاً المؤاخاة بين سالم مولى أبي حذيفة وأبي عبيدة بن الجراح، وبين عامر بن فهيرة والحارث بن أوس. ابن سعد، الطبقات ج3ص63، 333.

⁵ البلاذري، أنساب ج1ص224. ابن عبد ربه، العقد ج5ص15.

⁶ ابن حنبل، فضائل ج1ص208. البخاري، صحيح ج5ص5، 46. الحاكم، المستدرک ج3ص444.

⁷ ابن سعد، الطبقات ج3ص179.. البلاذري، أنساب ج1ص526، 530. المبرد، الكامل ج3ص66.

⁸ البخاري، صحيح ج5ص25. صاحب سواده: يعني صاحب سرّه. ابن سعد، الطبقات ج3ص113.

⁹ أبو يوسف، الآثار ج1ص43. الطيالسي، مسند ج1ص261. البخاري، خلق ج1ص68.

حي من بني زهرة أن ينكب عنهم موضع دار ابن مسعود، استنكر طلبهم، قائلًا: إِنَّ اللَّهَ لَا يُقَدِّسُ قَوْمًا لَا يُعْطَى الضَّعِيفُ مِنْهُمْ حَقَّهُ¹.

وهذا عمار يقطعه صلى الله عليه وسلم موضع داره في المدينة، وعندما اختلف عمار مع زعيم من مواليه بني مخزوم، هو خالد بن الوليد، نجده صلى الله عليه وسلم يقف مع عمار ضد خالد، ويأمره بالاعتذار منه، ويقول له: «مَنْ يَسُبُّ عَمَّارًا يَسُبُّ اللَّهَ، وَمَنْ يُعَادِ عَمَّارًا يُعَادِ اللَّهَ»²، وهذا صهيب يطريه الرسول صلى الله عليه وسلم "ربح البيع أبا يحيى" ويجعله (سابق الروم) يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «السَّبَّاقُ أَرْبَعَةٌ: أَنَا سَابِقُ الْعَرَبِ، وَبِلَالٌ سَابِقُ الْحَبَشَةِ، وَصُهَيْبٌ سَابِقُ الرُّومِ، وَسَلْمَانُ سَابِقُ فَارِسَ»³.

ومما يلخص طبيعة وضع هؤلاء المستضعفين في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، ما جاء "عَنْ عَائِدِ بْنِ عَمْرٍو⁴، أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ، أَتَى عَلَى سَلْمَانَ، وَصُهَيْبٍ، وَبِلَالٍ فِي نَفَرٍ، فَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَخَذْتَ سُيُوفَ اللَّهِ مِنْ عُنُقِ عَدُوِّ اللَّهِ مَأْخَذَهَا، قَالَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: اتَّقُوا لَنْ هَذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهِمْ؟، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ، لَنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ، لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ» فَأَتَاهُمْ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: يَا إِخْوَتَاهُ أَغْضَبْتُكُمْ؟⁵ توضح هذه الرواية مستوى المكانة التي تبوأها هؤلاء المستضعفون.

ويوضح موقف النبي صلى الله عليه وسلم، من سلمان الفارسي (ت35هـ)، وهو عبد، عند يهودي من بني قريظة في المدينة، طبيعة التوجه الذي أراده صلى الله عليه وسلم، لهذه الفئة

¹ ابن سعد، الطبقات ج3ص112. البلاذري، أنساب ج1ص216.

² ابن سعد، الطبقات ج3ص190. ابن حبان، صحيح ج15ص551-552. الحاكم، المستدرک ج3ص439.

³ معمر، جامع ج1ص242. ابن حنبل، فضائل ج2ص909. البلاذري، أنساب ج1ص183. الحاكم، المستدرک ج3ص321.

⁴ ممن بايع بيعة الرضوان تحت الشجرة، وكان من صالحى الصحابة، سكن البصرة، وابتنى بها دارا، وتوفي في إمرة عبيد الله بن زياد 67هـ أيام يزيد بن معاوية 63هـ. ابن عبد البر، الاستيعاب ج2ص799.

⁵ ابن أبي شيبة، مسند ج2ص400. ابن حنبل، مسند ج34ص243. مسلم، صحيح ج4ص1947. النسائي، سنن ج7ص359. وشبهه بذلك عندما أقطع صلى الله عليه وسلم، أبا بكرٍ وربيعَةَ الأَسْلَمِيَّ من أهل الصفة- أرضًا فيها نخلةٌ مائلةٌ أصلها في أرضِ ربيعةٍ وقرعها في أرضِ أبي بكرٍ، فاختلفا عليها ففضى لربيعة. ابن سعد، الطبقات ج4ص234.

المستضعفة من الناس، وكان «تداوله بضعة عشر، من رب إلى رب»¹ جاء في رواية سلمان عن نفسه، أن وجوده في الرق منعه من الجهاد في بدر وأحد، فقال له رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " كَاتِبُ يَا سَلْمَانَ " فكاتبه سيده على مبلغ كبير، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ: " أَعِينُوا أَخَاكُمْ " فَأَعَانُونِي بِالنَّخْلِ كُلِّ رَجُلٍ بِقَدْرِ مَا عِنْدَهُ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ لِي ثَلَاثُ مِائَةِ وَدِيَّةٍ، فَأَدَيْتُ النَّخْلَ، وَبَقِيَ عَلَيَّ الْمَالُ، فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِثْلِ بَيْضَةِ الدَّجَاجَةِ مِنْ ذَهَبٍ مِنْ بَعْضِ الْمَغَازِي فَأَوْفَيْتُهُمْ حَقَّهُمْ، وَعَقَّتْ، فَشَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَنْدَقَ، ثُمَّ لَمْ يَفْتِنِي مَعَهُ مَشْهُدٌ².

وقد رأينا كيف تطورت مكانة سلمان بين المسلمين، حتى تنازع عليه المهاجرون والأنصار، فاختره صلى الله عليه وسلم، قائلاً "سلمان منا آل البيت"³، وجعل عمر عطاءه مثل عطاء أهل بدر مع الحسن والحسين وأبي ذر، واستعمله على المدائن⁴.

وهذا حذيفة بن اليمان (ت35هـ)، يصبح صاحب سر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان عمر ينظر إليه عند موت من مات منهم، فإن لم يشهد جنازته حذيفة لم يشهداها، وكان حذيفة يقول: خَيْرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ الْهَجْرَةِ وَالنَّصْرَةِ، فَاخْتَرْتُ النَّصْرَةَ، وَهُوَ حَلِيفٌ لِلْأَنْصَارِ لِبَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، أَصَابَ وَالِدَهُ دَمًا فَلَجَأَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَشَهِدَ حَذِيفَةَ نَهَاوَنْدَ فِي زَمَنِ عُمَرَ، فَلَمَّا قَتَلَ النُّعْمَانُ بْنُ مِقْرَنٍ سَنَةَ (21هـ) أَخَذَ الرَّايَةَ، بِوَصِيَّةِ مَنْ عُمَرَ، وَكَانَ فَتْحَ هَمْدَانَ وَالرِّيِّ وَالِدِينَورَ عَلَى يَدِ حَذِيفَةَ سَنَةَ (22هـ)، وَقَدْ اسْتَعْمَلَهُ عُمَرُ عَلَى الْمَدَائِنِ⁵.

¹ عبد الرزاق، مصنف ج8ص417. البخاري، صحيح ج5ص71.

² عبد الرزاق، مصنف ج8ص417. ابن حنبل، مسند ج39ص140-147. ابن شبة، تاريخ ج1ص174.

³ المبرد، الكامل ج4ص12. الطبري، تاريخ ج2ص568. الطبراني، المعجم الكبير ج6ص212. الحاكم، المستدرک ج3ص691.

⁴ ابن سعد، الطبقات ج4ص67. البلاذري، أنساب ج9ص438. الطبري، تاريخ ج3ص614. ومما يلفت النظر أن ابن سعد ترجم لسلمان في طبقاته خمس عشر صفحة، ج4ص56-70.

⁵ ابن عبد البر، الاستيعاب ج1ص334-335. ابن الأثير، أسد ج1ص706.

ومثله، أبو الهيثم بن التيهان (ت20هـ)، كان حليف لبني عبد الأشهل من الأنصار، فاستعمله صلى الله عليه وسلم في خراصة خيبر، بعد استشهاد عبد الله بن رواحة، وأقره الصديق على عمله، لكنه أبى، حيث كان من أشد أنصار علي¹.

ومما يدل على حجم الموالي في العهد النبوي، أن ما يقارب ثلث جيش بدر كان من موالي العتاقة والحلفاء والعبيد²، وكان نصف شهداء المهاجرين في بدر مواليا³، واستعمل صلى الله عليه وسلم، مملوكه صالح شقران، على أسرى بدر، يقودهم إلى المدينة، لكنه لم يسهم له، فجزاه كل رجل له أسير فأصاب أكثر مما أصاب رجل من القوم من المقسم، واستعمله أيضاً على غنائم بني المصطلق⁴، لكن لا بد من القول أنه، وإن كان صالح، هذا، أخذ في المجمل أكثر من رجل حرّ مفرد، إلا أنه لم يأخذ سهمه كغيره بشكل طبيعي، وهذا يشير إلى منقصة بحقه، مما يؤكد أن العبيد لم يتحول وضعهم بشكل جذري، رغم هذا التحسن الملموس.

وكان الذي أجهز على أبي جهل، عبد الله بن مسعود (ت32هـ)، وقد اغتاز منه أبو جهل وهو يعتلي صدره المنتفخ، فقال له "لَقَدْ ارْتَقَيْتَ يَا رُوَيْعِي الْغَنَمَ مُرْتَقَى صَعْبًا!"⁵ ولما أمر صلى الله عليه وسلم باقتفاء أثر معاوية بن المغيرة بن أبي العاص، الذي مثل بجثة حمزة، تصدى لذلك زيد وعمار حتى قتلاه⁶، وكان للأحلاف راية خاصة في حنين (8هـ)، وقد هربوا جميعاً مع غيرهم من الناس، عندما وقع المسلمون في كمين هوازن⁷.

¹ الواقدي، مغازي ج1ص158. ابن سعد، الطبقات ج3ص341-342. قيل أنه استشهاد في صفين مع عليّ. ابن سعد، الطبقات ج3ص342.

² الواقدي، المغازي ج1ص153. ابن أبي عاصم، الأحاد ج1ص261. جودة، جمال، الأوضاع ص56. أنظر الجدول في الملاحق.

³ وهم: أنسة مولى الرسول صلى الله عليه وسلم، ومهجع مولى عمر، وذو البدين حليف بني زهرة. ابن سعد، الطبقات ج2ص12، ج3ص125. خليفة، تاريخ ص60. ابن حبيب، المحبر ج1ص122.

⁴ ابن سعد، الطبقات ج2، 49، ج3ص36. البلاذري، أنساب ج1 ص294، 478-479.

⁵ البلاذري، أنساب ج1 ص299. الطبري، تاريخ ج2ص455.

⁶ البلاذري، أنساب ج1ص337. ابن الأثير، الكامل ج2ص53.

⁷ الطبري، تاريخ ج3ص78. ابن الأثير، الكامل ج4ص355. ابن كثير، البداية ج4ص383.

وبعث الرسول صلى الله عليه وسلم يسارَ مولاه، في مائةٍ وثلاثين رجلاً، حتَّى أغارُوا على بني عبدٍ، فاستأفوا النعمَ والشاءَ، وحَدَرُواها إلى المَدِينَةِ¹، وكان جيش قريش ضمَّ كثيراً من العبيد والموالي في بدرٍ وأحدٍ، حتَّى أن عبداً حبشياً اسمه صواب احتضن اللواء حتَّى قتل عليه في أحدٍ²، ولعل ذلك يفسر النفسية التي ظَلَّت تسيطر على أكثر العبيد في تلك المرحلة، وهي نفسية إخلاص وتفانٍ للسيد، باعتباره جزءاً منه.

وعمل الرسول صلى الله عليه وسلم على استقطاب العبيد في المعارك، فأعلن عن عتق كل عبد ينحاز للمسلمين، ممَّا دفع عشرين من عبيد الطائف، للمخاطرة والهرب، خلال حصارها من قبل المسلمين، فحررهم الرسول صلى الله عليه وسلم، ولم يقبل بردهم مع ما رده لأهل الطائف بعد إسلامهم، وكان منهم أبو بكر (ت 51هـ)، الذي أصبح ذا مكانة بين المسلمين³.

واستوعب صلى الله عليه وسلم جماعات من المستضعفين العبيد، كانوا قد تردوا وتحصنوا في الجبال، فكتبَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِجُمَاعٍ كانوا في جَبَلٍ تَهَامَةَ قَدْ غَصَبُوا المَارَةَ، مِنْ كِنَانَةَ وَمَرْزَبَةَ وَالْحَكَمَ وَالْقَارَةَ وَمَنْ اتَّبَعَهُمْ مِنَ العَبِيدِ، وقد وَفَدَ مِنْهُمْ وفد على النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكتبَ لهم صلى الله عليه وسلم: العِيَادِ اللهُ العُنُقَاءِ إِنَّهُمْ إِنْ آمَنُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَعَبِيدُهُمْ حُرٌّ وَمَوْلَاهُمْ مُحَمَّدٌ، وَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ مِنْ قَبِيلَةٍ لَمْ يَرُدَّ إِلَيْهَا، وَمَا كَانَ فِيهِمْ مِنْ دَمٍ أَصَابُوهُ أَوْ مَالٍ أَخَذُوهُ فَهُوَ لَهُمْ، وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دَيْنٍ فِي النَّاسِ رُدَّ إِلَيْهِمْ⁴.

واستعمل الرسول صلى الله عليه وسلم، بعض الموالى، حيث استعمل سعيد بن القشْب الأزدِيّ حليف بني أمية على جُرش وجرها⁵، وكانت سرية عبد الله بن جحش (ت 3هـ) حليف

¹ الطبري، تاريخ ج3ص23. يقول ابن سعد أن قائد السرية كان غالب الليثي، بينما كان يسار دليلاً. ابن سعد، الطبقات ج2ص91.

² ابن سعد، الطبقات ج2ص31. البلاذري، أنساب ج1ص55. الطبري، تاريخ ج3ص23. وقد عيّر حسان بن ثابت، قريشاً أن أمر لوائهم آل في المعركة إلى عبيدهم بعد أن جندل عليّ حملة ألويتهم في بداية المعركة. الطبري، تاريخ ج2ص513.

³ ابن حنبل، مسند ج3ص428. البلاذري، أنساب ج1ص490. فتوح ص48، 63.

⁴ ابن سعد، الطبقات ج1ص213.

⁵ خليفة، تاريخ ص97. ابن عبد البر، الاستيعاب ج2ص626. ابن الأثير، أسد ج2ص488.

بني أمية، من أول السرايا التي عقدها الرسول صلى الله عليه وسلم، كما جعل معيقب بن أبي فاطمة (ت40هـ) وكان مولى أو حليفاً لأبي أحيحة، خازنه، وقيل على خاتمه، واستعمله أبو بكر وعمر على بيت المال¹، وعند وفاته صلى الله عليه وسلم، كان المولى الفارسي، فيروز الديلمي على صنعاء وقد قتل مدعي النبوة الأسود العنسي سنة (11هـ)².

وتفيد المصادر التاريخية، أنّ عمليات السبي استمرت في العهد النبوي، وكان السبايا يتحولون إلى عبيد، فقد بلغ سبي حنين، ستة آلاف رأس³، وكانت جوارى السبي العربيات يُقدمن إلى الرجال، وكذلك سبايا اليهود، حتى فشت سبايا خيبر بين المسلمين⁴، وبلغ سبي بني قريظة ألف رأس، فأخذ صلى الله عليه وسلم خمسا، فكان يُعْتَقُ مِنْهُ وَيَهَبُ مِنْهُ، وَيُخَدَّمُ مِنْهُ مَنْ أَرَادَ، وَبَاعَ مِنْهُمْ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ (ت35هـ) وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ (ت32هـ) طَائِفَةً، وَبَعَثَ طَائِفَةً إِلَى نَجْدٍ، وَبَعَثَ طَائِفَةً إِلَى الشَّامِ مَعَ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ (ت15هـ)، يَبِيعُهُمْ وَيَشْتَرِي بِهِمْ سِلَاحًا وَخَيْلًا⁵.

وقد رأينا صلى الله عليه وسلم، يجعل الولاء لُحمة كُحمة النسب، وقد منع بيعه وهبته⁶، وهبته⁶، ولم يكن صلى الله عليه وسلم يفرق بين العرب والعجم في السباء، فقد سبى بني المُصْطَلِقِ وَهَوَازِنَ

وَقَبَائِلَ مِنَ الْعَرَبِ وَأَجْرَى عَلَيْهِمُ الرِّقَّ حَتَّى مَنَّ عَلَيْهِمْ بَعْدُ¹، وأعلن عن تكافؤ الدماء بين بين المسلمين، فيما كانت دية الحليف نصف دية الصريح، وأجار على المسلمين أدناهم، ورد

¹ خليفة، تاريخ ص99. البلاذري، أنساب ج1ص371، ج5ص455. الطبري، تاريخ ج2ص410. ابن عبد البر، الاستيعاب ج4ص1478.

² فيروز الديلمي: من أبناء «فارس»، الذين بعثهم «كسرى» إلى «اليمن»، فنفوا «الحبشة» عنها وغلبوا عليها، وهو الذي قتل «الأسود بن كعب العنسي» المنتبى باليمن، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: قتله الرجل الصالح: فيروز الديلمي. وقد وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه أحاديث يذكر فيها، فيقال: الديلمي الحميري. وإنما قيل: حميري، لنزوله في حمير، مات في خلافة عثمان. ابن قتيبة، المعارف، ص335. الطبري، تاريخ ج3ص318.

³ ابن سعد، الطبقات ج2ص116. خليفة، تاريخ ص90. ابن الجوزي، المنتظم ج3ص339.

⁴ ابن هشام، سيرة ج2ص331. الطبري، تاريخ ج3ص87-88.

⁵ الواقدي، مغازي ج2ص523.

⁶ الشافعي، مسند ج1ص338. عبد الرزاق، مصنف ج9ص5. سعيد، سنن ج1ص117.

عنهم أفصاهم، وجاء عن عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ (ت73هـ)، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَوَّى بَيْنَ النَّاسِ إِيَّذَا ذَا الْعِيَالِ، فَإِنَّهُ فَضَّلَهُ عَلَى مَنْ لَمْ يَأْتِ لَهُ، وَذَكَرَ ابْنُ عَبَّاسٍ، فِي قِسْمِ الْأَنْفَالِ بِيَدْرٍ، قَالَ: فَقَسَمَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالسَّوَاءِ، وَعَنْ عَائِشَةَ (ت59هـ)، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " أَتَى بِطَبِيبَةٍ خَزَرَ، فَقَسَمَهَا لِلْحُرَّةِ وَالْأَمَةِ "2.

وأعتق كثيراً من المماليك، فصاروا موالیه³، يخدمونه ويقاتلون معه في غزواته، وقد أصبح لهم ولذريتهم شأن رفيع من هذا الولاة⁴، وفتح أبواباً كثيرة للعتق، غير ما ذكره القرآن، فجعل منها إذا «لَطَمَ مَمْلُوكًا، أَوْ ضَرَبَهُ حَدًّا لَمْ يَأْتِهِ، فَكَفَّارَتُهُ عِتْقُهُ» وهو ما وقع في قصة سنذر، وكان عبداً عند زِنْبَاعِ الْجُدَامِيِّ، فَلَمَّا جَبَّهَ وَخَرَمَ أَنْفَهُ وَأُذُنَيْهِ، أَعْتَقَهُ مِنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ⁵.

وقد أوصى صلى الله عليه وسلم، في حجة الوداع، قائلاً «أَرِقَاءَكُمْ أَرِقَاءَكُمْ أَطْعَمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ، وَاللِّسُوءُ مِمَّا تَلْبَسُونَ، وَإِنْ جَاؤُوا بِذُنُوبٍ لَا تَغْفِرُونَهَا، فَبِيعُوا عِبَادَ اللهِ، وَلَا تُعَذِّبُوهُمْ»⁶ وعند موته، أوصى قائلاً "الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم"⁷ وظل يكرر وصيته هذه، حتى وهو يغرغر، وبعد وفاته شارك بعض الموالى مع عليّ في تغسيله، ودخلوا يودعون جثمانه، بعد الرجال والنساء والصبيان، وقد نزل مولاة شقران إلى قبره مع عليّ وقتل وأوس بن خولي، جاء

¹ الشافعي، الأم ج4ص288. ابن سعد، الطبقات ج2ص116. ويبدو أن العرب كانت تفرق في نذورها في عتق العبيد إذا كان عربياً أو غير عربي، كما يبدو من قول عائشة: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ عَلِيَّ رَقِيَّةٌ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: هَذَا سَبِيٌّ بَنِي الْعَنْبَرِ يَفْدُمُ الْآنَ فَنُعْطِيكَ إِنْسَانًا فَتَعْتِقِيْنَهُ. الطبري، تاريخ ج3ص157. قال خليفة: فَهَزَمَ اللهُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَقُتِلَ مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ وَتَقَلَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُسْلِمِينَ أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ. خليفة، تاريخ ص80.

² البيهقي، سنن ج6ص566.

³ وأشهر هؤلاء: زيد بن حارثة 8هـ، وأمّ أيمن امرأته 11هـ وولدهما أسامة 54هـ، وأبو رافع 35هـ، وسفينة 75-95هـ، وثوبان 54هـ، وشقران، وأبو كبشة 13هـ، وأبو ضميرة، ومدعم 5هـ، وأبو مويهبة، والنبية، ورباح، ويسار، وفضالة، وأنسة 12هـ، ومهران، وكركرة، وهشام، وأبو لبابة، وأنجشة، وأبو بكرة 51هـ، وذكر الطبري، سلمان الفارسي 36هـ، في موالى الرسول صلى الله عليه وسلم. ابن قتيبة، المعارف ص144-149. البلاذري، أنساب ج1 ص467-487. الطبري، تاريخ ج1ص170-174.

⁴ ابن سعد، الطبقات ج1ص385-386. الطبري، تاريخ ج3ص169-172. انظر قصة رافع مع الأشدق. البلاذري، أنساب ج1ص482.

⁵ ابن سعد، الطبقات ج7ص350. ابن عبد البر، الاستيعاب ج2ص688. الطوسي، النهاية 539-540.

⁶ ابن سعد، الطبقات ج2ص142، ج3ص288. البلاذري، أنساب ج10ص463.

⁷ ابن سعد، الطبقات ج2ص187، 195. البخاري، الأدب ج1ص85. الفسوي، المعرفة ج3ص357. البلاذري، أنساب ج10ص381.

عَنِ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ (ت94هـ) " وَلِيَّ غَسَلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدَفْنَهُ وَإِجْنَانَهُ دُونَ النَّاسِ أَرْبَعَةٌ: عَلِيُّ وَالْعَبَّاسُ وَالْفَضْلُ وَصَالِحُ شُقْرَانَ مَوْلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"¹.

وقد حفلت كتب السنّة بأبواب كاملة حول معاملة العبيد، فهذا البخاري (ت256هـ) يخصص باباً حول ذلك عنوانه (بَابُ كَرَاهِيَةِ التَّطَاوُلِ عَلَى الرَّقِيقِ)² وعند أبي داود (ت275هـ) (الإحسان إلى المماليك)³ وعند المروزي (ت246هـ) (حق المملوك، وحسن ملكته)⁴ وقد تضمنت هذه الأبواب أحاديث كثيرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم، تعكس طبيعة التوجه الإسلامي نحوهم، وهو توجه عبّرت عنه طبيعة الألفاظ التي رأيناها في أبواب كتب الحديث (كراهية، وإحسان، وحق، وحسن ملكة) وهي ألفاظ وإن عبّرت عن منهج ترغيب أكثر منه منهج قانوني صارم، فإنها ربما عكست طبيعة التوجه الذي لخصه المؤرخ الأمريكي، ديورانت قائلاً "قبل محمد كما قبل معاصروه نظام الاسترقاق على أنه من قوانين الطبيعة، ولكنه بذل كل ما في وسعه لتخفيف أعباء الرق ومساوئه...ولسنا نجد في التاريخ كله مصلحاً فرض على الأغنياء من الضرائب ما فرضه عليهم محمد لإعانة الفقراء"⁵.

وفي نفس الوقت جاءت روايات حديثة وتاريخية، بعكس هذا التوجه، ينبغي فهمها وفق السياق العام لنهج الرسول صلى الله عليه وسلم، أو هي مؤولة ضمن ظرفها التاريخي، من هذه الروايات: أنه أجاز نزع الجارية من زوجها العبد ليوطأها سيدها، وأنه ترك خلفه أربع سراري، وأنه أمر ببيع سُرُق الجهنبي، عندما سرق أعرابياً، فقال للأعرابي: اذهب به يا أعرابي فبعه حتى تستوفي حَقَّك⁶، وهذه روايات ربما تعكس تبريراً للمرحلة الأموية والعباسية، حيث اختمرت

¹ عبد الرزاق، مصنف ج3ص475. ابن سعد، الطبقات ج2ص187، 195. ابن ماجه، سنن ج1ص520. الطبري، تاريخ ج3ص213.

² البخاري، صحيح ج3ص149.

³ أبو داود، سنن ج2ص1216.

⁴ المروزي، البر ج1ص177.

⁵ ديورانت، ول، قصة ج13ص59. وأضاف: وقد عمل الإسلام على تضييق دائرة الاسترقاق وتحسين حال الأرقاء، فقصر الاسترقاق المشروع على من يؤسرون في الحرب من غير المسلمين وعلى أبناء الأرقاء أنفسهم. ديورانت، ول، قصة ج13ص112.

⁶ ابن سعد، الطبقات ج7ص349. ابن عبد البر، الاستيعاب ج2ص683.

الروايات ودُونت، وهي مرحلة حرص فيها سادتها على توفير شرعية، لأعمالهم تجاه الضعفاء والمساكين، ومنهم العبيد والموالي، بخلاف الروايات التي انتصرت لهؤلاء، فهي وإن عبّرت عن اتساع نفوذ الموالى العلمي، وخاصة في مجال الرواية، إلا أنها عكست حقيقة التوجه النبوي تجاههم، وهو توجه إيجابي، رغم أنه لم يمنع العبودية بشكل صريح.

أمّا ما جاء عن تكفيره صلى الله عليه وسلم، للعبد الأبق¹، في رواية مسلم (ت261هـ)، عَنِ الشَّعْبِيِّ (ت105هـ)، عَنِ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (ت51هـ)، أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ: «أَيُّمَا عَبْدٍ أَبَقَ مِنْ مَوَالِيهِ فَقَدْ كَفَرَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ» قَالَ مَنْصُورُ الْأَشْجَلِ التَّابَعِيُّ: «قَدْ وَاللَّهِ رُويَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانِي أَكْرَهُ أَنْ يُرَوَى عَنِّي هَاهُنَا بِالْبَصْرَةِ»²، فلا يمكن ثبوته بحال، فما علاقة الكفر والإيمان بهكذا أمر، ثم إن هذا القول منسوب لجرير، وهو لم يرفعه للنبي صلى الله عليه وسلم، والذي رفعه هو منصور، ولكن منصور يتخرج من روايته في البصرة!.

والأهم من كل ذلك أنّ الحاكم استدرك على مسلم رواية على شرطه، جاء فيها عكس رواية جرير السالفة، وهي عَنِ عَلِيٍّ، قَالَ: خَرَجَ عَبْدَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ قَبْلَ الصَّلْحِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ مَوَالِيَهُمْ، قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ وَاللَّهِ مَا خَرَجُوا إِلَيْكَ رَغْبَةً فِي دِينِكَ، وَإِنَّمَا خَرَجُوا هَرَبًا مِنَ الرِّقِّ. فَقَالَ نَاسٌ³: صَدَقُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ، رُدُّهُمْ إِلَيْهِمْ. فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «مَا أَرَأَيْتُمْ تَتَّهِنُونَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مَنْ يَضْرِبُ رِقَابَكُمْ عَلَى هَذَا» وَأَبَى أَنْ يَرُدَّهُمْ فَقَالَ: «هُمْ عُنُقَاءُ اللَّهِ»⁴.

¹ الأبق: الهارب. البعلي، المطّلع ص175، 275.

² ابن حنبل، مسند ج31 ص564. مسلم، صحيح ج1 ص83. وفي سند رواية أحمد، علي بن عاصم الواسطي، ضَعَفَهُ أَهْلُ الْحَدِيثِ. الأرنؤوط، هامش مسند أحمد ج31 ص564.

³ الناس هنا هم: بعض الصحابة. جاء عند ابن الجارود: "... فَقَالَ رِجَالٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: صَدَقُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَرَدَّهُمْ إِلَيْهِمْ، فَغَضِبَ...". ابن الجارود، المنتقى ج1 ص275. وقد حدّد الحاكم أنّهم أبو بكر وعمر. الحاكم، المستدرك ج2 ص149.

⁴ أبو داود، سنن ج3 ص65. الحاكم، المستدرك ج2 ص136. قال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجْهُ الْبُخَارِيُّ وَلَا مُسْلِمٌ. وقد أقرّ الذهبي، الحاكم، أنّه فعلاً على شرط مسلم

وروايات الحاكم هذه ترتبط بحدث وحيثيات مفسرة، وهي منسجمة مع روح القرآن، بينما كان قول جرير عاماً، لا يسنده شيء، إلا مصالح السادة المترفين، وعليه فإن رواية الحاكم تتقدم على رواية مسلم، وجاء عن البغوي (ت516هـ) في شرحه لرواية الحاكم: " وَلَوْ أَنَّ الْعَبْدَ غَلَبَ سَيِّدَهُ فِي دَارِ الْحَرْبِ وَقَهَرَهُ، ثُمَّ خَرَجَا إِلَيْنَا مُسْلِمِينَ، وَيَدُ الْعَبْدِ ثَابِتَةٌ عَلَى سَيِّدِهِ، كَانَ السَّيِّدُ مَمْلُوكًا، وَالْمَمْلُوكُ مَالِكًا"¹.

وقد أجاد البخاري حينما صنّف باباً سمّاه (الأكفاء في الدين)² ابتدأه بقوله تعالى (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا، فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا، وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا)³ وذكر فيه زواج ضباعة بنت الزبير، من المقداد بن الأسود، وهند بنت الوليد بن عتبة، من سالم مولى أبي حذيفة (ت12هـ)، وختمه بمقارنته صلى الله عليه وسلم بين الفقير والغني في النكاح وغيره، وتأكيد على أفضلية الفقير إن كان أكثر تقوى، مما يؤكد على رابطة العقيدة، ورغم ذلك كان عدد حالات زواج الموالى من العرب قليلاً، حتى النصف الأول من القرن الثاني للهجرة⁴.

العبيد والموالى في عهد الراشدين: اتسع حجم العبودية في المجتمع المسلم مع اتساع حركة الفتوحات في الشام والعراق وفارس وإفريقية، وتوطدت أركان دولة الخلافة، مع استقدام الأنظمة الإدارية المختلفة المتصلة بحركة الفتوح، وما واكب ذلك من عمليات سبي، وقد أدى ذلك إلى تكريس ظاهرة العبودية، وبالتالي استمرار خضوع فئات اجتماعية عديدة للاستضعاف في ظل الدولة الإسلامية، يقول الأسود النخعي: شهدت القادسية، فرأيت غلاماً منّا من النخع يسوق ستين أو ثمانين رجلاً من أبناء الأحرار، فقلت: لقد أذلّ الله أبناء الأحرار! وحكى المدائني (ت228هـ) عن الشعبي (ت105هـ): كان السبي في القادسية وجلولاء مائة ألف رأس، ويلخص أبو عبيدة (ت18هـ) قائد جيوش الفتوح، الأمر بقوله: قد رأيت من الرأي أن

¹ البغوي، شرح ج11ص165.

² البخاري، صحيح ج7ص7.

³ القرآن، الفرقان 54.

⁴ البخاري، صحيح ج7ص7-8. وقد دفع ذلك الهيثم بن عدي 207هـ أن يؤلف كتاباً أسماه "من تزوج من الموالى من العرب". ابن النديم، الفهرست 129. جودة، جمال، الأوضاع ص196.

أو من هؤلاء من القتل، وأرد عليهم أموالهم وعيالهم فيكونوا (عبيدا لنا) ويعمروا الأرض والبلاد
ونأخذ خراجهم وجزيتهم¹، وكانت عمليات السبي تظال النساء والصبيان، فقد سبى خالد بن
الوليد من عين التمر (12هـ) أربعين صبياً².

وشكّل إصرار أبي بكر الصديق، على إنفاذ بعث أسامة بن زيد 54هـ، رسالة واضحة
في محاولة رفع شأن الموالى، فأسامه مولى، وكان عدد من الصحابة قد اعترضوا على
تأميره³، واستعمل أبو بكر، المولى الفارسي فيروز على صنعاء، ولما خرج عليه قيس بن عبد
يغوث المكشوح، العربي، كتب أبو بكر لوجه اليمن: فأعينوا "الأبناء"⁴ على من نأواهم،
وحوِّطوهم واسمعوا من فيروز، وجدوا معه، فإني قد وليته⁵. وكتب لخالد بن الوليد (ت21هـ)
وهو في العراق أن يَسْتَخْلِفُ عَلَى ضَعْفَةِ النَّاسِ رَجُلًا مِنْهُمْ⁶.

واتخذ الخلفاء الراشدون حُجَابَهُمْ من مواليتهم، فكان حاجب أبي بكر مولاه رشيد،
وحاجب عمر مولاه يرفأ، وحاجب عثمان مولاه حمران بن أبان (ت75هـ)، وحاجب عليّ
مولاه قنبر⁷.

ومما يؤكد ذلك أيضاً أنّ أبا بكر كان يسوّي في العطاء تسوية تامة، حتى بين الحر
والعبد والمرأة والأمة، جاء عن عائشة (ت59هـ): قَسَمَ أَبِي الْفَيْءَ عَامَ أَوَّلٍ، فَأَعْطَى الْحُرَّ
عَشْرَةَ، وَالْمَمْلُوكَ عَشْرَةَ، وَالْمَرْأَةَ عَشْرَةَ، وَأُمَّتَهَا عَشْرَةَ، ثُمَّ قَسَمَ الْعَامَ الثَّانِي فَأَعْطَاهُمْ عَشْرِينَ
عَشْرِينَ⁸. وجاء عن أسلم مولى عمر (ت80هـ): وَلِيَ أَبُو بَكْرٍ قَسَمَ بَيْنَ النَّاسِ بِالسُّوِّيَّةِ، فَقِيلَ

¹ الواقدي، فتوح ج1ص102. الطبري، تاريخ ج3ص576. الكلاعي، الاكتفاء ج2ص501.

² الطبري، تاريخ ج3ص377، وانظر أيضاً: ج3ص415.

³ الواقدي، الردة ج1ص51. ابن سعد، الطبقات ج4ص50.

⁴ هم أبناء دهاقين الفرس والنسبة إليهم (بنوي). الخوارزمي، مفاتيح ج1ص140.

⁵ الطبري، تاريخ ج3ص323. ابن خلدون، تاريخ ج4ص271. قطب، سيد، العدالة ص198-199. جواد، علي، المفصل
ج7ص193.

⁶ الطبري، تاريخ ج3ص415.

⁷ ابن حبيب، المحبر ج1ص258-259. البلاذري، أنساب ج5ص558.

⁸ ابن سعد، الطبقات ج4ص144. البلاذري، أنساب ج10ص81. البيهقي، السنن ج6ص567.

لَأَبِي بَكْرٍ: يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ لَوْ فَضَّلْتَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ، فَقَالَ: " أَشْتَرِي مِنْهُمْ شِرْيًّا، فَأَمَّا هَذَا الْمَعَاشُ فَالْأَسْوَأُ فِيهِ خَيْرٌ مِنَ الْأَثَرَةِ "1.

وعندما ضرب ابن عمرو بن العاص قبضياً، عاقبه عمر بن الخطاب وقال قولته المشهورة "مذكم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً"2، وجاء عن جابر بن عبد الله (ت78هـ)، أن عمرًا قال "أبو بكر سيدنا وأعتق بلالاً سيدنا"3 ولكن بلال ظل يحفظ لمولاه حق الولاء، فلم يخرج من المدينة إلى الشام حتى استأذنه، وعُرف بـ"بلال مولى أبي بكر"4 وعندما بعث عمر بعزل خالد بن الوليد (ت21هـ)، ومساءلته عن المال الذي اختص به الأشعث بن قيس (ت40هـ)، تردد أبو عبيدة في تنفيذ العزل والمساءلة، فقام بلال إليه، قائلاً: إن أمير المؤمنين أمر فيك بكذا وكذا، ثم تناول قلنسوته فعقله بعمامته وقال: ما تقول! أمن مالك أم من إصابة؟ قال: لا بل من مالي، فأطلقه وأعاد قلنسوته ثم عممه بيده، ثم قال: نسمع ونطيع لولايتنا، ونفخم ونخدم موالينا"5.

ورأيناه يعين عمار بن ياسر (ت37هـ) وابن مسعود (ت32هـ)، على الكوفة سنتين من الزمن⁶، وهما من أبرز المستضعفين، ولم يُعرف عنهما خبرة في إدارة ولايات الدولة، وكان هذا التعيين، على غير عادة عمر في تعيين رجال أشداء، ذوي خبرة في إدارة الدولة، بغض النظر عن تدينهم وتقواهم⁷، وقد علل عمر تعيينه لعمار بقوله: إِنَّمَا وَلَّيْتُ عَمَّارًا لِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: «وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ»⁸1.

¹ البيهقي، السنن ج6 ص567.

² ابن عبد الحكم، فتوح ج1 ص195. السيوطي، حسن ج1 ص578.

³ ابن سعد، الطبقات ج3 ص175، ج7 ص270. البخاري، صحيح ج5 ص27. البلاذري، أنساب ج1 ص156، ج10 ص56. ابن عبد ربه، العقد ج5 ص15.

⁴ ابن سعد، الطبقات ج3 ص174، ج7 ص270. ابن حبيب، المحبر ج1 ص71، 73، 288. البلاذري، أنساب ج1 ص526.

⁵ الطبري، تاريخ ج4 ص67. مسكويه، تجارب ج1 ص367. ابن الجوزي، المنتظم ج4 ص230.

⁶ قال البلاذري: وكانت ولاية عمار على الكوفة سنة وتسعة أشهر. البلاذري، فتوح 274.

⁷ شكاً أشرف الكوفة عماراً، وقالوا ضعيف لا علم له بالسياسة فعزله. البلاذري، فتوح 274.

⁸ القرآن، القصص 28.

وجعل عمر "الديوان موضوعاً على دعوة العرب في ترتيب الناس فيه معتبراً بالنسب، وتفضيل العطاء معتبراً بالسابقة في الإسلام" حسب تعبير الماوردي (ت450هـ)²، فلم يساوِ عمر في العطاء بين الناس، وجاء عنه أنه كان يحلف "وَاللَّهِ مَا مِنْ الْمُسْلِمِينَ أَحَدٌ إِلَّا وَلَهُ فِي هَذَا الْمَالِ نَصِيبٌ إِلَّا عَبْدًا مَمْلُوكًا"³ ربما لأن العبد وما في يده ملك لسيده فهو لا يملك استقلاً، وذلك أن سيده يأخذ فريضته، فإن جعل للمملوك أجراً، صار ذلك ملكاً لمولاه أيضاً، فيصير له فريضتان⁴.

وعندما قسم عمر بين أهل مكة عشرة عشرة، فأعطى رجلاً، فقيل: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ مَمْلُوكٌ فَقَالَ: رُدُّوهُ، ثُمَّ قَالَ: دَعُوهُ⁵، وروى أنه كان يرزق الناس الرجل والمرأة والمملوك جريبين كل شهر⁶، فيما جعل للموالي مثل مواليتهم، عندما عم بفريضته كل صريح وحليف ومولى، شهد بدرا فلم يفضل أحداً على أحد منهم، بل زاد أسامة بن زيد (ت54هـ) على ولده عبد الله (ت73هـ)⁷، وقيل أنه سوى كل طبقة في العطاء، قويتهم وضعيفهم، عربهم وعجمهم⁸، وجاء أن عمر فرض للناس حتى لم يدع أحداً من الناس إلا فرض له حتى بقيت بقية لا عشائر لهم ولا موالٍ ففرض لهم ما بين المائتين وخمسين إلى ثلاثمائة، ويذكر عبد الله بن الحارث الخزاعي، أن عمر شعر بدنوا أجله، فقام خطيباً، فقال: وَإِنِّي أُقْسِمُ بِاللَّهِ لَئِن بَقِيتُ لَأَجْعَلَنَّ سِفْلَةَ الْمُهَاجِرِينَ فِي الْعَطَاءِ عَلَى الْفَيْنِ الْفَيْنِ "فَلَمْ يَمُكُثْ إِلَّا ثَلَاثًا حَتَّى قَتَلَهُ غُلَامٌ مَغِيرَةٌ"⁹ وكان عمر لا يأذن لسبي بلغ اللحم بدخول المدينة، حتى كتب له المغيرة بن شعبة

¹ البلاذري، أنساب ج 1ص163.الحاكم، المستدرک ج3ص438.

² الماوردي، الأحكام ص223.

³ الشافعي، الأم ج4ص163.البلاذري، أنساب ج10ص350.

⁴ ابن زنجويه، الأموال ج2ص542.

⁵ أبو يوسف، الخراج ص57.ابن سعد، الطبقات ج3ص229.البلاذري، أنساب ج10ص352.

⁶ ابن سعد، الطبقات ج3ص231، ج6ص198.البلاذري، فتوح ص442.

⁷ ابن سعد، الطبقات ج4ص52.البخاري، صحيح ج5ص63.البلاذري، فتوح ص438.البيهقي، سنن ج6ص567.قيل لعمر، عندما زاد أسامة على ولده عبد الله: لَوْ زِدْتِ عَبْدَ اللَّهِ بَنَ عَمْرٍ فَإِنَّهُ ابْنُكَ وَهُوَ لِذَلِكَ مُسْتَحَقٌّ، فَقَالَ: هَذَا تَبْتُ أَبُوهُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَلَمْ يَنْبُتْ أَبُو هَذَا. وكان عمر ممن انكشف يوم أحد. البلاذري، أنساب ج10ص300، 304.

⁸ ابن أبي شيبة، مصنف ج7ص438.البلاذري، فتوح ص442.المبرد، الكامل ج4ص11.الطبري، تاريخ ج3ص614.

⁹ ابن سعد، الطبقات ج3ص231.

فأقنعه بإدخال غلامه أبي لؤلؤة، وكان يفرض الخراج على الرقيق، ولكنه عندما رأى شيخاً من أهل الذمة يقوم على أبواب الناس يسألهم قال: ما أنصفناك، أخذنا منك الخراج شاباً فلماً كبرت خذناك، فأجرى عليه قوته من بيت مال المسلمين¹.

وعندما قدم سالم مولى أبي حذيفة (ت12هـ) إلى المدينة مع المهاجرين من مكة، أمهم في الصلاة في قباء، لأنه كان أكثرهم قرأناً، وفيهم عمر وأبو سلمة، وهذا ينقض ما جاء عن سلمان حول منع إمامة الموالي للعرب في الصلاة²، وكان سالم صاحب راية المهاجرين في معركة اليمامة، وهو يُذكر في الأنصار في بني عبيد أيضاً، لعنق ثبيته بنت يعار الأنصارية إياه، ولم يكن يُعرف نسبه، فكان يُقال سالم من الصالحين³.

ورغم ما في العبارة المنسوبة لعمر عن استخلاف سالم، هذا، لو كان حياً، غداة طعنه، من تبسيط، إلا أن عمر أوكّل تنفيذ عملية الشورى بين كبار المهاجرين الستة، للأنصار والموالي، فقد عين صهيب لكي يصلي بالناس، وهو من صلى على عمر، حينما فارق الحياة⁴، ولعل مرد ذلك كون صهيب، حسب تعبير عمر "رجل من الموالي لا ينازعك أمرم"⁵.

وقال عمر للمقداد "إذا وضعتُموني في حُرّيّتي فأجمع هؤلاء الرهط في بيت حتى يختاروا رجلاً منهم"⁶ وعندما اقترب داهيتي العرب عمرو بن العاص (ت43هـ) والمغيرة بن شعبة (ت50هـ)، من موقع الشورى، طردهما سعد بن أبي وقاص (ت55هـ)⁷، رغم الشرف الذي حظيا به، وجاء أن عبد الرحمن بن عوف (ت32هـ) استشار رعاك الناس وضعفاءهم،

¹ ابن سعد، الطبقات ج3ص266. البلاذري، أنساب ج8ص204، ج10ص365، 381، 421. الصدوق، من لا يحضره

ج3ص462. ابن الأثير، أسد ج5ص372. يعقوب، أحمد مصطفى، قنبر ص12.

² ابن سعد، الطبقات ج1ص175. البلاذري، أنساب ج9ص272.

³ ابن سعد، الطبقات ج1ص175، ج2ص268، ج3ص63-64، ج4ص68. البلاذري، أنساب ج9ص374-375.

⁴ ابن سعد، الطبقات ج3ص172. البلاذري، أنساب ج1ص184، ج5ص507. ابن عبد البر، الاستيعاب ج2ص729.

⁵ ابن قتيبة، الإمامة ص40. ملحم، عدنان، المؤرخون ص86.

⁶ ابن سعد، الطبقات ج7ص94. الطبري، تاريخ ج4ص229. ابن عبد ربه، العقد ج5ص28.

⁷ الطبري، تاريخ ج4ص230. الوزير، زيد، الفردية ص161. وانفرد البلاذري بالقول أن عمر رفض إدخال عمرو بن

العاص في الشورى. ملحم، عدنان، المؤرخون ص87.

فيمين استشار¹، وهذا كله يوحى بالمستوى الذي عاشه كثير من الموالي، وهو مستوى رفيع، لكنه لم يصل حدّ قيادة الدولة، ولا تقرير مصيرها.

وقد أخذ عليّ يؤكد على ولاء العقيدة، عندما صرّح أنّ "الولاء بمنزلة الحلف، أقرّه حيث جعله الله² وسأوى بين السابقة واللاحق، في الكوفة، عندما أعاد ترتيب أسباعها، حيث كان مقاتلها مقسمون على أسباع، فجعل كل سبع في ستة آلاف من المقاتلة، ممّا أنصف اللواحق الذين هاجروا إليها بعد الفتح، وجلهم من اليمانية المستضعفين، وكانوا منذ عهد عمر، وطوال عهد عثمان، مضغوطين في سبعين اثنين، كل سبع اثنين عشر ألفاً³.

وأكدت كثير من المصادر أنّ عليّاً ساوى في العطاء بين السادة والموالي⁴، فسأوى بين عربية ومولاتها، وبين أنصاري ومولاه، رغم استنكار العربية والأنصاري، وقد رد عليهما قائلاً "إني نظرت في كتاب الله عزّ وجلّ فلم أر فيه فضلاً لولد إسماعيل على ولد إسحاق"⁵ قال الشافعيّ (ت205هـ): "وسوّى عليّ بن أبي طالب بين الناس، وهذا الذي اختار"⁶.

ويبدو أنه كان لهذه التسوية عند عليّ أكبر دور في انتفاض قريش في الجمل (36هـ) وصفين (37هـ)، ثمّ الخوارج (37-40هـ) ضده، وهذا ما يدلّ عليه قول طلحة لعليّ "إنك جعلت حقنا في القسم كحق غيرنا، وسوّيت بيننا وبين من لم يماثلنا في ما أفاء الله علينا

¹ ابن قتيبة، الإمامة ص43. ملحم، عدنان، المؤرخون ص89.

² الشافعي، مسند ج1ص204. عبد الرزاق، مصنف ج9ص3.

³ جودة، جمال، الرواية ص8-10. ياسين، نجمان، العطاء ص204.

⁴ زيد، المجموع ص223. ابن أعم، الفتوح ج3ص284. الطحاوي، شرح معاني ج3ص309. ابن عبد ربه، العقد ج1ص352. الماوردي، الأحكام ص299. البيهقي، سنن ج6ص567. ابن أبي الحديد، شرح ج8ص833. المجلسي، بحار ج3ص5-6. زكار، سهيل، هامش أنساب الأشراف للبلخاري ج3ص29. جودة، جمال، الأوضاع ص136، 195. ياسين، نجمان، العطاء ص202. ناقش بن أبي الحديد هذا الأمر في باب كامل تحت عنوان "ومن كلام لعليّ لما عوتب التسوية في العطاء، وتصويره الناس أسوة في العطاء من غير تفضيل أولي السابقات والشرف" ابن أبي الحديد، شرح ج8ص833.

⁵ البيهقي، سنن ج6ص567. الكاندهلوي، حياة ج349، 479. جودة، جمال، الأوضاع ص137.

⁶ البيهقي، سنن ج6ص567.

بأسيافنا¹ فرد عليّ قائلاً " سبق إلى الإسلام قوم نصروره بسيوفهم ورماحهم فلم يفضلهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في القسم، ولا آثرهم بالسبق"².

وكان ابن عباس (ت68هـ) كتب للحسن بن عليّ (ت49هـ) عندما تولى الأخير خلافة عليّ، يحذره التسوية في العطاء قائلاً "أن أباك علياً إنما رغب الناس عنه، وصاروا إلى معاوية لأنه واسبى بينهم في الفياء، وسوى بينهم في العطاء، فقتل ذلك عليهم"³.

وجاء عن زيد بن عليّ (ت122هـ): "ما نقموا من عليّ غير العدل في القضية والقسم بالسوية"، وذلك أن طلحة والزبير أتيا ومعهما موليان لهما، وحضر العطاء فأعطاهما وأعطى الموليين كما أعطى السيدين فغضب طلحة والزبير فنكثا البيعة، ولعل هذا وغيره يفسر تفاقم أزمة الخوارج، خاصة أن معظمهم من القبائل الشمالية الفاتحة، والتي كانت مستفيدة من امتيازات عمر وعثمان⁴.

وذكر البلاذري (ت279هـ)، أن علياً أتى بمنبوذ فأثبته في مائة⁵، وعندما طعن عليّ أوصى لثلاثة من مواليه، في تركته مع أولاده، ومما جاء في وصيته، بعد طعنه "اللّٰه الله في الفقراء والمساكين فأشركوهم في معاشكم، ووالله الله فيما ملكت أيمانكم، فإن آخر ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: أوصيكم بالضعيفين اليتيم ومما ملكت أيمانكم"⁶ وجاء عن ميسرة بن عزيز الكندي: توفّي مولى لي وترك ابنةً فأتينا عليّاً فأعطاني النصف وأعطى الابنة النصف⁷، وكان عليّ يقبل شهادة المملوك إذا كان عدلاً¹، واتخذ عليّ، ابن النباح مؤذناً،

¹ ابن أبي الحديد، شرح ج8ص709. المجلسي، بحار ج32ص5-6. ياسين، نجمان، العطاء ص202.

² ابن أبي الحديد، شرح ج7ص707-709. المجلسي، بحار ج32ص5-6.

³ ابن أعمش، الفتوح ج3ص284. المجلسي، بحار ج32ص5-6. زكار، سهيل، هامش أنساب الأشراف للبلاذري ج3ص29.

⁴ زيد، مجموع ص223. جودة، جمال، الرواية ص14. ولكن الغريب أن مولاة عبد الله بن مسعدة الفزاري، كان من ضمن من تركه وشارك في غارات معاوية، علماً أن ابن مسعدة كان من سبي فزارة، وتربى صغيراً في حجر فاطمة حيث أعتقه. البلاذري، أنساب ج2ص449، ج13ص190.

⁵ البلاذري، فتوح 442.

⁶ الإفريقي، المحن ج1ص101. الإصفهاني، مقاتل ص52. ابن كثير، البداية ج7ص363.

⁷ ابن سعد، الطبقات ج6ص246. المبرد، الكامل ج3ص152.

وكان عبداً، فساعده على المكاتبه، جاء عنه: كَاتَبْتُ، فَأَتَيْتُ عَلِيًّا فَقُلْتُ إِنِّي قَدْ كَاتَبْتُ، فَقَالَ: هَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ؟ فَقُلْتُ: لَا، فَقَالَ: اجْمَعُوا لِأَخِيكُمْ²، وكان عليّ في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم «بَاعَ جَارِيَةً، وَوَلَدَهَا، فَفَرَّقَ بَيْنَهُمَا، فَهَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ذَلِكَ»³.

وعقد عليّ في صفين (37هـ) لواءً لغلامه قنبر⁴، ممّا دفع خصمه معاوية أن يعقد لواءً لغلامه وردان⁵، وكان تعداد أهل الكوفة وقتها 65 ألفاً، منهم ثمانية آلاف عبد ومملوك، ممّا يشير لاشتراكهم في القتال، والعدد اللافت الذي وصلوه⁶.

وولّى عليّ، زياد بن سمية (ت53هـ)، بلاد فارس، وكان بالأصل عبداً، وقد تمتع بقدرات فائقة، فاستغل معاوية، كون زياد أخاه من أبي سفيان (ت30هـ) في زنا الجاهلية، فاستدرجه لصالحه فيما بعد، وجمع له العراقيين، ممّا يدل على مدى تطور وضع الموالي، وقد دفع هذا التطور، زياداً أن يشتري أمه سمية، ويعتقها، ثمّ طمح بالزواج من ابنة سعيد بن العاص (ت59هـ)، لكن الأخير ذكره بأصله، عندما ردّ عليه قائلاً (إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ) (6) أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْنَى⁷ وكان زواج الموالي من العربيات محدوداً، خاصة موالي العنقاة، رغم أن بلال تزوج عربية⁸، وكان سلمان قال: ولا ننكح نساءكم، يقصد العرب⁹.

وجعل عليّ لعمار بن ياسر (ت37هـ) مكانة بارزة في كل حروبه، فكان ذراعه الأيمن، وقد أمره على الخيالة، حتى أنه أوفده مع ولده الحسن لاستتفار أهل الكوفة قبيل الجمل،

¹ ابن حزم، المحلى ج8ص502. الزيلعي، تبيين ج4ص227. جاء عن عليّ أنه قال للقاضي شريح "وما بأس بشهادة المملوك إذا كان عدلاً؟!" الخوئي، أبو القاسم، مباني ج1ص126.

² ابن سعد، الطبقات ج6ص251. الأصفهاني، مقاتل ص53.

³ الحاكم، المستدرک ج2ص63.

⁴ قتله الحجاج في زمن ولايته صبراً. العياشي، تفسير ج1ص359.

⁵ الطبري، تاريخ ج4ص563. ابن الجوزي، المنتظم ج5ص101.

⁶ البلاذري، أنساب، ج3ص48. الطبري، تاريخ ج5ص80.

⁷ ابن سعد، الطبقات ج7ص69-70. ابن عبد ربه، العقد ج7ص107.

⁸ قيل أنها من بني زهرة، وقيل أنها خولانية من داريا. ابن سعد، الطبقات ج3ص180، ج4ص68. ابن عساکر، تاريخ ج70ص193.

⁹ ابن سعد، الطبقات ج3ص180، ج4ص68. ابن عساکر، تاريخ ج70ص193.

حيث أعطى أثراً فاعلاً، ربما أكثر ممّا أعطى الحسن¹، ممّا يشير للمكانة التي بلغها كثير من الموالى في الدولة الإسلامية، ولعل الأثر الذي ترتب على استشهاد عمار في صفين، عندما استذكر كلا الطرفين حديث الرسول صلى الله عليه وسلم المتواتر "تقتل عماراً الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة، ويدعونهم إلى النار"² هذا الأثر يوحى أيضاً بمدى سموّ هذه المكانة، لكنها ظلّت محفوفة بآثار الجاهلية، ويتضح ذلك من رد أحد رجال بني مخزوم على عمار، وهم مواليه، حينما دعا لاستخلاف عليّ، غداة شورى عمر، فقال له المخزومي: لقد عدوت طورك يا ابن سُميَّة، ومَا أَنْتَ وَتَأْمِيرُ قُرَيْشٍ لِأَنْفُسِهَا؟!³.

وكان عهد عثمان انتهى بثورة عارمة⁴، وقد رأى عليّ وحذيفة بن اليمان (ت35هـ)، أن عثمان "استأثر فأساء الأثرة" وأن الثوار "جزعوا فأساؤوا الجزع"⁵ وقد شكّل روادف الكوفة ولواحقها مادتها الرئيسية، وكان جلهم من اليمانية، الذين شكّلوا مع الزمن الطبقة الفقيرة، في ظل الامتيازات التي حازها الفاتحون الأوائل، وغيرهم من القرشيين، حتى وصل الحدّ بوالي عثمان، سعيد بن العاص (ت59هـ)، أن يقول لأهل الكوفة "إِنَّ هَذَا السَّوَادَ، بُسْتَانٌ لِقُرَيْشٍ"⁶ وشبيه بذلك ما قاله مروان بن الحكم (ت64هـ) للثوار "جِئْتُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَنْزَعُوا مُلْكَنَا مِنْ أَيْدِينَا!"⁷.

¹ خليفة، تاريخ ص184. وكان ابن عباس فشل في إخراج أهل الكوفة، فبعث عليّ عماراً، فأخرجهم. ابن أبي شيبة، مصنف ج7 ص545.

² ابن حنبل، مسند ج11 ص42، 43، 96، 522، 523، ج17 ص53، 54، 257، 319، ج18 ص97، 368، ج29 ص301، 316، ج30 ص245، ج37 ص297، 298، ج39 ص479، ج44 ص83، 189، 255، 280. البخاري، صحيح ج1 ص97، ج4 ص21. مسلم، صحيح ج4 ص2236. ابن حجر، فتح ج1 ص543.

³ الطبري، تاريخ ج4 ص233. ابن عبد ربه، العقد ج5 ص31. ملحم، عدنان، المؤرخون ص87.

⁴ رأى مفكر معاصر هو سيد قطب، في الثورة على عثمان "فورة من روح الإسلام... اختلط فيها الحق بالباطل، والخير بالشر" قطب، سيد، العدالة ص216. ورأى فيها المحدث حسن المالكي، أنها "لو لم تنته بمقتل عثمان، لكانت من أفضل المعارضات المدنية". المالكي، حسن، قراءة ص65.

⁵ البلاذري، أنساب ج5 ص579. عليّ، نهج ج1 ص76.

⁶ سيف، الفتنة ص45. ابن سعد، الطبقات ج5 ص24. البلاذري، أنساب ج5 ص529.

⁷ الطبري، تاريخ ج4 ص362. مسكويه، تجارب ج1 ص448. ابن كثير، البداية ج7 ص193.

وكان أشد الناس على عثمان أنباط يثرب وعبيدها، وعدة من قبائل الحجاز¹، فيما وقف كثير من موالي بني أمية وبني هاشم يدافعون عن عثمان، وقد قُتل معه ثلاثة أعبد، وقد أدى هذا التمرد لمقتل عثمان بصورة محزنة، وكان شيخاً طاعناً في السن، وجاء هذا القتل على كره من قادة الثورة، ولكن الأمور كانت قد خرجت عن السيطرة، في ظل حصار دام عدة أسابيع².

نخلص ممّا سبق، أنّ السبي استمر في الدولة الإسلامية، ولم يتم فيها منع العبودية، ولا إزالة الفوارق بين السيد والمولى، إلّا أنّ الأمر الذي يُحسب للإسلام، بلا منازع، أنّه أرسى دعائم المساواة في عبادة الله، فالسيد والعبد سواء في ذلك، فالإسلام وإن لم يمنع الرق، ولا حرّمه، إلّا أنّه جعل العبد في صف واحد مع سيده في الصلاة، يؤديان حركات واحدة، في مكان واحد، خمس مرات في اليوم، ولعل هذا الأمر، وغيره، ساهم بقوة في التأسيس لتغيير جوهرى في وضع الموالي والعبيد اجتماعياً، وعلى كثير من الصعد الأخرى³.

وقد استمر وضع العبيد والموالي يتحسن في ظل الدولة الإسلامية، وهو تحسن لامس جوانب عديدة من حياتهم، خاصة الاقتصادية منها، وهو ما نلمسه بوضوح في قول عمّار بن ياسر لعمر بن العاص في صفين (37هـ): "كنت وضيعاً فرفعني الله، ومملوكاً فأعتقني الله، وضعيفاً فقواني الله، وفقيراً فأغناني الله"⁴، وممّا يؤكد ذلك عملياً، ما ذكره ابن أبي شيبة الكوفي (ت235هـ)، أنّه لما نزل عليّ بذي قار، قبيل الجمل (36هـ) "أرسل ابن عباس إلى الكوفة

¹ زيد، مجموع ص223. البلاذري، أنساب ج5ص593. الطبري، تاريخ ج4ص437-438، 448. ابن عبد ربه، العقد ج5ص51.

² البلاذري، أنساب ج5ص85. الطبري، تاريخ ج4ص415. أنظر: الوزير، زيد، الفردية ص187-191.

³ إن موالي العتاقة والإسلام كانوا المسؤولون عن الأعمال التجارية، والمهن اليدوية وإقامة الأسواق، وأمور الصيرفة والنقد، وإشغال معظم الوظائف الإدارية في الدواوين، كما انخرطوا بشكل ملحوظ في صفوف الشرطة والحرس والجيش، وعملوا كتبة لمواليهم وامتلكوا الضياع، وهذا يشير إلى أنّ وضعهم الاقتصادي كان جيداً، بل إنه كان أفضل من وضع العرب، وممّا يؤكد هذا عدم وجود روايات صحيحة تشير إلى سوء حالتهم الاقتصادية. جودة، جمال، الأوضاع ص141-142، 213.

⁴ ابن مزاحم، صفين ج5ص338.

فأبطأوا عليه، ثم أتاهم عمّار فخرجوا¹، وما جاء أنه: كَانَ أَنَسٌ يَأْتُونَ بِلَالًا، فَيَذْكُرُونَ فَضْلَهُ وَمَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ، فَكَانَ يَقُولُ: «إِنَّمَا أَنَا حَبَشِيٌّ، كُنْتُ بِالْأُمْسِ عَبْدًا»².

لكن أصل العبودية والولاء ظل جائماً على صدورهم، وإن بنسب مختلفة، ويعكس ذلك بعمق ما قاله رجل من بني تميم لعمّار بن ياسر في أواخر العهد الراشدي، حينما أخذ عمّار بإقناع أهل الكوفة للنفير مع عليّ يوم الجمل (36هـ): "أسكت أيها العبد أنت أمس مع الغوغاء واليوم تسافه أميرنا"³ وما جاء على لسان أبي البخترى الطائي (ت83هـ) لَمَّا كَانَ يَوْمَ الْجَمَاجِمِ (82-83هـ) حيث أَرَادَ الْقُرَاءُ أَنْ يُؤَمَّرُوا عَلَيْهِمْ أَبَا الْبَخْتَرِيِّ، فَقَالَ لَهُمْ: "لَا تَفْعَلُوا فَإِنِّي رَجُلٌ مِنَ الْمَوَالِي فَأَمَّرُوا عَلَيْكُمْ رَجُلًا مِنَ الْعَرَبِ"⁴، يعكس هذا القول وفي ذلك الوقت، حيث الحرب، والحديث هنا عن (القرّاء) ما استقرت عليه أحوال الموالي بعد أربعين عاماً من العهد الراشدي.

إنّ ذلك يعني أنّ الموالي كما العبيد، تعرضوا لاستضعاف دائم، طالما أنّهم لم يخرجوا من دائرة التعامل معهم وفق أصل مكانتهم الدونية هذه، ولعل استقرار القبائل الفاتحة في الأمصار، جعلها لا تعيش التحول الذي أجراه الرسول صلى الله عليه وسلم، من ولاء الحلف إلى ولاء العقيدة في الحجاز، حيث نقلت هذه القبائل نظرتها القبلية إلى مؤسسة الولاء التي كانت قبل الإسلام، وجاء ظهور العصبية العربية، وتحديد كلمة ولاء على غير العرب، نتج عن ذلك أنّ تستقر النظرة العربية إلى الموالي، نظرة انعدمت فيها المساواة.

¹ ابن أبي شيبة، مصنف ج8ص720.

² ابن سعد، الطبقات ج3ص238. ابن عساکر، تاريخ ج10ص74.

³ سيف، الفتنة ص140.

⁴ ابن سعد، الطبقات ج6ص296. الذهبي، تاريخ ج6ص14.

نتائج الدراسة

خرجت الدراسة بعدد من النتائج، أهمها:

- ظلّت النظرة الاجتماعية للعبيد السابقين والموالي لدى المسلمين، تتأثر نسبياً بالماضي الجاهلي.
- استمرت ذبول الاستضعاف في الدولة الإسلامية، خاصة أنّها مارست السبي، ولم تلغ الرق والعبودية، ولكنها عملت على تخفيف مساوئه، وفتحت أبواباً كثيرة للعتق.
- تعرض آل البيت النبوي والأنصار، لاستضعاف سياسيّ قرشيّ، بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وسلم، عندما تم تجاهلهم في قضية الخلافة، وفي تولي المسؤوليات والفتوح، ولكنّ مكانتهم الاجتماعية والروحية والاستشارية بقيت محفوظة على وجه العموم.
- رفع الإسلام من شأن المستضعفين في العديد من الجوانب الاجتماعية، عندما أكدّ على أنّ العبودية في النتيجة تكون لله وحده، وأنّ الجميع متساوون في عبوديتهم لله.
- ساوى الإسلام عموماً بين الأحرار، الصرحاء منهم أو الموالي، أمام القانون والعرف والشريعة، وهذا لم يكن قبل الإسلام.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

التوراة

الانجيل

ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد الشيباني (ت 630هـ): **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، 8ج، تح علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ/1994م.

الكامل في التاريخ، 10ج، تح عمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1417هـ/1997م.

ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني (ت 606هـ): **النهاية في غريب الحديث والأثر**، 5ج، تح طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ / 1979م.

الأجزي، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي (ت 360هـ): **الشرعية**، 5ج، تح عبد الله بن عمر بن سليمان الدميحي، دار الوطن، الرياض، ط2، 1420هـ/1999م.

ابن أحمد، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي البصري (ت 170هـ): **العين**، تح مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، 8ج، د م، ط، د ت.

أرسطو، طاليس (ت 322 ق.م): **السياسة**، ترجمة أوغسطينس بربارة البولسي، اللجنة الدولية لرعاية الروائع الإنسانية، بيروت، ط، 1957م.

الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن الوليد بن الأزرق الغساني المكي (ت 250هـ): **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**، 2ج، تح رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس للنشر، بيروت، ط، د ت.

الأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت 370هـ): تهذيب اللغة، 8ج،
تح محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م.

الاستانبولي، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي (ت 1127هـ): روح البيان،
دار الفكر، بيروت، ط1، 2001م.

ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبلي، المدني (ت 151هـ): سيرة ابن إسحاق = كتاب
السير والمغازي، تح سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط1، 1398هـ / 1978م.

الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران (ت 430هـ):
حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، 10ج، السعادة، محافظة مصر، 1394هـ / 1974م.

الاصطخري، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي، المعروف بالكرخي (ت 346هـ):
المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، ط1، 2004م.

الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين المرواني الأموي (ت 356هـ): مقاتل الطالبين، تح
أحمد صقر، دار المعرفة، بيروت، ط1، 2004م.

ابن أعمش، أبو محمد أحمد الكوفي (314هـ / 926م): الفتوح، 8ج، تح علي شيري، دار
الأضواء، بيروت، ط1، 1414هـ / 1991م.

الإفريقي، أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم التميمي المغربي (ت 333هـ): المحن، تح عمر
سليمان العقيلي، دار العلوم، الرياض، ط1، 1404هـ / 1984م.

أفلاطون، أريستون (ت 348 ق.م): جمهورية أفلاطون، ترجمة حنا خباز، دار القلم، بيروت،
ط1، 1969م.

البخاري، محمد بن إسماعيل، أبو عبدالله البخاري الجعفي (ت 256هـ): التاريخ الأوسط،
2ج، تح محمود زايد، دار التراث، حلب، ط1، 1397هـ / 1977م.

الأدب المفرد بالتعليقات، تح سميير بن أمين الزهيري، مكتبة المعارف للنشر
والتوزيع، الرياض، ط1، 1419هـ / 1998م.

صحيح البخاري، 9ج، تح محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1،
1422هـ.

خلق أفعال العباد، تح عبد الرحمن عميرة، دار المعارف السعودية، الرياض، ط1، د.ت.

التاريخ الكبير، 8ج، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، ط1، د.ت.

اليزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خالد بن عبيد الله العتكي (ت 292هـ):
مسند اليزار المنشور باسم البحر الزخار، 18ج، تح محفوظ الرحمن زين الله، وآخرون،
مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط1، بدأت / 1988م، وانتهت 2009م.

ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن إبراهيم اللواتي الطنجي، أبو عبد الله (ت 779هـ): رحلة
ابن بطوطة = تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، 5ج، أكاديمية المملكة
المغربية، الرباط، 1417هـ.

البعلي، أبو عبد الله محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي (ت: 709هـ): المطمع على
ألفاظ المقتع، تح محمود الأرنؤوط وياسين محمود الخطيب، مكتبة السوادي، ط1،
1423هـ/ 2003م.

البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت 1093هـ): خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب، 13ج، تح
عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1418هـ / 1997م.

البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب (ت 463هـ): تاريخ
بغداد، 16ج، تح بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1،
1422هـ/ 2002م.

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي (ت510هـ): معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، 5ج، تح عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1420هـ.

البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي (ت487هـ): المسالك والممالك، 2ج، دار الغرب الإسلامي، د م، د ط، 1992م.

البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت279هـ/892م): أنساب الأشراف، 13ج، تح سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط1، 1417هـ/1996م.

فتوح البلدان، دار الهلال، بيروت، د ط، 1988م.

البليخي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف، الكاتب الخوارزمي (ت387هـ): مفاتيح العلوم، تح إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، د م، ط2، د ت.

بنيامين، الرابي بنيامين بن الرابي يونة التطيلي النباري الإسباني اليهودي (ت569هـ): رحلة بنيامين التطيلي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط1، 2002م.

بويسي، إيتان دو لا (ت971هـ/1563م): العبودية الطوعية، ترجمة عبود كاسوحة، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2008م.

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي الخُسرَوَجَردي الخراساني (ت458هـ): دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، 7ج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1405هـ.

السنن الصغرى، 4ج، تح عبد المعطي أمين قلعجي، جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي، ط1، 1410هـ/1989م.

شعب الإيمان، 14ج، تح عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1423هـ/2003م.

السنن الكبرى، تح محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3،
1424هـ/2003م.

الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرَة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى (ت279هـ): **الجامع
الكبير = سنن الترمذي**، 6ج، تح بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت،
1998م.

تمام، أبو القاسم تمام بن محمد بن عبد الله بن الجنيد البجلي الرازي الدمشقي (ت414هـ):
فوائد، 2ج، تح حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1412هـ.

ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم الحراني الحنبلي الدمشقي (ت728هـ):
الاستقامة، 2ج، تح محمد رشاد سالم، جامعة محمد بن سعود، المدينة المنورة، ط1،
1403هـ.

منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، 9ج، تح محمد رشاد سالم، جامعة
محمد بن سعود، ط1، 1406هـ / 1986م.

حقوق آل البيت، تح عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1406هـ.

الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (ت427هـ): **الكشف والبيان عن تفسير
القرآن**، 10ج، تح الإمام أبي محمد بن عاشور، ونظير الساعدي، دار إحياء التراث
العربي، بيروت، ط1، 1422هـ/2002م.

الثوري، أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي (ت161هـ): **تفسير الثوري**،
دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1403هـ/1983م.

ابن الجارود، أبو محمد عبد الله بن علي بن الجارود النيسابوري (ت307هـ): **المنتقى من
السنن المسندة**، تح عبد الله عمر البارودي، مؤسسة الكتاب الثقافية، بيروت، ط1،
1408هـ/1988م.

ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير، محمد بن محمد بن يوسف (ت 833هـ): **مناقب علي بن أبي طالب**، تح طارق الطنطاوي، مكتبة القرآن، ط1، 1994م.

ابن الجعد، علي بن الجعد بن عبيد الجوهري البغدادي (ت 230هـ): **مسند ابن الجعد**، تح عامر أحمد حيدر، مؤسسة نادر، بيروت، ط1، 1410هـ/1990م.

ابن جعفر، أبو إسحاق إسماعيل بن جعفر الأنصاري الزرقي مولا هم المدني (ت 180هـ): **حديث علي بن حجر السعدي عن إسماعيل بن جعفر المدني**، تح عمر السفياني، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، شركة الرياض للنشر والتوزيع، ط1، 1418هـ/1998م.

ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت 392هـ): **الخصائص**، 3ج، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د م، ط4، د ت.

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت 597هـ): **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**، 19ج، تح محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1412هـ/1992م.

تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط1، 1997م.

الجوهري، أبو بكر أحمد بن عبد العزيز البصري (ت 323هـ): **السقيفة وفدك**، تح محمد هادي الأميني، شركة الكتبي، بيروت، ط2، 1993م.

ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد التميمي، الحنظلي، الرازي (ت 327هـ): **الجرح والتعديل**، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1271هـ/1952م.

تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ط3، 1419هـ.

الحاكم، ابن البيع أبو عبد الله محمد بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري (ت 405هـ):
المستدرک علی الصحیحین، 4ج، تح مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية،
بيروت، ط1، 1411هـ/1990م.

ابن حبان، محمد بن حبان بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت 354هـ): الثقات،
9ج، تح محمد عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط1، 1393هـ/
1973م.

صحيح ابن حبان، 18ج، تح شعيب الأرنؤوط، الرسالة، بيروت، ط1، 1408هـ/1988م.
ابن حبيب، محمد بن حبيب بن أمية الهاشمي، بالولاء، أبو جعفر البغدادي (ت 245هـ): المنمق
في أخبار قریش، تح خورشيد أحمد فاروق، الناشر: عالم الكتب، بيروت، ط1،
1405هـ/1985م

المحبر، تح إيلازة ليختن شنتير، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1، د ط، د ت.

ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت 852هـ): فتح الباري شرح صحيح
البخاري، 13ج، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ.

الإصابة في تمييز الصحابة، 8ج، تح عادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت،
ط1، 1415هـ.

لسان الميزان، 10ج، تح عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، ط1، 2002م.

ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله بن أبي الحديد عز الدين المدائني (ت 655هـ) شرح نهج
البلاغة، علي صراط الحق. www.iraqcenter.net/vb/37556.html

ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت 456هـ): جوامع
السيرة النبوية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، د ط، د ت.

المحلى بالآثار 13 ج، دار الفكر، بيروت، ط 1، د ط 2.

ابن حماد، أبو عبد الله نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي المروزي (ت 228هـ):

كتاب الفتن، 2 ج، تح سميير أمين الزهيري، مكتبة التوحيد، القاهرة، ط 1، 1412هـ.

ابن حمدون، محمد بن الحسن بن حمدون، أبو المعالي، بهاء الدين البغدادي (ت 562هـ):

التذكرة الحمدونية، 10 ج، دار صادر، بيروت، ط 1، 1417هـ.

ابن حميد، أبو محمد عبد الحميد بن حميد بن نصر الكشي، الكشي (ت 249هـ): المنتخب من

مسند عبد بن حميد، تح صبحي البدري السامرائي، ومحمود محمد خليل الصعيدي، مكتبة

السنة، القاهرة، ط 1، 1408هـ/1988م.

الحميدي، محمد بن فتوح الأزدي الميورقي أبو عبد الله بن أبي نصر (ت 488هـ): تفسير

غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، تح زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، مكتبة السنة،

القاهرة، ط 1، 1415هـ/1995م.

ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد الشيباني (ت 241هـ): فضائل الصحابة، تح وصي الله

عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1403هـ/1983م.

مسند أحمد بن حنبل، تح شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط 1،

1421هـ/2001م.

أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت 745هـ):

البحر المحيط في التفسير، تح صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ط 1، 1420هـ.

الخان، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشحي أبو الحسن (ت 741هـ): لباب

التأويل في معاني التنزيل، تح تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت،

ط 1، 1415هـ.

ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن بكر السلمى النيسابوري (ت 311هـ):
صحيح ابن خزيمة، 4ج، تح محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1،
د ت.

الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي (ت 388هـ): **غريب
الحديث**، 3ج، تح عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، وخرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب
النبي، دار الفكر، د م، ط، 1402هـ / 1982م.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (ت 808هـ):
ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح
خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط2، 1408 هـ/ 1988 م.

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر البرمكي الإربلي (ت 681هـ): **وفيات
الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، 7ج، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، د ت.

خليفة، أبو عمرو بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري (ت 240هـ): **تاريخ خليفة
بن خياط**، تح أكرم ضياء العمري، دار القلم ، دمشق، ط2، 1397هـ.

طبقات خليفة بن خياط، تح سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د م،
ط، 1414هـ/ 1993م.

الخوارزمي، ناصر بن عبد السيد بن علي، أبو الفتح، برهان الدين المَطَرَزِيّ (ت 610هـ):
المغرب في ترتيب المغرب، دار الكتاب العربي، د م، ط، د ت.

الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر بن النعمان بن دينار البغدادي (ت 385هـ): **سنن
الدارقطني**، 5ج، تح شعيب الارنؤوط، وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1،
1424هـ/ 2004م.

أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن عمرو الأزدي السَّجِسْتَانِي (ت 275هـ): سنن أبي داود، 4ج، تح محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط، د.ت.

ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت 321هـ): **جمهرة اللغة**، 3ج، تح رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1415هـ/1987م

الاشتقاق، تح عبد السلام محمد هارون، دار الحيل، بيروت، ط1، 1411هـ/1991م.

الدميري، محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري، أبو البقاء (ت 808هـ): **حياة الحيوان الكبرى**، 2ج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1424هـ.

الدولابي، أبو بشر محمد بن أحمد بن مسلم الأنصاري الدولابي الرازي (ت 310هـ): **الذرية الطاهرة النبوية**، تح سعد المبارك الحسن، الدار السلفية، الكويت، ط1، 1407هـ.

الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت 282هـ): **الأخبار الطوال**، تح عبد المنعم عامر، مراجعة جمال الدين الشيال، دار إحياء الكتب العربي، القاهرة، ط1، 1960م.

الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت 748هـ): **سير أعلام النبلاء**، 18ج، دار الحديث، القاهرة، ط، 1427هـ/2006م.

تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، 52ج، تح عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1413هـ/1993م.

العبر في خبر من غير، 4ج، تح أبو هاجر زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط، د.ت.

الرازي، زين الدين أبو عبد الله بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت 666هـ/1209م): **مختار الصحاح**، تح يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت وصيدا، ط5، 1420هـ / 1999م.

الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي (ت 606هـ):
مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ/
1999م.

ابن راشد، معمر بن أبي عمرو راشد الأزدي مولاها، أبو عروة البصري (ت 153هـ): جامع
معمر، 2ج، تح حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب
الإسلامي، بيروت، ط2، 1403هـ.

ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت 795هـ):
جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، 2ج، تح شعيب الأرنؤوط،
وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط7، 1422هـ/2001م.

الروياتي، أبو بكر محمد بن هارون (ت 307هـ): مسند الروياتي، 2ج، تح أيمن علي أبو
يمان، مؤسسة قرطبة، القاهرة، ط1، 1416هـ.

الزبيدي، محمد بن محمد الحسيني، أبو الفيض، مرتضى، الزبيدي (ت 1205هـ): تاج العروس
من جواهر القاموس، تح مجموعة من المحققين، دار الهداية، دم، ط، د ت.

الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق (ت 311هـ): معاني القرآن وإعرابه، 5ج،
عالم الكتب، بيروت، ط1، 1408هـ/1988م.

الزرقاني، أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن محمد المالكي (ت 1122هـ): شرح
الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، 12، دار الكتب العلمية، دم، ط1،
1417هـ/1996م.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله (ت 538هـ): الكشاف عن حقائق
غوامض التنزيل، 4ج، دار الكتاب العربي، بيروت، ط، 1407هـ.

أساس البلاغة، تح محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1،
1419هـ/1998م.

الفائق في غريب الحديث، 4ج، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط2،
د ت.

ابن زنجويه، أبو أحمد حميد بن مخلد بن قتيبة بن عبد الله الخرساني (المتوفى: 251هـ):
الأموال، تح شاکر ذيب فياض، الملك فيصل للبحوث، السعودية، ط1، 1406 هـ/1986 م.

زيد، ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ت 122هـ): مجموع الرسائل، مؤسسة الإمام
زيد الثقافية، عمان، ط1، د ت.

الزيلعي، عثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدين الزيلعي الحنفي (المتوفى: 743 هـ):
تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشلبي، الأميرية، بولاق، ط1، 1313هـ.

السراج، أبو العباس محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مهران النيسابوري (ت 313هـ): حديث
السراج، 4ج، تخريج زاهر بن طاهر الشحامي (ت 533 هـ) تح أبو عبد الله حسين بن
عكاشة بن رمضان، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط1، 1425هـ/2004م.

السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل (ت 483هـ): المبسوط، 30ج، دار المعرفة، بيروت، د
ط، 1414هـ/1993م.

ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع (ت 230هـ): الطبقات الكبرى، 8ج، تح محمد
عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410هـ/1990م.

ابن سعيد، عليّ ابن سعيد الأندلسي (ت 685هـ): نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، تح
نصرت عبد الرحمن، مؤسسة الأقصى، عمان، ط1، د ت.

ابن سلام، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (ت 224هـ): غريب الحديث،
4ج، تح محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، ط1،
1384هـ/1964م.

السندي، أبو الحسن، محمد بن عبد الهادي التتوي، نور الدين (ت 1138هـ): حاشية السندي على سنن ابن ماجه = كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه، دار الجيل، بيروت، د ط، د ت.

حاشية السندي على سنن النسائي (مطبوع مع السنن) 8 ج، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط2، 1406هـ/1986م.

السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (ت 581هـ): الروض الأتف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، 7 ج، تح عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1421هـ/2000م.

ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: 458هـ): المحكم والمحيط الأعظم، 1 ج، تح عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ/2000م.

ابن سيد الناس، محمد بن محمد بن أحمد، اليعمري الربيعي، أبو الفتح (ت 734هـ): عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، 2 ج، تع إبراهيم محمد رمضان، دار القلم، بيروت، ط1، 1414هـ/1993م.

سيف، ابن عمر الأسدي التميمي (ت 180هـ): الفتنة ووقعة الجمل، اختصار أحمد راتب عرموش، دار النفائس، دم، ط7، 1413هـ/1993م.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت 911هـ): حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، 2 ج، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ط1، 1387هـ/1967م.

اريخ الخلفاء، تح حمدي الدمرداش، مكتبة نزار، دم، ط1، 1425هـ/2004م.

الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس المطلبي القرشي المكي (ت 204هـ): المسند، دار الكتب العلمية، بيروت، مطبعة بولاق الأميرية، الهند، 1400هـ.

الأم، 8ج، دار المعرفة، بيروت، د ط، 1410هـ/1990م.

التفسير، 3ج، تح أحمد الفران، التدمرية، الرياض، د ط، 1427هـ/2006م.

ابن شبة، عمر بن شبة بن عبيدة بن ريطة النميري البصري (ت 262هـ): تاريخ المدينة، تح فهيم محمد شلتوت، طبع على نفقة حبيب محمود أحمد، جدة، د ط، 1399هـ.

الشجري، يحيى بن الحسين بن إسماعيل بن زيد الحسنى الشجري الجرجاني (ت 499 هـ): ترتيب الأمالي الخميسية للشجري، 2ج، رتبها محيي الدين محمد بن أحمد القرشي العيشمي (ت 610هـ) تح محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1422هـ/2001م.

الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت 548هـ): الملل والنحل، 3ج، مؤسسة الحلبي، د م، د ط، د ت.

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليميني (ت 1250هـ): نيل الأوطار، 8ج، تح عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر، ط 1، 1413هـ/1993م.

الشيبياني، أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد (ت 189هـ): الأصل المعروف بالمبسوط، 5ج، تح أبو الوفا الأفغاني، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، كراتشي، د ط، د ت.

ابن أبي شبيبة، أبو بكر بن أبي شبيبة، بن خواسطي العبسي (ت 235هـ): الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، 7ج، تح كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط 1، 1409هـ.

مسند ابن أبي شبيبة، 2ج، تح عادل بن يوسف العزازي، وأحمد بن فريد المزيدي، دار الوطن، الرياض، ط 1، 1997م.

الصدوق، علي بن بابويه القمي (ت 329 هـ) معاني الأخبار، مؤسسة الميلاني لإحياء الفكر الشيعي، الميزان. www.rafed.net/books/aqaed/almelal-wa-alnahal-6/68.html

6/68.html

الضبي، أبو عبد الله البغدادي الحسين بن إسماعيل بن أبان المحاملي (ت 330هـ): **أمالي المحاملي**، رواية ابن الصلت القرشي، المجبر (ت 405هـ) تح حمدي عبد المجيد السلفي، دار النوادر، ط1، 1427هـ/2006م.

ضياء الدين، أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي (ت 643هـ): **الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرج البخاري ومسلم في صحيحهما**، 13ج، تح عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 1420هـ/2000م.

ابن طاهر، المطهر بن طاهر المقدسي (ت 355هـ): **البدء والتاريخ**، 6ج، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، ط، د ت.

الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل (ت 548هـ): **مجمع البيان في تفسير القرآن** 10ج، مطبعة العرفان، صيدا، 1355هـ/1936م.

الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم (ت 360هـ): **المعجم الصغير**، 2ج، تح محمد شكور محمود الحاج أمير، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، عمان، ط1، 1405هـ/1985م.

الدعاء للطبراني، تح مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413هـ.

المعجم الكبير، 25ج، تح حمدي بن عبد المجيد السلفيدار، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط2، 1415هـ/1994م.

المعجم الأوسط، 10ج، تح طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ط، د ت.

الطبري، أبو العباس، أحمد بن عبد الله بن محمد، محب الدين (ت 694هـ): الرياض النضرة
في مناقب العشرة، 4ج، دار الكتب العلمية، ط2، دت.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملّي (ت 310هـ): تاريخ
الرسول والملوك، 11ج، دار التراث، بيروت، ط2، 1387هـ.

جامع البيان في تأويل القرآن = تفسير الطبري، 24ج، تح أحمد محمد شاكر، مؤسسة
الرسالة، ط1، 1420هـ/2000م.

الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الحجري المصري (ت 1هـ): شرح
معاني الآثار، تح محمد زهري النجار ومحمد سيد جاد الحق، عالم الكتب، ط1، 1414
هـ/1994م.

الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن بن عليّ (ت 460 هـ): النهاية في مجرد الفقه والفتاوي،
دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1390هـ/1970م.

التبيان في تفسير القرآن، 10ج، تح أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث
العربي، شبكة دهشة. www.dahsha.com/old/viewarticle.php?id=9987

الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود البصري (ت 204هـ): مسند أبو داود
الطيالسي، 4ج، تح محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، ط1، 1419هـ/
1999م.

ابن عادل، أبو حفص عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت 775هـ): اللباب
في علوم الكتاب، 20ج، تح عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب
العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ/1998م.

ابن أبي عاصم، أبو بكر أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (ت 287هـ): السنّة،
2ج، تح محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1400هـ.

الآحاد والمثنائي 6ج،تح باسم الجوايرة،الراية،الرياض،ط1، 1411هـ/1991م.

المذكر والتذكير والذكر،تح ياسر الرادادي،المنار،الرياض،د ط،1413هـ.

العامري، يحيى بن أبى بكر بن محمد بن يحيى العامري الحرصي (ت893هـ): بهجة المحافل
وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل،2ج، دار صادر، بيروت، د ط،
د ت.

ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي (ت 463هـ):
الاستيعاب في معرفة الأصحاب،4ج، تح علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط1،
1412هـ/1992م.

ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله، أبو القاسم المصري (ت257هـ): فتوح مصر
والمغرب، مكتبة الثقافة الدينية،د م، د ط،1415هـ.

ابن عبد ربه، أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن سالم الأندلسي (ت 328هـ): العقد الفريد، 8ج،
دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1404هـ.

طبائع النساء وما جاء فيها من عجائب وأخبار وأسرار، مكتبة القرآن، القاهرة، د ط،
د ت.

عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام اليماني الصنعاني (ت211هـ): تفسير عبد
الرزاق،3ج، تح محمود محمد عبده،دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، 1419هـ.

ابن العبري، غريغوريوس (يوحنا) بن أهرون بن توما الملطي، أبو الفرج (ت 685هـ): تاريخ
مختصر الدول،تح أنطون صالحاني اليسوعي، دار الشرق، بيروت،ط3،1992م.

ابن العربي، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر المعافري الاشبيلي المالكي (ت 543هـ):
العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم،
تح محب الدين الخطيب، دار الجيل، بيروت، ط2، 1407هـ / 1987م.

ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت571هـ): تاريخ دمشق، 80ج، تح عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415هـ/1995م.

العصامي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك المكي (ت1111هـ): سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، 4ج، تح عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ/1998م.

علي، أبو الحسن علي بن أبي طالب، الهاشمي القرشي (ت40هـ): نهج البلاغة، 4ج، شرح محمد عبده، دار الفكر، بيروت، ط1، 1406هـ/1986م.

ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت1089هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، 11ج، تح محمود الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط1، 1406هـ/1986م.

أبو عوانة، يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم النيسابوري الإسفراييني (ت316هـ): مستخرج أبو عوانة، 5ج، تح أيمن بن عارف الدمشقي، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1419هـ/1998م.

العياشي، أبو النضر محمد بن مسعود بن عياش السلمى السمرقندى (ت320هـ): التفسير، 2ج، تح هاشم الرسولى المحلاتى، الغدير.

www.gadir.free.fr/Ar/Tefsir/index.htm

العينى، أبو محمد محمود بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين (ت855هـ): عمدة القاري شرح صحيح البخاري، 25ج، دار إحياء التراث العربى، بيروت، ط1، 1406هـ/1986م.

الفارابى، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابى (ت350هـ): معجم ديوان الأدب، 4ج، تح أحمد مختار عمر، مراجعة إبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1424هـ / 2003م.

الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت 393هـ): **الصاحح تاج اللغة وصاحح العربية**، 6ج، تح أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407هـ/ 1987م.

أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن شاهنشاه، الملك المؤيد، صاحب حماة (ت 732هـ): **المختصر في أخبار البشر**، 4ج، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، ط1، دت.

الفسوي، يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي، أبو يوسف (ت 277هـ): **المعرفة والتاريخ**، 3ج، تح أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1401هـ/ 1981م.

ابن فورك، محمد بن الحسن الأنصاري الأصبهاني، أبو بكر (ت 406هـ): **تفسير ابن فورك من أول سورة المؤمنون إلى آخر سورة السجدة**، تح علاء عبد القادر بندويش، جامعة أم القرى، السعودية، ط1، 1430هـ/ 2009م.

الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت 817هـ): **القاموس المحيط**، تح مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط8، 1426هـ/ 2005م.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت 276هـ): **الإمامة والسياسة**، 2ج، تح محمد الراجعي، مطبعة النيل، مصر، د ط، 1322هـ/ 1904م.

المعارف، تح ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 1992م.

عيون الأخبار، 4ج، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي (ت 671هـ): **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي**، 20 ج، تح أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ/ 1964م.

القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت 682هـ): آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ط1، د ت.

ابن قيس، سليم بن قيس الهلالي (ت 76هـ): كتاب سليم بن قيس الهلالي، 2ج، تح محمد باقر الأنصاري، د ن، د م، ط1، د ت.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت 774هـ): البداية والنهاية، تح علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1408هـ/1988 م.

الكلاباذي، أبو بكر محمد بن يعقوب البخاري الحنفي (ت 380هـ): بحر الفوائد، تح أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1420هـ/1999 م.

الكلاعي، أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الحميري (ت 634هـ): الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم والثلاثة الخلفاء، 2ج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1420هـ.

الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب (ت 328هـ): الكافي، 8ج، دار الأضواء، بيروت، ط1، د ت.

ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت 273هـ): سنن ابن ماجه، 2ج، تح محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، د م، ط1، د ت.

مالك، ابن أنس بن مالك بن عامر الأصبجي المدني (ت 179هـ): الموطأ، 8ج، تح محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، أبو ظبي، ط1، 1425هـ/2004 م.

الموردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت 450هـ): الأحكام السلطانية، دار الحديث، القاهرة، ط1، د ت.

المبرد، محمد بن يزيد أبو العباس (ت 285هـ): **الكامل في اللغة والأدب**، 4ج، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1417هـ/1997م.

المجلسي، محمد باقر (ت 1111 هـ): **بحار الأنوار**، 110ج، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط2، 1403هـ/1983م.

المخلص، محمد بن عبد الرحمن بن العباس بن عبد الرحمن البغدادي (ت 393هـ):
المخلصيات وأجزاء أخرى لأبي طاهر المخلص، تح نبيل سعد الدين جرار، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية لدولة قطر، الدوحة، ط1، 1429هـ/2008م.

المراغي، أبو حفص عمر بن حسن المراغي المزي دمشقي زين الدين (ت 778هـ): **مشيخة المراغي**، تح عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية، دم، ط2، 1426هـ/2005م.

المرتضى، أبو طالب علي بن حسين بن موسى القرشي العلوي (ت 436هـ): **الشافعي**.

www.mezan.net/books/libr.html

المروزي، أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج (ت 294هـ): **مختصر قيام الليل**، تح أحمد بن علي المقرئ، حديث أكاديمي، فيصل آباد، ط1، 1408هـ/1988م.

ابن مزاحم، أبو الفضل نصر بن مزاحم المنقري (ت 212هـ): **وقعة صفين**، تح عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1410هـ/1990م.

المزني، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، القضاعي الكلبلي (ت 742هـ): **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، 35ج، تح بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1400هـ/1980م.

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت 346هـ): **إثبات الوصية**، دار الأضواء، بيروت، ط2، 1409هـ/1988م.

مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح قاسم وهب، وزارة الثقافة، 3ج، دمشق، د ط، 1988م.

التنبيه والإشراف، تح عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي، القاهرة، د ط، د ت.

ابن مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (ت 421هـ): تجارب الأمم وتعاقب
الهمم، 7ج، تح أبو القاسم إمامي، سروش، طهران، ط 2، / 2000م.

مسلم، أبو الحسين ابن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت 261هـ): المسند الصحيح
المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم = صحيح مسلم،
5ج، تح محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ط، د ت.

المفيد، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام العكبري (ت 413هـ): تصحيح
عقائد الإمامية، تح حسين درگاهي، دار المفيد، ط 2، 1414هـ / 1993م.

مقاتل، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت 150هـ): تفسير مقاتل بن
سليمان، تح عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، ط 1، 1423هـ.

المقريزي، أبو العباس أحمد بن علي، الحسيني العبيدي، تقي الدين (ت 845هـ): إمتاع
الأسماع بما للنبي صلى الله عليه وسلم من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، 15ج، تح
محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1420هـ / 1999م.

مكي، أبو محمد مكي بن أبي طالب حمّوش القيسي القيرواني القرطبي المالكي (ت 437هـ):
الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون
علومه، 13ج، تح الشاهد البوشيخي، جامعة الشارقة، الشارقة، ط 1، 1429هـ / 2008م.

المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن زين العابدين ثم القاهري (ت 1031هـ):
فيض القدير شرح الجامع الصغير، 6ج، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط 1، 1356هـ.

ابن المنذر، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (ت 319هـ): كتاب تفسير
القرآن، تح سعد بن محمد السعد، دار المآثر، المدينة النبوية، ط 1، 1423هـ / 2002م.

ابن منصور، أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني (ت 227هـ): **سنن سعيد بن منصور**، 12 ج، تح حبيب الرحمن الأعظمي، الدار السلفية، الهند، ط1، 1403هـ/1982م.

ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي الإفريقي (ت 711هـ): **مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر**، 29 ج، روحية النحاس، ورياض عبد الحميد مراد، ومحمد مطيع، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، ط1، 1402 هـ / 1984م.

لسان العرب، 15 ج، دار صادر، بيروت، ط3، 1414 هـ.

الموصلي، أبو يعلى أحمد بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي (ت 307هـ): **مسند أبو يعلى**، 13، تح حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط1، 1404هـ/1984م.

الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (ت 518هـ): **مجمع الأمثال**، 2 ج، تح محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، ط1، د ت.

ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي (ت 438هـ): **الفهرست**، إبراهيم رمضان، دار المعرفة بيروت، ط2، 1417هـ/1997م.

النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (ت 303هـ): **فضائل الصحابة**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1405هـ.

خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، تح أحمد ميرين البلوشي، مكتبة المعلا، الكويت، ط1، 1406هـ.

المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي، 9 ج، تح عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط2، 1406هـ/1986م.

السنن الكبرى، 12 ج، تح حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1421هـ / 2001م.

النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين (ت710هـ): تفسير النسفي
=مدارك التنزيل وحقائق التأويل،3ج،تح يوسف علي بديوي،راجعه محيي الدين ديب
مستو، دار الكلم الطيب، بيروت،ط1، 1419 هـ/1998 م.

النعمانى، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي (ت775هـ): اللباب
في علوم الكتاب،20ج،تح الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض،
دار الكتب العلمية،بيروت،ط1، 1419 هـ/1998م.

أبو نعيم،أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت430هـ):
حلية الأولياء وطبقات الأصفياء،10ج،السعادة، مصر، 1394هـ/1974م.

معرفة الصحابة،7ج،تح عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض،
ط1،1419هـ/1998م.

تثبيت الإمامة وترتيب الخلافة،تح علي الفقيهي،مكتبة العلوم،المدينة المنورة،ط1،
1407هـ/1987م.

النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت676هـ): المنهاج شرح صحيح مسلم بن
الحجاج، 18ج، دار إحياء التراث العربي، بيروت،ط2، 1392هـ.

الهروي، علي بن محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت1014هـ): مرقاة
المفاتيح شرح مشكاة المصابيح،9ج، دار الفكر، بيروت،ط1، 1422هـ/2002م.

ابن هشام، عبد الملك بن هشام الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت213هـ): السيرة
النبوية،2ج،تح مصطفى السقا وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي
الحلبي،مصر،الطبعة،ط2، 1375هـ/1955م.

ابن هلال، أبو إسحق إبراهيم بن محمد الثقفي (385هـ): الغارات، تح عبد الزهراء الحسيني،
دار الأضواء، بيروت، د ط، /1987م.

الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، النيسابوري، الشافعي (ت 468هـ):
الوسيط في تفسير القرآن المجيد، 4ج، تح عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب
العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ/1994م.

الواقدي، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي، المدني، أبو عبد الله (ت 207هـ): المغازي،
3ج، تح مارسدن جونز، دار الأعلمي، بيروت، ط3، 1409هـ/1989م.

الردة مع نبذة من فتوح العراق وذكر المثني بن حارثة الشيباني، تح يحيى الجبوري،
دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1410هـ/1990م.

فتوح الشام، 2ج، دار الكتب العلمية، ط1، 1417هـ/1997م.

ابن الوردي، أبو حفص، عمر بن بن أبي الفوارس، زين الدين المعري الكندي (ت 749هـ):
تاريخ ابن الوردي، 2ج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ/1996م.

ياقوت، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت 626هـ): معجم
الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، 7ج، تح إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي،
بيروت، ط1، 1414هـ/1993م.

معجم البلدان 7ج، دار صادر، بيروت، ط2، 1995م.

اليحصبي، عياض بن موسى بن عمرو اليحصبي السبتي، أبو الفضل (ت 544هـ): مشارق
الأنوار على صحاح الآثار، ج، المكتبة العتيقة ودار التراث، دم، ط، د ت.

يحيى، ابن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي البصري ثم الإفريقي القيرواني (ت 200هـ): تفسير
يحيى بن سلام، 2ج، تح هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1425هـ/2004م.

أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حنيفة الأنصاري (ت 182هـ): الخراج،
المكتبة الأزهرية للتراث، تح طه عبد الرؤوف سعد، وسعد حسن محمد، دم، ط، د ت.

ب- المراجع

الألباني، محمد ناصر الدين الألباني (ت 1420هـ): سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، 14 ج، دار المعارف، الرياض، ط1، 1412هـ/1992م.

دفاع عن الحديث النبوي والسيرة، د ن، د م، د ط، د ت.

الأنصاري، فاضل، العبودية: الرق والمرأة بين الإسلام الرسولي والإسلام التاريخي، دار الأهالي، دمشق، ط1، 2001م.

برو، توفيق، تاريخ العرب القديم، دار الفكر، د م، ط2، 1422هـ/2001م.

البلبكي، منير، المورد، دار العلم للملايين، بيروت، د ط، 1985م.

التباني، محمد العربي، تحذير العبقرى من محاضرات الخضري، دار الكتب العلمية، بيروت، د ط، د ت.

الترمانيني، عبد السلام، الرق ماضيه وحاضره، عالم المعرفة، الكويت، د ط، 1979م.

الجابري، محمد عابد، فهم القرآن التفسير الواضح حسب ترتيب النزول، 3 ج، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2008م

جودة، جمال، الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، للموالي في صدر الإسلام، دار البشير، عمان، د ط، 1989م.

الحوثي، أبو القاسم محمد بن القاسم الحوثي الحسيني (ت 1319هـ) الموعظة الحسنة، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، عمان، د ط، د ت.

دروزة، محمد عزت، التفسير الحديث، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ب ط، 1383هـ.

ديورانت، ويليام جيمس (ت 1981م) **قصة الحضارة**، 42ج، تقديم محيي الدين صابر، ترجمة زكي نجيب محمود وآخرين، دار الجيل، بيروت، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، د ط، 1408هـ/ 1988م.

ربيع، محمد، **مناهج البحث في العلوم السياسية**، الفلاح، الكويت، د ط، 1407هـ/ 1987م.

رستم، أسد، **الروم وصلاتهم بالعرب**، دار المكشوف، بيروت، ط1، 1955م.

زكار، سهيل، **مقدمة**، الترجمة العربية للتوراة، دار قتيبة، بيروت، دمشق، ط1، 1428هـ/ 2007م.

السقاف، حسن بن علي: **صحيح العقيدة الطحاوية**، دار النووي، بيروت، ط3، 1427هـ/ 2006م.

شريعتي، علي، **دين ضد الدين**، ترجمة حيدر مجيد، مؤسسة العطار الثقافية، م ط، 1423هـ/ 2007م.

شيخو، رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب (ت 1346هـ) **مجاني الأدب في حدائق العرب**، 6ج، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ب ط، 1913م.

صالح، عبد العزيز، **الشرق الأدنى القديم في مصر والعراق**، مكتبة دار الزمان، م ط، د ت.

الصدر، محمد باقر (ت 1982م): **فدك في التاريخ**، دار التعارف، بيروت، د ط، 1990م.

خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء، دائرة معارف الإمام الصدر، م ط، د ت.

الطباطبائي، محمد حسين، **الميزان في تفسير القرآن**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط2، 1394هـ/ 1974م.

عصفور، محمد أبو المحاسن، **معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم**، دار النهضة العربية، بيروت، د ط، د ت.

- علي، جواد (ت 1408هـ): تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الحداثة، د م، ط2، 1988م.
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 20ج، دار الساقى، د م، ط4، 1422هـ / 2001م.
- عمارة، محمد، مسلمون ثوار، دار الشروق، القاهرة، ط4، 1427هـ/2006م.
- قطب، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت 1385هـ): في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط17، 1412هـ.
- العدالة الاجتماعية في الإسلام، دار الشروق، القاهرة، د ط، 1373هـ/1954م.
- كاشف الغطاء، محمد الحسين آل كاشف الغطاء (ت 1373 هـ): أصل الشيعة، تح علاء آل جعفر، مؤسسة الإمام علي، د م، ط، د ت.
- جنة المأوى، دار الأضواء، بيروت، د ط، 1988م.
- كحالة، عمر بن رضا كحالة دمشق (ت 1408هـ) معجم قبائل العرب القديمة 5ج، الرسالة، بيروت، ط7، 1414هـ / 1994م.
- ماتون، سيلفان، حقوق الإنسان من سقراط إلى ماركس، ترجمة محمد الهلالي، صلصال، الرباط، ط2، 1999م.
- ماركس، كارل، رأس المال، ترجمة راشد البراوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط3، 1970م.
- المالكي، حسن بن فرحان: بيعة علي بن أبي طالب في ضوء الروايات الصحيحة، مكتبة التوبة، الرياض، ط2، 1418هـ/1997م.
- قراءة في كتب العقائد، المذهب الحنبلي أنموذجاً، مركز الدراسات التاريخية، عمان، ط1425، 2هـ/2004م.

مع سليمان العودة في عبد الله بن سبأ، مركز الدراسات التاريخية، عمان، ط1،
1425هـ/2004م.

مروة، حسين، النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية، دار الفارابي، بيروت، ط،
1978م.

المشاط، حسن بن محمد المشاط المالكي (ت 1399هـ) إنارة الدجى في مغازي خير الورى
صلى الله عليه وآله وسلم، دار المنهاج، جدة، ط2، 1426هـ.

مصطفى، عمر ممدوح، القانون الروماني، دار المعارف، القاهرة، ط، 1966م.

مغنية، محمد جواد، في ظلال نهج البلاغة، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1973م.

ملحم، عدنان، المؤرخون العرب والفتنة الكبرى، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1998م.

مهران، محمد بيومي، دراسات في تاريخ العرب القديم، دار المعرفة الجامعية، دم، ط2، دت.

مومجيان، خوتشيك، مراحل التاريخ، دار التقدم، طشقند، د ط، 1981م.

وات، وليام مونتجمري، محمد في مكة، ترجمه عبد الرحمن عبد الله الشيخ، مراجعة أحمد
الشليبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1415هـ.

الوزير، زيد بن علي، الفردية: بحث في أزمة الفقه الفردي السياسي عند المسلمين، مركز
التراث والبحوث اليمني، صنعاء، ط1، 1420هـ/2000م.

اليازجي، إبراهيم بن ناصف بن عبد الله بن ناصف الحمصي (ت 1324هـ) نجعة الرائد
وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد، ج2، مطبعة المعارف، مصر، ب ط، 1905م.

يعقوب، أحمد مصطفى، قنبر، مركز المهدي، الكويت، ط2008، 1م.

يوماشيف، أ.ي، الاقتصاد السياسي، ترجمة بدر الدين السباعي، دار الجماهير، دمشق، ط2،
1972م.

ج- البحوث العلمية

جودة، جمال: *الرواية الشفوية بين الحقيقة والأسطورة*، مجلة النجاح للأبحاث العلمية، ج1،
مج1، العدد3، نابلس، فلسطين، 1986م.

الخلافة والقبائل والنظرة للأرض، مجلة النجاح للأبحاث العلمية، ج1، مج1، العدد4، نابلس،
فلسطين، 1989م.

سلامة، عبد الغني *طور الحضارة*، مجلة الحوار المتمدن، ع3462، دمشق، 2011م.

ياسين، نجمان، *عطاء الموالي في عصر الراشدين وبنى أمية- محاولة تقويم جديد*، مجلة
التراث العربي، لعدد 81-82، دمشق، 1422هـ/2001م.

د- الرسائل الجامعية

مدلل، شادي، *السببي في صدر الإسلام*، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين،
2010م.

هـ- مواقع إلكترونية

الـخـوئي، أبو القاسم (ت1992م) مباني تكملة المنهاج، مؤسسة
الـخـوئي. <http://www.alkhoei.com/arabic/pages/book.php?bcc=561&itg=>

6&bi=10

السيستاني، علي الحسيني، كنز الفتاوى، الفتوى رقم 170،

السراج. www.alseraj.net/ar/fikh/2/

الملاحق

جدول (1): طبيعة النظرة اليهودية للمستضعفين، من خلال تتبع عدد من الألفاظ الواردة في التوراة والمتصلة بالسبي والسخرة والعبودية، مما يعطي مشهداً لطبيعة الواقع الذي أفرزه الخطاب الديني اليهودي في واقع المجتمع وتأثيرات ذلك على المستضعفين من العبيد:

390 مرة	عبيد، العبيد	-1
86 مرة	عبدة، عبد	-2
18 مرة	العبودية	-3
39 مرة	الرق، الرقيق	-4
13 مرة	إماء	-5
289 مرة	سبي، السبي، سبايا	-6
14 مرة	جوارى، الجوارى	-7
8 مرة	سخرة، السخرة	-8

جدول رقم (2): المستضعفون من العبيد في مكة عند البعثة، كما في الجدول التالي¹:

الرقم	الاسم-الوفاة	نسبهم ومواليهم	طبيعة التعذيب	وضعهم بعد قيام الدولة
1-	بلال بن رباح 20هـ الشام	عبد لصفوان بن أمية الجمحيّ	تعذيب جسدي متعدد الأنواع، مثل وضع الصخرة على صدره	مؤذن الرسول "ص" طوال حياته، وغادر المدينة بعد وفاته حيث عاش ومات في الشام ² .
2-	خباب بن الأرت. 37هـ الكوفة	تميميّ من سواد العراق، سباه بني ربيعة، فوقع عند أم أنمار من بني زهرة فأعتقته	تعذيب جسدي متعدد، مثل الكي بالنار.	جاءَ خَبَابُ بْنُ الأَرْتِ إِلَى عُمَرَ فَقَالَ ادْنُهُ فَمَا أَحَدٌ أَحَقُّ بِهَذَا المَجْلِسِ مِنْكَ إلا عَمَارُ بْنُ يَاسِرٍ، وكان عند موته ثرياً ³ .
3-	زنيرة الرومية	أمة لبني مخزوم، وقيل: لبني عديّ	تعذيب جسدي، حتى عميت ⁴ .	
4-	صهيب بن سنان الرومي. 38هـ المدينة	عربي من النمر بن قاسط، لكن الروم سبوه فهرب منهم، وحالف بني تيم	تعذيب جسدي، مثل الصهر بالشمس، والخنق حتى الغشيان	أقطع الرسول "ص" ببيتين وحجرة في المدينة، وكلفه عمر لما طعن، أن يصلي بالناس، وهو الذي صلى على عمر ⁵ .
5-	عامر بن فهيرة. 4هـ بئر معونة	مملوك للطفيل بن عبدالله بن سخبرة الأسديّ	تعذيب جسدي غير محدد	مولى لأبي بكر، الذي كان اشتراه وأعتقه ⁶ .

¹ تم ترتيب الأسماء وفق الترتيب الأبثنيّ.

² خليفة، الطبقات ج1ص50. أبو نعيم، معرفة ج1ص373. البلاذري، أنساب ج1ص190. الطبري، تاريخ ج4ص112.
ج4ص112. البغوي، معجم ج1ص259، 373. ابن الأثير، أسد ج1ص415.

³ ابن إسحق، سيرة ج1ص182. ابن هشام، سيرة ج1ص254. ابن سعد، الطبقات ج3ص123-124. الطبري، تاريخ
ج11ص558.

⁴ ابن سعد، الطبقات ج8ص201. ابن حبيب، المحبر ج1ص184.

⁵ ابن سعد، الطبقات ج3ص170-176. ابن أبي شيبة، مصنف ج6ص396. البخاري، صحيح ج3ص165. البلاذري،
أنساب ج10ص180. 293. ابن الجوزي، المنتظم ج4ص298.

⁶ الواقدي، مغازي ج1ص349. ابن هشام، سيرة ج1ص485. ابن سعد، الطبقات ج3ص173-174. البلاذري، أنساب
ج1ص193-194.

6-	أم عبيس	أمة لبني تيم، وقيل: لبني زهرة	تعذيب جسدي، غير محدد ¹ .
7-	أبو فكيهة الجهمي. 2هـ المدينة	مملوك لصفوان بن أمية الجمحي	تعذيب جسدي متعدد، مثل الجرّ على الرمضاء ² .
8-	لبينة أو لبينة	جارية لبني المؤمل، وهم حي من بني عدي	التعذيب بالخنق وغيره ³ .
9-	النهدية	مولدة لبني نهد، فصارت لامرأة من بني عبد الدار	تعذيب جسدي، غير محدد ⁴ .
10-	آل ياسر العنسي: ياسر وزوجه سمية وولديه عمار وعبد الله. قتلت سمية وياسر عند البعثة، أمّا عمار في صفين 37هـ	أصلهم من بني عنس من اليمن، قدموا مكة، وصاروا حلفاء لبني مخزوم	تعذيب جسدي متعدد، وصل الذروة بقتل سمية بالحربة، وتعرض ياسر و عمار للكوي بالنار، والخنق تحت الماء، حتى قال عمار ما يكره

¹ البلاذري، أنساب ج 1ص 196. ابن عبد البر، الاستيعاب ج 4ص 1946.

² ابن عبد البر، الاستيعاب ج 4ص 1730. ابن الأثير، أسد ج 6ص 241.

³ البلاذري، أنساب ج 1ص 195. ابن الأثير، الكامل ج 1ص 666.

⁴ ابن الأثير، أسد ج 1ص 667.

⁵ ابن سعد، الطبقات ج 3ص 190، 193، 196، 200. البلاذري، أنساب ج 1ص 156، 160، 174.

جدول رقم (3): المستضعفون من الموالى في مكة عند البعثة، حسب هذا الجدول¹:

الرقم	الاسم/الوفاة	نسبه ومواليه	طبيعة الاستضعاف	وضعه بعد قيام الدولة
1-	عامر بن ربيعة، وزوجته ليلي بنت أبي حنثة. 35هـ المدينة	من وائل، أو مذحج اليمن، حليف آل الخطاب	إيذاء وبلاء وقهر	عقد له عمر لواء الجيش عند خروجه للجابية، وفوجئ الناس بجنازته، بعد مقتل عثمان بأيام
2-	عبد الله بن مسعود. 32هـ المدينة	هذلي، حليف بني زهرة	الضرب المبرح	مقرباً من الرسول "ص" من أبرز علماء القرآن، أجهز على أبي جهل في بدر، ولّاه عمر خراج الكوفة، امتحن في عهد عثمان، ولما مات ترك تسعين ألف درهم ² .
3-	عتبة بن غزوان. 17هـ الربذة قرب المدينة	مازني، حليف بني نوفل	المنع من الهجرة	فتح الأبله ودست ميسان، واختط البصرة، فولّاه عمر ولايتها ³ .
4-	المقداد بن عمرو. 33هـ الجرف قرب المدينة	من بهراء، حالف الأسود بن عبد يغوث الزهري، وتبناه	المنع من الهجرة، وروي أنه تعرض لتعذيب جسدي، عقب البعثة، مع بلال وعمار وغيرهما	كان من فرسان الإسلام البارزين، ومن نجباء الرسول "ص" الأربعة عشر، أقطعه الرسول "ص" في بني حديلة، عارض بيعة أبا بكر، واعتقد بإمامة علي، طوال حياته ⁴ .

¹ تم ترتيب الأسماء وفق الترتيب الأبثني.

² ابن إسحق، سيرة ج1ص186. ابن سعد، الطبقات ج3ص112-114، 119. الطبري، تاريخ ج2ص335. البلاذري، أنساب ج1ص228.

³ ابن هشام، سيرة ج1ص592. ابن عبد البر، الاستيعاب ج3ص1026-1027. العامري، بهجة ج1ص177.

⁴ ابن قيس، كتاب ج1ص592-594. ابن إسحق، سيرة ج1ص225. ابن هشام، سيرة ج1ص592. ابن ماجه، سنن ج1ص53. ابن أبي شيبة، مصنف ج6ص396. ابن حنبل، مسند ج6ص382. ابن سعد، الطبقات ج3ص121. البزار، مسند ج5ص233. ابن حبان، صحيح ج15ص558. الطبري، تاريخ ج4ص233. ابن عبد البر، الاستيعاب ج1ص178، ج4ص1481. البيهقي، دلائل ج2ص281. ابن كثير، سيرة ج1ص436.

جدول رقم (4): المستضعفون في مكة، بعد هجرة المسلمين إلى يثرب¹:

الرقم	الاسم/الوفاة	نسيبه وعشيرته	طبيعة الاستضعاف	وضعه بعد قيام الدولة
1-	ابو بصير، عتبة بن أسيد الثقفي. 9هـ العيص-سيف البحر	حليف بني زهرة	المنع من الهجرة، والحبس	لم يعيش في كنفها، فقد توفي لحظة وصول كتاب الرسول "ص" يأمره بالقدوم للمدينة ² .
2-	أبو جندل بن سهيل بن عمرو 18هـ طاعون عمواس	بني عامر بن لؤي	التقييد بالسلاسل والحبس	اشتهر بالجهاد، وأقيم عليه الحد في الشام بسبب شربه الخمر، وتاب عن ذلك ³ .
3-	زينب بنت الرسول "ص" 8هـ المدينة	بني هاشم، زوج أبي العاص بن الربيع من بني عبد شمس	المنع من الهجرة، وصرعها عن البعير حتى أدميت	أجارت زوجها أبي العاص، بعد أن وقع أسيراً بيد المسلمين ⁴ .
4-	سلمة بن هشام 14هـ مرج الصفرة، أو أجنادين	بني مخزوم	التقييد والحبس	شارك في الفتوحات حتى استشهد ⁵ .
5-	عبد الله بن سهيل. 12هـ اليمامة	بني عامر بن لؤي	المنع من الهجرة والحبس والربط بالقيود	اشتهر عنه الجهاد حتى استشهد ⁶ .

¹ تم ترتيب الأسماء وفق الترتيب الأبئتي.

² الواقدي، مغازي ج2ص624. البلاذري، أنساب ج1ص211. ابن عبد البر، الاستيعاب ج4ص1613-1614.

³ ابن سعد، الطبقات ج7ص284. ابن عبد البر، الاستيعاب ج4ص1622-1623.

⁴ ابن هشام، سيرة ج1ص658. ابن سعد، الطبقات ج8ص25-28، ج1ص183. الدولابي، الذرية ص44-45.

⁵ ابن سعد، الطبقات ج4ص96-98. البلاذري، أنساب ج1ص208. الطبري، تاريخ ج3ص418. ابن عبد البر، الاستيعاب ج2ص463.

⁶ ابن هشام، سيرة ج1ص368. ابن سعد، الطبقات ج3ص310. البلاذري: أنساب ج11ص10، فتوح ص91.

6-	عياش بن أبي ربيعة. 15هـ مكة	بني مخزوم	الخطف والتقييد والحبس	شارك في الفتوحات، بعثه الرسول "ص" رسولاً إلى حمير، وقيل أنه "ص" غضب منه قبل وفاته ¹ .
7-	أم الفضل، لبابة الكبرى 35هـ مكة	هلالية، زوج العباس بن عبد المطلب الهاشمي	المنع من الهجرة	كانت مقربة من الرسول "ص" حتى أنها كان يقيل عندها ² .
9-	أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط	بني عبد شمس	المنع من الهجرة	تتضح مكانتها البارزة في المجتمع، بالنظر إلى مكانة أزواجها ³ .
10-	هشام بن العاص السهمي. 13هـ أجنادين	بني سهم	المنع من الهجرة والحبس	ولاه الرسول "ص" سرية من 200 مسلم نحو يلملم، كما بعثه أبو بكر إلى هرقل ⁴ .
11-	الوليد بن الوليد 3هـ أو 5هـ المدينة	بني مخزوم	التقييد والحبس	لم يعيش في كنفها سوى وقت قصير، كونه توفي حال وصوله المدينة ⁵ .

¹ ابن سعد، الطبقات ج1ص216، ج2ص146، ج3ص206، ج4ص96. الطبري، تاريخ ج11ص559. ابن عساکر، تاريخ ج2ص55.

² ابن سعد، الطبقات ج8ص217. ابن حبان، ثقات ج2ص280. ابن الأثير، أسد ج2ص279. ابن حجر، الإصابة ج8ص451. الذهبي، سير ج2ص314.

³ الواقدي، مغازي ج2ص629. ابن سعد، الطبقات ج8ص184.

⁴ الواقدي، مغازي ج3ص873. ابن سعد، الطبقات ج3ص205. ج4ص145-147. ابن حجر، الإصابة ج6ص424.

⁵ ابن سعد، الطبقات ج4ص98. البلاذري، أنساب ج1ص210. ابن الأثير، أسد ج5ص423.

جدول رقم (5): وسائل التعذيب التي اتبعتها قريش ضد المستضعفين، كما يظهره الجدول التالي¹:

الرقم	وسيلة التعذيب	المستضعف
1	نهب الأموال	صهيب، خباب.
2	تعذيب عام غير محدد	ياسر، أم عبيس، عامر، النهديّة.
3	تعذيب حتى فقد البصر	زنيرة.
4	الضرب المبرح	عبد الله بن مسعود، عثمان بن مظعون.
5	بطح على الأرض	بلال، أبو فكيهة.
6	وضع صخرة على الصدر	بلال، أبو فكيهة.
7	الجرّ على الرمضاء	بلال، أبو فكيهة.
8	شبح بالشمس	بلال، عمار، خباب، صهيب، سمية، ياسر
9	ربط بالحبال	بلال، عمار، خباب، صهيب، سمية، ياسر، عياش، سلمة، الوليد، مصعب، عثمان.
10	خنق الرقبة	لبينة، زنيرة، أبو فكيهة، صهيب.
11	الخنق بالماء	عمار، بلال، صهيب، خباب، سمية.
12	تعذيب بالدخان	الزبير.
13	حبس	عياش، سلمة، الوليد، مصعب.
14	تجويع	عمار، بلال، صهيب، خباب، سمية.
15	كيّ بالنار	عمار، خباب.
16	التدريع بالحديد	عمار، بلال، صهيب، خباب، سمية.
17	الموت تحت التعذيب	ياسر.
18	القتل	سمية.

¹ البلاذري، أنساب ج1ص156-198، ج10ص293.

جدول رقم (6): جدول يشير إلى عدد الأنصار، وعدد شهدائهم، مقارنة بالمهاجرين، في بدر وأحد، مما يعطي صورة عن حجم التضحيات التي بذلها الأنصار، وما آل إليه وضعهم بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، بحيث لم تعطهم الدولة ما استحقوه وهو ما يشير لتعرضهم للاستضعاف¹:

أحد	بدر		المسلمون
الشهداء	الشهداء	المقاتلون	المهاجرون والأنصار
4	6	83-74	المهاجرون
49		170	الخزرج
21		61	الأوس
70	8	270-231	الأنصار (الخزرج والأوس)

¹ ابن سعد، الطبقات ج2ص33، 114، ج3ص12، 451.خليفه، تاريخ ج1ص73.البخاري، صحيح ج5ص94، 102.البلاذري، أنساب ج1ص290، 330-333. الطبري، تاريخ ج2ص431.ابن الأثير، الكامل ج2ص14.

جدول رقم (7): يظهر الجدول التالي نسبة الحلفاء وموالي العتاقة، من مجموع المهاجرين المشاركين في بدر، وهي: 16 مولى عتاقة، و 29 حليف، مقابل 42 من الصرحاء، أي أنّ المستضعفين اجتماعياً، كانوا أكثر عدداً من نصف المهاجرين¹:

الرقم	القبيلة	صرحاء	حلفاء	موالي عتاقة
1	بني هاشم	3	2	4
2	بني المطلب	4	-	-
3	بني أمية	1	12	1
4	بني نوفل	2	-	1
5	بني أسد	1	1	1
6	بني عبد الدار	2	-	-
7	بني زهرة	3	4	1
8	بني تيم	2	-	3
9	بني مخزوم	3	1	1
10	بني عدي	4	8	1
11	بني جمح	5	-	-
12	بني سهم	1	-	-
13	بني مالك وبني الحارث	11	1	1

¹ الواقدي، مغازي ج1ص152-157

جدول رقم (8): يظهر الجدول التالي، نسبة الحلفاء وموالي العتاقة، من مجموع الأتصار المشاركين في بدر، وهي كما يظهر نسبة أقل مما رأينا عند المهاجرين، حيث بلغ عدد الحلفاء 30، وموالي العتاقة فقط 6، وعدد الصرحاء 104، ويظهر الفارق بوضوح تام¹:

الرقم	القبيلة	صرحاء	حلفاء	موالي عتاقة
1	بني عبد الأشهل	12	3	-
2	بني حارثة وبني ظفر وبني رزاح	5	3	-
3	بني أمية بن زيد وبني ضبيعة وبني عبید	13		
4	بني ثعلبة وبني جحجبي وبني غنم	11	6	1
5	وبني معاوية وبني مالك	3	2	
6	بني عسيرة وبني عمرو	3		
7	بني عبید بن ثعلبة وبني عائذ وبني سواد	14	1	1
8	بني عتيك وبني حديلة وبني عدي بن عمرو	8		
9	بني عدي بن النجار وبني حرام	12	1	
10	بني خنساء وبني مازن	4	1	
11	بني ثعلبة وبني دينار وبني قيس	7	1	
12	بني الحارث بن الخزرج وبني زيد بن مالك	10		
13	بني جشم وبني جذارة وبني الأبرج	10		
14	بني عوف بن الخزرج وبني جزء	4	3	
15	بني سالم بن عمرو وبني أصرم وبني دعد	7		
16	بني قريوش وبني مرضخة وبني لودان	4	6	
17	بني ساعدة وبني البدي وبني طريف	8	1	
18	بني جشم بن الخزرج	9	-	2
19	بني عبید بن عدي وبني نعمان	7	2	1
20	بني خنساء وبني خنساء بن عبید وبني ثعلبة بن عبید وبني عدي بن غنم	8	-	-
21	بني سواد بن غنم وبني عدي بن نابي	10	-	1
22	بني زريق وبني خالد وبني خلدة وبني العجلان	16	-	-
23	بني حبيب وبني بياضة وبني أمية بن بياضة	9	-	-

¹ الواقدي، مغازي ج1ص157-172.

جدول رقم (9): يقدم لنا الجدول التالي، كشفاً بأسماء بعض الموالى الذين تبوؤوا مسؤوليات في دولتي النبوة والخلافة الراشدة، مما يدل على تحسن وضعهم، وبالتالي حصول تطور في وضع المستضعفين في ظل الدولة الإسلامية¹:

الرقم	المولى	مولاه	المسؤولية	الزمن
1-	زيد بن حارثة	الرسول صلى الله عليه وسلم	قيادة جيش مؤتة، وإمارة المدينة، وكثير من السرايا	العهد النبوي
2-	صالح شقران	الرسول صلى الله عليه وسلم	الأسرى في بدر، والغنائم في بني المصطلق	العهد النبوي
3-	بلال بن رباح	أبو بكر	صدقات الثمار	العهد النبوي
4-	أسامة بن زيد	الرسول صلى الله عليه وسلم	إمارة جيش نحو الشام حيث استشهد والده	العهد النبوي
5-	سعيد بن القشيب الأزدي	حليف بني أمية	أمير على جرش وبحرها	العهد النبوي
6-	عبد الله بن جحش	حليف بني أمية	قيادة سرية	العهد النبوي
7-	يسار	مولى الرسول "ص"	ولاية سرية	العهد النبوي
8-	معيقيب الدوسي	مولى أبي أحبة	خازن	العهد النبوي حتى عهد عثمان
9-	فيروز	مولى فارسي	أمير على صنعاء	عهد أبو بكر
10-	رشيد	مولى أبي بكر	حاجب أبو بكر	عهد أبو بكر
11-	سالم مولى أبو حذيفة	مولى أبي حذيفة من بني عبد شمس	حامل لواء المهاجرين في اليمامة	عهد أبو بكر
12-	حمران بن إبان	مولى عثمان	حاجب عثمان	عهد عثمان
13-	يرفأ	مولى عمر	حاجب عمر	عهد عمر

¹ ابن سعد، الطبقات ج2ص27، ج8ص184. خليفة، تاريخ ص77، 85. ابن حبيب، المحبر ج1ص117-123، ج1ص406، 446. ابن قتيبة، المعارف ج1ص144. البلاذري، أنساب ج1ص526، 530. ابن عبد البر، الاستيعاب ج3ص1306. ابن الأثير، أسد ج2ص336.

14-	سلمان الفارسي	مولى الرسول صلى الله عليه وسلم	أمير على المدائن	عهد عمر
15-	حذيفة بن اليمان	حليف بني عبد الأشهل من الأنصار.	قيادة عدة فتوح، وأمير على المدائن	عهد عمر
16-	عامر بن ربيعة	حليف آل الخطاب	لواء الجيش عند خروج عمر للجابية	عهد عمر
17-	عبد الله بن مسعود	حليف بني زهرة	خراج الكوفة	عهد عمر
18-	عبد الرحمن بن أبزي	مولى خزاعة	إمارة خراسان	عهد عليّ
19-	قرظة بن كعب	حليف بني عبد الأشهل	إمارة الكوفة	عهد عليّ
20-	قنبر	مولى عليّ	حاجب عليّ، وعقد له لواءً في الجمل	عهد عليّ
21-	زياد بن أبيه	من عبيد الطائف	إمارة بلاد فارس	عهد عليّ

**An-Najah National University
Faculty of Graduate Studies**

**Vulnerable in the first Period of Islam
- 610 AD/(1 of the Mission 660 AD)/40 for Hijra**

**By
Mohammed Faris Bashir Suleyman**

**Supervised by
Prof. Jamal Juda**

**This Theses is Submitted in Partial Fulfillment for the Requirements
for the Degree of Master of History, Faculty of Graduate Studies, at
An-Najah National University, Nablus, Palestine.**

2012

**Vulnerable in the first Period of Islam
- 610 AD/(1 of the Mission 660 AD)/40 for Hijra**

**By
Mohammed Faris Bashir Suleyman
Supervised by
Prof. Jamal Juda**

Abstract

Vulnerability had appeared through all periods of history. Before Islam, it has been placed upon many social categories around the area from east to west. These categories were with names as, slaves, pours ,peasants, the public and others.

And the notion of vulnerability to the development of semantic, so that it became an Islamic concept. It was linked to people who didn't belong to big and strong tribes after migration to Maddenah. This idiom was linked to those who were prevented from migration then, some linked the nation to Al-alBayt after the death of the Prophet. Also it was linked to all those who lived under oppression, deprivation, and humiliation because of weakness. In old history it was linked to what Jews had suffered of killing and captivity.

Islam appeared in Mecca under a Tribal system and social classes. It was consisted of masters and below them slaves and loyals. Many of them became Muslims, because they found that Islam can achieve some of there social, economical and spiritual status.

Quraish refused Islam and fought against it in all means. So masters begin to torture their slaves who became Muslims, Abu jahl for example killed Sumaya, Yasser, and their son Ammar.

When Muslims emmigrated to Maddeneh, and established the state of Islam, there the vulnerable became Soldiers, and although they had a new social status, they were still seen as slaves. This vision affected the view of the government towards them, especially because Slaveness hadn't been forbidden yet. But the state redacted it. After the death of the prophet, his family faced vulnerability by the masters of Quraish. They were ignored during the issue of choosing a Caliph. They were ignored also through the state functions. But their social and spiritual status was not affected during the Testament Rashidi. When (Ali) became a caliph, Quraish fought against him, so Al-alBayt were still also Vulnerable.

Alansar also faced political Vulnerability when they were neglected during the issue of electing the caliph in (Saqeefat Banee Saidah). Also they weren't employed in the government during expanding Islam. But their spiritual, social and economical status was strong through the Testament Rashidi until it finished by the assassination of the Caliph, Ali, including administrative political and military status.